



وورة

عقيدة أهل السنة والجماعة

شرح فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين
- رحمه الله -

المجمع

ضمن برنامج (ثمرات) التابع لجمعية معرفة بالهدنة المنورة

عبر مواقع التواصل الاجتماعي - واتس آب . تليجرام

-الدرس الأول-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد..

مقدمة المؤلف رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المتقين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

فإن الله تعالى أرسل رسوله محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وقدوة للعاملين وحجة على العباد أجمعين، يبين به وبما أنزل عليه من الكتاب والحكمة كل ما فيه صلاح العباد واستقامة أحوالهم في دينهم ودنياهم: من العقائد الصحيحة، والأعمال القويمة، والأخلاق الفاضلة، والآداب العالية، فترك ﷺ أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فسار على ذلك أمته الذين استجابوا لله ورسوله، وهم خيرة الخلق من الصحابة والتابعين، والذين اتبعوهم بإحسان، فقاموا بشريعته وتمسكوا بسنته وعضوا عليها بالنواجذ: عقيدة، وعبادة، وخلقا، وأدبا. فصاروا هم الطائفة الذين لا يزالون على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله تعالى وهم على ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فهذا أول الشروع في هذه الرسالة الصغيرة لفظًا، الكبيرة معنىً، ومضمونها: اعتقاد أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى، وفيما يتعلق باليوم الآخر وما سيمر بك إن شاء الله.

واعلم أن العلماء رحمهم الله قسّموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

قسّموها هذا التقسيم بناء على التبع والاستقراء، واستئناسًا بقول الله تبارك وتعالى: **رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا**

فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا¹.

فإن هذه الآية الكريمة تضمنت أنواع التوحيد الثلاثة:

{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} الربوبية، {فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ} الألوهية.

{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} الأسماء والصفات؛ لأن معنى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} أي: لا تعلم له نظيراً، ومساوياً له في أسمائه وصفاته.

وقد قال بعض الناس: (إن تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام الثلاثة بدعة؛ لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ، وما كان من أمور الدين لم يرد عن النبي ﷺ فإنه بدعة).

ولكننا نجيب عن هذا فنقول: إن أشياء كثيرة رتبها العلماء لم تكن مرتبة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا لا يعدو أن يكون بياناً وتوضيحاً، فالذين قسموه إلى ثلاثة أقسام لم يأتوا بزائدٍ، ولم ينكروا ثابتاً، بل أتوا بما جاء به الكتاب والسنة، ولكن قسموه، وقسموه باعتبار اختلاف الناس فيه، كما سيُبين إن شاء الله. ولو أننا سلطنا هذا المسلك الذي سلكه هذا الشاذ لقلنا أيضاً: إن عدَّ شروط الصلاة، وأركانها، وواجباتها، وأركان الحج، وواجباته، ومحظوراته، وما أشبه ذلك، لقلنا: إنه من البدع.

ونحن لا نذكر هذا متعبدين لله به، ولكننا نذكر هذا مقربين للعلم إلى طلابه، فهو إذاً وسيلة وليس قصداً، فالصواب بلا شك أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وذكر الشروط والأركان والواجبات والمفصلات في العبادات، كل هذا جائز؛ لأنه من باب الوسائل والتقريب، وحصر الأشياء لطالب العلم.

ونحن نذكر أن الرسول ﷺ كان يذكر الأشياء محدودةً بالعدد، مثل: [سبعة يظلمهم الله في ظله]²، و[ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة]³، وأشبه ذلك، وهذا نوع من التقسيم.

أما توحيد الربوبية: فلم ينكره أحدٌ من الناس، فكل من أقرَّ بأن هذه الخليقة لها خالق فإنه لم ينكره، إلا مكابرةً، والمكابرة ما فيها فائدة، فمثلاً: فرعون أنكر أن يكون هناك رب، وقال لقومه: {يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي⁴} ولكن هذا الإنكار إنكارٌ باللسان، فهو جحد مع التيقن في القلب بأن الأمر خلاف ذلك، ودليل هذا قول الله تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا⁵}، يعني: جحدوا بها ظلمًا وعلوًّا مع أن أنفسهم مستيقنة بها.

وقال موسى وهو يناظر فرعون: {لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ⁶}، يقوله لفرعون، ولم ينكر فرعون هذا.

¹ سورة مريم، الآية (٦٥).

² أخرجه البخاري رقم (629)، ومسلم رقم (1031).

³ أخرجه مسلم رقم (106).

⁴ سورة اقصص، الآية (٣٨).

⁵ سورة النمل، الآية (١٤).

⁶ سورة الإسراء، الآية (١٠٢).

فدل ذلك على أنه لا أحد ينكر ربوبية الله عز وجل ممن يعتقد أن لهذه الخليقة خالقًا، وأما من أنكر بالكلية فهذا شيء خلاف الفطرة، وهؤلاء المنكرون لا يُعتبرون من بني آدم، ولا من ذوي الفهوم إطلاقًا!!

وأما توحيد الألوهية: فقد أنكره أناس أذكىء، عندهم عقل إدراكي لا عقل إرشادي، مثل المشركين -كفار قريش- أنكروا توحيد الألوهية مع إقرارهم بتوحيد الربوبية إقرارًا كاملاً، لكن توحيد الألوهية أنكروه وجعلوا مع الله إلهًا آخر. والذي بُعث من أجله الرسل، وأُنزلت من أجله الكتب هو هذا التوحيد، قال الله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}**⁷.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات: أقر به المسلمون كلهم، لكن أنكره بعض طوائف من المسلمين -يعني ممن يقرون بتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية-، أنكروا شيئًا من توحيد الأسماء والصفات، فمنهم من عطَّل، ومنهم من مَثَّل، ولهذا انقسم الناس في باب الأسماء والصفات إلى ثلاثة أقسام:

(1) مُمَثِّلَةٌ، (2) مُعَطَّلَةٌ، (3) أهل حديثٍ وسنة، مُتَّبِعُونَ على وجه لائق بالله.

فمن ثمَّ اضطر العلماء إلى أن يُقسموا التوحيد إلى هذه الأقسام؛ لِيُبَيِّنُوا للناس من خالف في هذا التوحيد، ومن وافق. وعلى هذا: فالأمة الإسلامية، بأهل سنتها، وأهل بدعتها؛ كلها أُمَّةٌ مسلمة ما لم تصل البدع إلى حد التكفير. وهؤلاء يقرون بتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، لكن خاضوا في الأسماء والصفات خوضًا عظيمًا، وافترقوا فيه فرقًا عظيمة، فلذلك اضطر العلماء رحمهم الله إلى أن يكتبوا في باب الأسماء والصفات، ويبينوا للناس الحق فيها، ما بين مختصر، ومتوسط، ومطول، حتى يستقر الحق في قلوب المؤمنين، ومن ذلك هذه الرسالة، يقول مؤلفها:

"الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين".

أما "الحمد لله رب العالمين" فقد أثنى الله بها على نفسه في قوله في سورة الفاتحة: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**⁸.

"والعاقبة للمتقين" كذلك أخبر الله بها في كتابه: **{تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}**⁹، مؤكدة ب(إن)، وهذا يعني أن الإنسان يجب عليه أن ينتظر الفرج، وأن يصبر ما دام متقيًا لله عز وجل، فالعاقبة ستكون له، وإذا قلنا: "ستكون له" ليس المعنى أنه يجب أن يدرك هذه العاقبة في حياته، أبدًا، ليس شرطًا، قد تكون العاقبة له فيما يدعو إليه من الحق ولو بعد مماته، ولهذا نجد بعض الدعاة مات بالتعذيب، ولم يذق حلاوة العاقبة التي أمر الله بها، لكن كان قوله من بعده مَوروثًا عنه، فيكون قد ذاق طعم العاقبة التي للمتقين.

"ولا عدوان إلا على الظالمين" العدوان هنا عُدوانٌ مُكافئةٌ وليس ابتداءً؛ لأن العدوان الابتدائي ظلمٌ، والظالم لا يفلح،

⁷ سورة الأنبياء، الآية (٢٥).

⁸ سورة الفاتحة، الآية (2).

⁹ سورة هود، الآية (٤٩).

لكن العدوان الذي هو ردعٌ للظلم هذا يكون على الظالمين، كما قال الله تعالى: **{فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ}**¹⁰؛ كل ظالم نعتدي عليه بمثل ظلمه، واعتداؤنا عليه ليس من باب الظلم، بل هو من باب إزالة الظلم.

"وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له" وقد سبق بيانها في الدرس الماضي، ولا حاجة للتكرار.

"الملك الحق المبين" هو جل وعلا مَلِكٌ، وهو مَالِكٌ، ولهذا جاءت قراءتان في سورة الفاتحة: **{مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ}**، و **{مَالِكِ}**

يَوْمِ الدِّينِ}¹¹، والقراءتان سبعيتان صحيحتان، وإذا ضَمَمْتَ إحداهما إلى الأخرى صار المعنى: أنه مَلِكٌ مَالِكٌ، (مَلِكٌ)

و(مَالِكٌ)، وأيهما أبلغ في الوصف؟

إن قلت: (مَلِكٌ) أخطأت، وإن قلت: (مَالِكٌ) أخطأت.

لأن (المَالِكِ) مُلكه محدودٌ، أنا أَمَلِكٌ مالي وأَمَلِكٌ التصرف فيه، لكن ليس لي سلطان المَلِكِ، المَلِكِ سلطته عامة، ووصفه: المَلِكِ والسُّلطان.

لكن قد يكون هناك (مَلِكٌ) بلا مُلك، أي أنه: مَلِكٌ لكن ليس بمَالِكِ، أليس هكذا؟ نعم يوجد حتى الآن في عهدنا من يسمى

(مَلِكٌ وهو ليس بمَالِكِ) مثل: ملكة بريطانيا، هي ملكة لكن ليس لها نصيب من الملك، كذلك أيضًا يوجد بعض الملوك

يكون قاصراً ضعيفاً ويدبر المملكة سواه، فهذا مَلِكٌ وليس بمَالِكِ، هناك (مَالِكٌ وليس بمَلِكِ)، وهذا كثيرٌ.

والله عز وجل "مَلِكٌ مَالِكٌ" ولهذا جاءت القراءتان: **{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}**.

من أسماء الله تعالى: "المَلِكِ"، يعني: ذو السُّلطة العالية العليا، التي ليس فوقها سلطة، وليس مثلها سلطة.

"الحق" ضد الباطل، وهو الثابت الجدير بالأمر، والله تعالى ألوهيته وربوبيته حق، وهو جدير بذلك جل وعلا، وضده

الباطل، ودليل هذا قوله تعالى: **{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ}**¹². وفي الآية الأخرى: **{وَأَنَّ مَا**

يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ}¹³.

"وأشهد أن محمداً عبده ورسوله" أيضاً سبق أن تكلمنا عنها في الدرس الماضي.

"المبين" المبين: هنا لها معنيان: (البَيِّن)، و(الذي أبان)، وكلاهما صحيح، فالله تعالى حق بيِّن لا يخفى على أحد:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

¹⁰ سورة البقرة، الآية (193).

¹¹ سورة الفاتحة، الآية (4).

¹² سورة الحج، الآية (62).

¹³ سورة لقمان، الآية (30).

وهو أيضاً مبين للحق، كما قال الله تعالى في آيات متعددة: {قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} ¹⁴، {وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}، وما أشبه ذلك من الآيات؛ وإنما قلنا: إن (مُبين) بمعنى (يُبين)، لأن (أَبَانَ) تأتي بمعنى: (بَانَ)، ومنه قوله: أَبَانَ الصُّبْحُ، بمعنى: بَانَ الصُّبْحُ وظَهَرَ، فلهذا جعلنا (المُبين) تحتل معنيين: الأول: (البَيِّن) والثاني: (المُبيِّن).

"وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين". خاتمهم أي: آخرهم، فيه خُتموا عليه الصلاة والسلام، ثم إن (الخاتم) أبلغ من (الختم)؛ لأن الخاتم كالطابع على الشيء، والطابع إنما يكون بعد التمام، وقد مثل النبي ﷺ نفسه مع النبيين بمنزلة رجلٍ بنى قصرًا فكان الناس يمرون به ويتعجبون منه إلا موضع لبنة واحدة باقٍ لم يُبنَ، فقال النبي ﷺ: [أنا اللبنة] ¹⁵، يعني وبه كُملَ البناء فهو ﷺ خاتم النبيين، ختم الله به النبوة، وهو كالطابع على نبوتهم. وعليه؛ فمن ادعى أن أحداً من الناس يكون نبياً بعده ﷺ فقد كفر بالله عز وجل؛ لأنه كذب القرآن.

"وإمام المتقين" من هذه الأمة، أم من هذه الأمة وغيرها؟

من هذه الأمة وغيرها، ولهذا في المعراج لما أُسري به ﷺ صار هو إمام الأنبياء، وصلوا وراءه، فهو إمام المتقين من هذه الأمة وغيرها، و"المتقين" هم: الذين اتقوا الله بفعل أوامره واجتنب نواهيه.

"صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين" سبق الكلام عن هذه الجملة في الليلة السابقة.

"أما بعد: فإن الله تعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق".

"الهدى": العلم النافع، "ودين الحق": العمل الصالح.

"رحمة للعالمين" ودليل ذلك قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} ¹⁶.

{وَرَحْمَةً} هذه مفعول لأجله، عاملها قوله: (أرسل)، يعني: أن الله أرسله ليرحم به العالمين؛ وهذا هو الواقع، فإن الرسول ﷺ أرسل فاتبعه عالم من الخلق، فرحمهم الله به.

"وقدوة للعالمين" قدوة أي أسوة؛ فهو ﷺ قُدوتنا، وإمامنا، وأُسوتنا.

"وحجة على العباد أجمعين" هكذا جاءت في عبارة كثير من العلماء: "حجة على العباد أجمعين"، وهذا يقتضي أن يكون

الرسول ﷺ مرسلًا حتى إلى الجن، وحتى إلى الملائكة، وحتى إلى جميع الخلق؛ ولكن إرساله للجن أمرٌ معلومٌ، وإرساله للملائكة فيه نظر؛ ولهذا لو قيل بدل هذه العبارة: "وحجة على من أرسل إليهم أجمعين" لسلمنا من هذا الإشكال وهو أنه: هل هو مرسل إلى الملائكة أم لا؟ فالعبارة السليمة أن يقال: "وحجة على من أرسل إليهم أجمعين" حتى نخرج من هذا

¹⁴ سورة البقرة، الآية (١٨).

¹⁵ جزء من حديث أخرجه البخاري رقم (3535)، ومسلم رقم (2286).

¹⁶ سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

الإشكال، لأننا ليس عندنا علمٌ أنه أرسل إلى الملائكة، والملائكة لا شك أنهم من عباد الله؛ إذًا: فالأسلم في العبارة أن نقول: (إلى من أرسل إليهم أجمعين).

"بيّن به وبما أنزل عليه، من الكتاب والحكمة، كل ما فيه صلاح العباد، واستقامة أحوالهم في دينهم ودنياهم" الذي بيّن هو الله عز وجل، وهذا من لازم كونه تعالى (مُبيّنًا)، أنه بيّن بالرسول عليه الصلاة والسلام، وبما أنزل عليه "من الكتاب" وهو القرآن، "والحكمة" وهي السنة.

"كل ما فيه صلاح العباد، واستقامة أحوالهم في دينهم ودنياهم .." إلى آخره، وهذا أمر يعلمه من تتبع رسالة النبي ﷺ: أن جميع ما يحتاج الناس إليه في صلاح دينهم ودنياهم قد بيّنه الرسول عليه الصلاة والسلام.

قال أبو ذر رضي الله عنه: "لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا"¹⁷؛ فقوله رضي الله عنه: "وما طائر يقلب جناحيه في السماء" معناه أنه بيّن كل شيء.

وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه: (لقد بيّن لكم رسولكم حتى الخراءة!) قال: (نعم، كل شيء علمنا). ثم ساق سلمان رضي الله عنه لهذا الرجل المشرك: (لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي برجيع أو عظم)¹⁸، وعلمنا الرسول ﷺ كيف نلبس، كيف نخلع، كيف نقوم، كيف نقعد، كيف ننام، كل شيء، ما بقي شيء نحتاج إليه إلا بينه.

ثم إنه ﷺ إذا ذكر شيئاً وتبين أن المصلحة في خلافه رجع، قدم المدينة ووجد الناس يُلقحون النخل، يصعد الإنسان إلى الفحل -وهو ذكر النخل-، فيأتي منه بشماريخ، يضعها في شماريخ النخلة، ثم تُلحق وتكون تمرًا جيدًا، لما قدم النبي ﷺ المدينة ووجد أنهم يتكلفون بالصعود والنزول مرتين، مرة في الفحل ومرة في الأنثى، قال: [لو أنكم تركتم هذا]؛ قصده بهذا الإرفاق والتسهيل عليهم، فظنوا أن هذا وحْيٌ من الله، فتركوه، فلما تركوه صار الثمر شيصًا، يعني: فسد، فلما حصل هذا قال النبي ﷺ: [أنتم أعلم بأمور دنياكم]¹⁹. وأذن لهم أن يُؤثروا، ورجع عما قال أولاً؛ لأنه إنما يُبين للناس ما يحتاجون إليه وينفعهم، كل ما يحتاج الناس إليه فإنه أخبرهم به، وقد قال الله تعالى في كتابه: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ}²⁰؛ كل شيءٍ مبينٌ في القرآن.

وذكر لي أو قرأت قديمًا ترجمة للشيخ محمد عبده -المصري المشهور- أنه كان في باريس، وكان في مطعم -والمطعم يضم المسلمين، والنصارى، واليهود، وكل أحدٍ؛ لأنها بلد كفر-، فجاءه رجل من النصارى وقال له: أيها الشيخ، إن كتابكم فيه هذه الآية: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ} فإن كنت مؤمنًا بذلك فأخبرني كيف يُصنع هذا الطعام؟ وهو سندويتش، ورز ولحم وأشياء أخرى. أين هذا موجود في القرآن؟ وهل هذا موجود في القرآن؟ قال: نعم، هذا موجود في القرآن -هذا النصراني يريد أن يكون القرآن كتاب مطبخ! يعلم الناس كيف يطبخون!- قال: موجود في القرآن. قال: أين هو؟ فنأدى

¹⁷ أخرجه الإمام أحمد (5/153).

¹⁸ أخرجه مسلم (262).

¹⁹ أخرجه مسلم (2363).

²⁰ سورة النحل، الآية (٨٩).

صاحب المطعم، وقال: تعال كيف صنعت هذا الطعام؟ قال: صنعت فيه كذا وكذا، وذكر تحضير المواد، وكيف تطبخ وكيف تصلح، فقال الشيخ محمد عبده: هكذا في القرآن! فتعجب النصراني وقال: أين؟ قال: إن الله يقول: **{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}**²¹، وهذه قاعدة في كل شيء، ليست خاصة بالعلم الشرعي، كل شيء لا نعلمه نسأل عنه أهله - المختصين به- وهذا توجيهه، فوجهنا القرآن أننا إذا لم نعلم الشيء نسأل أهل الاختصاص به، فسألنا هذا الرجل فأخبرنا! فبهت الذي كفر، ما يستطيع أن يقول شيئاً.

فإذاً نبينا عليه الصلاة والسلام علم الناس كل شيء، هل علمهم ما يعتقدونه في الله عز وجل في أسمائه، وصفاته، وأفعاله؟

الجواب: نعم، لا شك، هذا أولى ما علمهم، وأوجب ما علمهم، كيف يعلمهم أن يجلس الرجل على الخراءة على وجه معين، ثم لا يعلمهم ما هي صفات الله عز وجل؟!

ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله في قول أهل التفويض -القائلين: إذا جاءتك آية أو حديث في صفات الله ففوضه، لا تتكلم فيه أبداً، وكن معه كالأمي!- يقول رحمه الله: **"إن قول هؤلاء من شر أقوال أهل البدع والإلحاد"**، بل قال: **"إن الفلاسفة لم يتسلطوا على المسلمين إلا بمثل هذا القول"**، لما قال هؤلاء: نحن أميون بالنسبة لمعاني آيات الصفات وأحاديثها، قالوا: أنتم أميون -ومعنى الأمي أي جاهل- وقالوا: نحن أعلم منكم، إذن: سنفسر الآيات والأحاديث على ما نريد؛ لأننا نحن نعلم أن هذا معناها -وهو محرف لا شك-، ولكن الذي يقول: **"أنا أعرف المعنى"** خير من الذي يقول: أنا لا أعرف؛ لأن الذي يقول: أنا لا أعرف قد نادى على نفسه بأنه جاهل، وهذا يدعي أنه عالم فيقول: إذا العلم عندي ما دُمت أنت جاهلاً في معاني هذه النصوص!! إذا العلم عندي ولا تستطيع أن ترد عليه؛ لأن غاية ما عندك أن تقول: لا أعلم، والذي لا يعلم ليس معه سلاح، فإذا كنت لا تعلم فأنا أعلم، المراد بهذا كذا وكذا!! مع أنه يوجد الآن -في كتب من لا يعلمون مذهب السلف على وجه الحقيقة- يوجد في كتبهم أن السلف هم أهل التفويض؛ ولهذا جاء في كلامهم أن أهل السنة قسمان:

أهل تفويض، وأهل تأويل؛ ويعنون بأهل التأويل: أهل التحريف، الذي يقول: **{اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}**²²، أي: استولى، **{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}**²³ أي: بل نعمتان، **{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ}**²⁴، أي: ثواب ربك، وما أشبه ذلك!.

قال أهل السنة قسمان: أهل تفويض، وأهل تأويل، وهذا كذب، أهل السنة ليسوا أهل تفويض، بل أهل معرفة وعلم، لكن يفوضون ما لا يستطيعون الوصول إلى علمه، وهو الكيفية، فيقولون مثلاً: **{اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}** نعلم أن معنى

²¹ سورة النحل، الآية (٤٣).

²² سورة الأعراف، الآية (٥٤).

²³ سورة المائدة، الآية (٦٤).

²⁴ سورة الرحمن، الآية (٢٧).

{استَوَى}: أي علا على العرش، لكن كيف كان ذلك؟ لا نعلم. وهذا هو غاية الأدب مع الله عز وجل؛ أن ما لا يخبرك الله به من أمور الغيب يجب أن تكَلِّ علمه إلى الله سبحانه وتعالى.

فالحاصل: أن الرسول ﷺ علم أمته كل ما يحتاجون إليه في أمور دينهم ودنياهم، حتى إنه إذا تكلم بكلام يظن أنه مناسبٌ ثم تبين أنه ليس كذلك رجع عنه، كما في قصة التأبير.

وبالمناسبة: أخذ بعض العلماء -ولا سيما المتأخرون المعاصرون- أخذوا من قوله: "أنتم أعلم بأمور دنياكم" ما لا يحتمله النص، قالوا: إن هذا شاملٌ للتصرف، وشاملٌ للحكم، بمعنى أننا نحن نعلم كيف نصنع الباب، وكيف نبني البناء، وما نشيده من قصور وغيرها، نعلم هذا، ونعلم أيضاً حكم هذه الأشياء، حتى قالوا: إذا كان الرباً سبباً لرفع اقتصاد البلد فإنه جائز؛ داخل في قوله ﷺ: [أنتم أعلم بأمور دنياكم] وهذا غلط؛ لأن الأحكام مرجعها إلى من؟ إلى الله ورسوله {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} ²⁵، لكن الصنائع، وكيف يصنع هذا، وكيف يحول من وجه إلى وجه، هذا نحن أعلم به، ولهذا يأتي إنسان لا يعرف الدين، ولا يعرف العلم الشرعي، يعرف كيف يصنع مكبر الصوت، ويأتي إنسان عالم من أبرز العلماء في الشرع لا يعرف كيف يشغل هذا الجهاز، أليس كذلك؟ الأول أعلم بأمور الدنيا من العالم، والعالم أعلم بالشرعية من ذلك.

فالحاصل: أن بعض الناس يتوسع في مدلولات الألفاظ، حتى يُحمل اللفظ ما لا يحتمله؛ إما لجهل، وإما لهوى! والله المستعان.

مسائل للفائدة

س- قلنا إن خاتم النبيين محمد ﷺ من قال: أن هناك نبي بعد رسول الله فقد كفر، من كان قال ذلك عن تأويل بمعنى خاتم النبيين أي: زينة الأنبياء، فهل يكفر بذلك ولو تأويلاً؟

ج- نعم، يعتبر كافراً ولو تأويلاً، لكن يُعلم أن هذا التأويل خطأ، وقد جاءت السنة صريحة غاية الصراحة بأنه لا نبي بعد محمد ﷺ، فقال: [ختم بي النبيون] ²⁶، وقال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حين خلفه في غزوه تبوك في أهله، قال: [أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي] ²⁷، وهذا أمر معلوم بالضرورة من الدين ليس فيه إشكال.

س- كفار قريش هل كانوا ينكرون توحيد الأسماء والصفات، لأن بعض العلماء قالوا: إن الله تعالى قال: {وَمَا الرَّحْمَنُ} ²⁸ أن الله ما أنكر عليهم إلا هذا الاسم.

²⁵ سورة الشورى، الآية (١٠).

²⁶ صحيح مسلم (523)، والبخاري (2977).

²⁷ صحيح مسلم (2404).

²⁸ سورة الفرقان، الآية (60).

ج- هم ينكرون بعض الأسماء، (الرحمن) أنكروه حتى إنه في صلح الحديبية لما قال النبي ﷺ للكاتب اكتب [بسم الله الرحمن الرحيم]، قال: (لا ندري ما الرحمن)! وكانوا يقولون: لا رحمن إلا رحمن اليمامة، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: [اكتب باسمك اللهم] كما اقترحه مندوب قريش.

س- كيف نجمع بين قوله تعالى: {خَاتَمَ النَّبِيِّينَ} ²⁹، وبين خروج عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان؟

ج- عيسى عليه الصلاة والسلام لا يأتي بنبوة جديدة، وعيسى قد بعث قبل محمد ﷺ لكنه يأتي مكملًا لرسالته بإذن الرسول عليه الصلاة والسلام وإقراره؛ لأن الرسول ﷺ أخبر بأنه لا يقبل إلا الإسلام، وأنه يضع الجزية، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب؛ وكل هذا من شريعة الرسول عليه الصلاة والسلام.

س- بمناسبة ذكر حديث [أنتم أعلم بأمر دنياكم]، بعض ممن ينتسب للعلم أنكر حديث الذباب الذي يأمر بأنه إذا وقع

في الإناء فإن الإنسان يغمسه مرة واحدة، وجاء فريق آخر يريد أن يرد عليهم فقال: إن هذا حديث الذباب هو حديث صحيح لكنه من باب العادة الذي لم يكن الرسول ﷺ يعلمها، فهل تفسيره هذا صحيح؟

ج- هذا غلط، لأن الرسول ﷺ قال هذا وعلل، قال: [في أحد جناحيه داء، وفي الآخر شفاء] ³⁰ أو [دواء] ³¹، وقد أثبت الطب الآن أن فيه كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء، وأن في أحد الجناحين غدة صغيرة -يمكن لا تدرك ولا بالعين- لا تنفجر حتى يغمس الجناح الآخر ثم يزول ما فيها من الأثر يعني كأنه داء ودواء كما جاء في الحديث.

س- الأكل أو الغمس للإباحة وإلا الحديث هنا على ظاهره؟

ج- هذا للإباحة، يعني الإنسان لو ما اشتهى هذا الشيء بعد أن غمس الذبابة في اللبن لم يشتهيها ما يقال إنك عصيت.

س- أليس (الحق) من أسماء الله؟

ج- نعم من أسماء الله، لكنه لا ينبغي أن يكون كما نسمع الآن كثيرًا في المتأخرين: "قال الحق" بدلًا من "قال الله"؛ فإن

²⁹ سورة الأحزاب، الآية (٤٠).

³⁰ صحيح ابن حبان (1246).

³¹ صحيح ابن حبان (1247).

"الله" أشرف الأسماء؛ فيقول: "قال الله": كما جاء في القرآن كثيراً "قال الله" أما أن يقال: "قال الحق" فإنه لا يعطي الهيبة التي تعطيها "قال الله".

-الدرس الثاني-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

سبق لنا أن العلماء قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام: وهي توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات،
"من العقائد الصحيحة، والأعمال القويمة والأخلاق الفاضلة والآداب العالية"

العقيدة هي: ما يحكم به الإنسان في قلبه، وقد تكون صحيحة، وقد تكون غير صحيحة، يعني يحكم بقلبه على شيء، إن وافق الحق فهو صحيح، وإن خالفه فهو باطل.

والفرق بين العقيدة والعلم: أن العلم تدرك الشيء على ما هو عليه، والعقيدة أن تعقد قلبك عليه، وتثبتته أو تنفيه، فالعقيدة أعم من حيث إنه قد يصيب الإنسان الحق والواقع وقد لا يصيبه، وأما العلم فإنه يصيبه قطعاً، وهي أخص من حيث أن العلم إدراك، والعقيدة حكم؛ ولهذا فسرها بعضهم بأنها حكم الذهن الجازم، فحكم الذهن الجازم هو العقيدة، فإن طابق الواقع أو طابق الشرع في الأمور الشرعية فحق، وإلا فهي باطلة، فصار الفرق بين العقيدة والعلم؟ أن العلم إدراك بلا حكم، وأما العقيدة فهي حكم.

ثانياً: أن العلم يطابق الواقع، والعقيدة قد تخالف الواقع، ولهذا قد تعتقد أن فلاناً تاجر وليس بتاجر، أو عالم وليس بعالم، وتعتقد أن هذا حرام وليس بحرام، لكن تعلم أنه حرام معناه أنه حرام، مثل قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ} ³² تقول: حرام لأنها صريحة.

فالعقيدة إذا هي حكم الذهن الجازم، فإن طابق فصحيح، وإن خالف ففاسد.

"والأعمال القويمة"، الأعمال القويمة تشمل العبادات؛ لأنها أعمال قويمة، كما قال تعالى: {دِينًا قِيَمًا} ³³

"والأخلاق الفاضلة"، الأخلاق: ما يتخلق به الإنسان في معاملة الناس من اللين والبشاشة وما إلى ذلك.

"والآداب العالية"، ما يتأدب به الإنسان في نفسه، بحيث لا يعمل أعمالاً تخل بالمروءة.

³² سورة المائدة، الآية (3).

³³ سورة الأنعام، الآية (161).

"فترك أمته ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك".

(المحجة): الطريق، و(البيضاء): ضد السوداء وغيرها من الألوان، فهي طريق أبيض نير لا يزيغ عنه إلا هالك.

"فسار على ذلك أمته الذين استجابوا لله ورسوله، وهم خيرة الخلق من الصحابة والتابعين والذين اتبعوهم بإحسان".

خيرة الخلق -طبعًا بعد الأنبياء؛ لأن أفضل الخلق هم الأنبياء- ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون، والأصناف الثلاثة بعد النبيين كلها موجودة في الصحابة، ففهم: الصديق وفهم الشهيد وفهم الصالح. فهم خيرة هذه الأمة.

"فقاموا بشريعته، وتمسكوا بالسنة، وعضوا عليها بالنواجذ: عقيدة وعبادة وخلقًا وأدبًا، فصاروا هم الطائفة الذين لا يزالون على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك".

وهذا كما حدّث به النبي ﷺ بأنه: [لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله] ³⁴ وهم على ذلك، فما هو أمر الله؟

أمر الله سبحانه وتعالى هو: الأمر الكوني الذي يقضي بفناء كل أهل الخير حتى لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، كما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام، وكما ثبت عنه أنه قال: [لا تقوم الساعة حتى لا يقال: الله الله!] ³⁵ فيفنى المؤمنون كلهم ولا يبقى إلا شرار الخلق، فالمراد إذاً بأمر الله الأمر الكوني الذي فيه فناء الصالحين.

"ونحن -ولله الحمد- على آثارهم سائرون وبسيرتهم المؤيدة بالكتاب والسنة مهتدون".

هذا خبر عن عقيدة المؤلف، وليس من باب التمدح، وإن كان الإنسان مأمورًا بأن يثني على الله عز وجل ويحدث بنعمته كما قال تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} ³⁶

فيقول: "ونحن على آثارهم سائرون، وبسيرتهم المؤيدة بالكتاب والسنة"، وقوله: المؤيدة بالكتاب والسنة هذا وصف كاشف، وليس وصفًا مقيدًا؛ لأن سيرة أولئك القوم كلها مبنية على الكتاب والسنة، وهذا من حيث الجملة -وإن كان بعضهم قد يخطئ، فلا يصيب السنة- لكن من حيث الجملة هم مصيبون؛ لأنهم على الكتاب والسنة.

"نقول ذلك تحدّثًا بنعمة الله تعالى وبيانًا لما يجب أن يكون عليه كل مؤمن".

إنما قال المؤلف ذلك لئلا يقال: أنه يفخر بنفسه أن كان على سيرة هؤلاء، فهو يقول ذلك من باب التحدث بنعمة الله، وكذلك بيان ما يجب أن يكون عليه كل مؤمن.

"ونسأل الله تعالى أن يثبتنا وإخواننا المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب".

"ولأهمية هذا الموضوع وتفرق أهواء الخلق فيه، أحببت أن أكتب على سبيل الاختصار "عقيدتنا"، عقيدة أهل السنة والجماعة".

³⁴ أخرجه البخاري (3641)، ومسلم (174/1037).

³⁵ أخرجه مسلم (1942).

³⁶ سورة الضحى، الآية (11).

قوله: "على سبيل الاختصار": يقول العلماء: المختصر هو الذي قلَّ لفظه وكثر معناه، لأن الكلام ينقسم إلى ثلاثة أقسام إطنابٌ واختصارٌ واقتصار.

الإطناب: أن يزيد اللفظ على المعنى.

والاقتصار: أن يكون اللفظ مساويًا للمعنى.

والاختصار: أن يكون اللفظ أقل من المعنى، بمعنى أن يكون ألفاظًا قليلة ولكنها تحمل معاني كثيرة.

يقول: "عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره". أي أركان الإيمان الستة، وعلى هذا فيكون هذا الكتاب متضمنًا لذلك: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

"سائلًا الله تعالى أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه، موافقًا لمرضاته، نافعًا لعباده".

عقيدتنا

ثم شرع المؤلف ببيان ذلك على التفصيل، فقال: "عقيدتنا".

"عقيدتنا: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره".

هذا مجمل العقيدة، ولهذا ذكره شيخ الإسلام رحمه الله في (العقيدة الواسطية)، وبني كتابه على ذلك.

هذه عقيدة مجملة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ودليل هذا حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث جاء جبريل إلى النبي ﷺ وقال: (أخبرني عن الإسلام فأخبره)، ثم قال: (أخبرني عن الإيمان)، فقال: [أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره] ³⁷.

"فنؤمن بربوبية الله تعالى"، يعني هذا التفصيل إذا قيل: كيف الإيمان بالله؟ نؤمن أولاً بربوبية الله تعالى.

"أي بأنه الرب الخالق المالك المدبر لجميع الأمور".

هذه هي الربوبية، تتضمن ثلاثة أشياء:

أولاً: (الخلق): فالله تعالى خالق كل شيء.

ثانيًا: (الملك): فالله تعالى مالك كل شيء.

ثالثًا: (التدبير): التدبير كله لله.

هذه هي الربوبية. أعيدها مرة ثانية: الخلق، والثاني: الملك، والثالث: التدبير.

دليل هذا قول الله تبارك وتعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} ³⁸ الخلق واضح، و"الأمر": التدبير، ودليل "الملك" قوله تعالى:

{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ³⁹ فهذه الأمور الثلاثة هي معنى الربوبية.

³⁷ أخرجه مسلم رقم (3).

³⁸ سورة الأعراف، الآية (54).

³⁹ سورة آل عمران، الآية (189).

فإن قال قائل: أليس الإنسان يوصف بالربوبية، فيقال: "رب الدابة"، و"رب البيت"، وقال النبي ﷺ في الضالة: [دعها فإن معها سقاءها وحذاءها، ترد الماء، وتأكل الشجر، حتى يجدها ربه] ⁴⁰ وقال في الحديث: [أن تلد الأمة ربه] ⁴¹، كما في بعض ألفاظ البخاري؟!.

فالجواب أن نقول: الربوبية المضافة إلى المخلوق ليست كالربوبية المضافة إلى الخالق، وهذا كما أن الإنسان له سمع والله له سمع، ولكن يختلف معنى السمع بالنسبة للخالق والمخلوق، فكذلك الربوبية.

"الملك"، لو قال قائل: أليس قد أثبت الله الملك للمخلوقات؟

الجواب: بلى، كما قال الله تبارك وتعالى: {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} ⁴²؛ {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} ⁴³؛ ولكن يقال: الفرق عظيم، ملك الله سبحانه وتعالى تام شامل، أي يفعل في ملكه ما شاء، شامل لكل شيء سوى الله، ملك الأدمي قاصر مقيد، فلا يملك كل شيء، ثم ملكه للشيء ليس ملكاً مطلقاً يفعل ما شاء، بل هو مقيد بالشرع، ولهذا نُهي عن إضاعة المال، ونهي عن إفساده، ونهي عن بعض التصرفات المحرمة التي يريد بها الإنسان، لكنه لا يستطيع؛ لأنه ممنوع منها.

والثالث: "التدبير"، أليس للإنسان تدبير؟

بلى، يدبر، لكن هل مثل تدبير الله؟ أبداً، فالله تعالى يدبر الأمر في كل شيء، وأما الإنسان فتدبيره خاص بنفسه، أو بملكه الذي يملكه.

إذاً نؤمن بربوبية الله تعالى، أي أنه الرب الخالق المالك المدبر لجميع الأمور.

الدليل على أنه المالك: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ⁴⁴؛ وعلى أنه منفرد بالخلق والتدبير: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} ⁴⁵.

"ونؤمن بألوهية الله تعالى، أي: بأنه الإله الحق، وكل معبود سواه باطل"، وهذا توحيد الألوهية.

والإله بمعنى: المألوه، فهو فعّال بمعنى: مفعول، ترد كثيراً في اللغة العربية مثل: "غراس، بمعنى: مغروس، وبناء، بمعنى: مبني، وفراش، بمعنى: مفروش"، ف(إله)، بمعنى: (مألوه)، فما معنى المألوه؟ معناه: المعبود تذلاً ومحبة، هذا هو المألوه.

قد يعبد الإنسان الشيء لكن ليس تذلاً، كما قال النبي ﷺ: [تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم تعس عبد

الخميصة] ⁴⁶ لكنه ليس تذلاً وتعبدًا لله تعالى ومحبة، لكن تعلق قلبه به جعله كالعابد له.

قلنا: الإله بمعنى المعبود تذلاً له ومحبة.

⁴⁰ أخرجه البخاري (2428)، ومسلم (1722).

⁴¹ أخرجه البخاري (50).

⁴² سورة النور، الآية (61).

⁴³ سورة النساء، الآية (3).

⁴⁴ سورة آل عمران، الآية (189).

⁴⁵ سورة الأعراف، الآية (54).

⁴⁶ أخرجه البخاري، رقم (2886، 2887).

"كل معبود سواه فإنه باطل"، ودليل هذا قوله تبارك وتعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ⁴⁷ ما يُعبد من دون الله فإنه إله، لكنه إله باطل، مجرد تسمية، كما قال الله تعالى: {إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا} ⁴⁸ والدليل على أنها (آلهة) أن الله سماها آلهة، فقال تعالى: {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} ⁴⁹ وقال تعالى: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} ⁵⁰ لكنها ألوهية باطلة، مجرد اسم، ولهذا قال: (وما سواه باطل)، فما هو الدليل على هذه الجملة؟ الدليل قوله تعالى: {ذَلِكِ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} ⁵¹

"ونؤمن بأسمائه وصفاته، أي بأن له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا".

نؤمن بذلك لأن الله تعالى قال: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} ⁵² فأنبت لنفسه سبحانه وتعالى الأسماء الحسنى، فنؤمن بذلك. نؤمن بصفاته العليا؛ لأن الله تعالى قال: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} ⁵³ ولمثل بمعنى: الوصف، والدليل على أن (المثل) بمعنى الوصف قوله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعد الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ} ⁵⁴ إلى آخره، مثلها أي: وصفها. إذا نؤمن بأن الله تعالى له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، والدليل ما ذكرنا لكم {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}، {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} ⁵⁵ أما الصفات العليا فلقوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى}، و(الأعلى) - كما تعلمون - اسم تفضيل، فصفات الله تعالى أعلى ما يكون من الصفات.

إذا قال قائل: ما الفرق بين الأسماء والصفات؟

قلنا: الفرق بينهما أن الأسماء تسمى الله بها، وأما الصفات فوصف الله بها نفسه، والصفات أعم من الأسماء، لأن كل اسم متضمن للصفة، وليس كل صفة متضمنة للاسم، ولهذا نصف الله بأنه صانع، كما قال الله: {صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} ⁶ لكن هل نسميه بأنه الصانع؟ لا.

كذلك أيضاً نصف الله تعالى بأنه يستهزئ بالمنافقين، لكن هل نسميه المستهزئ؟ لا. كذلك نصف الله بأن يمكر بمن مكر به وبأوليائه، ولا نسميه الماكر. فالصفة أعم من الاسم، إذ كل اسم متضمن لصفة، وليس كل صفة متضمنة للاسم.

سؤال: هل يصح أن نقول على الله (عالم)؟

⁴⁷ سورة آل عمران، الآية (18).

⁴⁸ سورة النجم، الآية (23).

⁴⁹ سورة هود، الآية (101).

⁵⁰ سورة القصص، الآية (88).

⁵¹ سورة الحج، الآية (62).

⁵² سورة الأعراف، الآية (180).

⁵³ سورة النحل، الآية (60).

⁵⁴ سورة محمد، الآية (15).

⁵⁵ سورة طه، الآية (8).

⁵⁶ سورة النمل، الآية (88).

الجواب: نقدر أن نقول: عالم بكل شيء، لأن (العليم) أبلغ من العالم، لكن نخبر عنه بأنه عالم، لكن لا نسميه بهذا.

سؤال: هل يجوز القسم بالصفة؟

الجواب: القسم بصفة الله يجوز، وقد جاء ذلك في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: [لا ومقلب القلوب] ⁵⁷ وكذلك أيضًا: [والذي نفسي بيده] ⁵⁸ وما أشبه ذلك، فيجوز أن تقول: (وعزة الله)، (وقدرة الله). والله تعالى أخبرنا أن الشيطان {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} ⁵⁹ وهذا قسم، بدليل أن جوابه قرن باللام ونون التوكيد. فيجوز أن تقسم بكل صفة من صفات الله، لكن بكل صفة معنوية، فلا يجوز أن تقول: (ويد الله)، أما (وجه الله) فإنه لما كان يعبر بالوجه عن الذات صح أن تقسم بوجه الله، فتقول: (أقسم بوجه الله) لأفعلن كذا، لكن لا تقل: أقسم بيد الله، أما الصفات المعنوية فلا بأس، (أقسم بعلم الله)، و(أقسم بحياة الله) هذا يجوز.

سؤال: ما الفرق في التعبير من باب الوصف أو الإخبار؟

الجواب: الصفة ما قام بالموصوف، والإخبار ما أخبر به عن الشيء، وقال العلماء: الخبر أوسع من الاسم، إذ يجوز أن تخبر عن الله تعالى بكل ما لا ينافي كماله، ولكن لا تسمه به.

سؤال: اشتهر عند الناس أنهم يدعون الله بهذين الاسمين: (يا حَنَّان يا مَنَّان)، هل هذا صحيح؟
الجواب: أما يا منان فثابت، وأما يا حنان فلم يثبت عن النبي ﷺ أنه سعى الله بالحنان.

سؤال: كيف يرد عليهم؟

الجواب: يرد عليهم: لا تقل يا حنان، قل: يا منان، يا بديع السموات والأرض.

سؤال: كل اسم متضمن لصفة هل يلزم أن تكون الصفة مشتقة من الاسم؟

الجواب: لا، أو الاسم مشتق من الصفة، العليم مشتق من العلم، ولهذا القول الصحيح عند النحويين أن الأصل هو المصدر، والفعل مشتق منه، واسم الفاعل مشتق منه، واسم المفعول مشتق منه.

سؤال: ما الفرق بين (لا معبود حق إلا الله)، و(لا معبود بحق إلا الله)؟

الجواب: نعم الفرق بينهما أنك إذا قلت: (لا معبود حق إلا الله) صار هذا أوفق للقرآن: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} ⁶⁰

⁵⁷ البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٦٦٢٨.

⁵⁸ مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٢٢٢.

⁵⁹ سورة ص، الآية (82).

⁶⁰ سورة الحج، الآية (62).

وأنه لا يحتاج إلى تقدير؛ لأنك إن قلت: (لا معبود بحق) فالجار والمجرور خبر متعلق بمحذوف تقديره: لا معبود كائن بحق، أما إذا قلت: (لا معبود حق) فإن الخبر هو الموجود ولا حاجة إلى تقدير، لكن لو قلت: لا معبود موجود يصح؟ لا، لماذا؟ لأن فيها (لا معبود موجود إلا الله) صارت الأصنام كلها هي الله عز وجل، وهذا منكر عظيم.

-الدرس الثالث-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

"ونؤمن بوحديته في ذلك، أي بأنه لا شريك له في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، قال الله تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} ⁶¹.

ونؤمن بأنه {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} ⁶²."

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

سبق أننا نوّمن بربوبية الله، وبألوهية الله، وبأسمائه وصفاته، أي بأن له الأسماء الحسنى والصفات العليا، وبيّنا معنى (الحسنى): التي بلغت في الحسن أكمله، و(العليا) أيضا كذلك: التي بلغت الوصف الأعلى، واستدللنا لذلك.

يتفرّع على هذا الذي قلنا - أن الأسماء التي أثبتها الله لنفسه أنها حسنى -:

أنه لا يوجد في أسمائه اسم جامد لا يدل على صفة، أبداً، لأن الاسم الجامد ليس فيه معنى، فضلاً على أن يكون معنئ حسناً، مثال الجامد: (أسد) اسم جامد، كذلك أيضا ربما نسي بعض الناس (خالد) هل صحيح أن هذا الاسم متضمن

⁶¹ سورة مريم، الآية (65).

⁶² سورة البقرة، الآية (255).

للصفة؟ لماذا؟ لأن الله تعالى يقول: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ} ⁶³، ربما نسمي شخصًا (عبد الله) وهو من أفجر عباد الله، فليس عبدًا لله، وربما نسمي شخصًا (محمد) وهو مذمم، ليس عنده خصلة حميدة، لكن أسماء الله متضمنة للمعنى.

ولهذا قيل: إن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف، كل اسم فهو "عَلَمٌ" باعتبار دلالته على الذات، وهو أيضا "صفة" باعتبار دلالته على المعنى، أي: (اعتبار أن هذا الاسم دال على الله يكون علما، وباعتبار دلالته على المعنى يكون صفة).

هل يدخل في ذلك اسم (الله)؟

نعم يدخل في هذا، بل هو أولى ما يدخل، وأول ما يدخل، مع أن بعض العلماء رحمهم الله قالوا إن (الله) ليس بمشتق بل هو مجرد علم، فنقول: سبحانه الله، إن الله تعالى يقول: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} ⁶⁴ كيف تقولون مجرد علم؟؟ وهذا أولى ما يكون، وأول ما يكون من الأسماء التي هي حسنى.

فما هو المعنى المشتق الذي يدل عليه (الله)؟ الجواب: الألوهية. وهذا كافٍ.

أما الصفات فكلها عليها، ولهذا لا يوصف الله تعالى بصفة فيها ذمٌ إطلاقاً، كل صفات الله منزهة عن الذم والقدح، كلها عليها، وبيننا الدليل بقوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} ⁶⁵.

فإذا قال قائل: هل يوصف الله بأنه (مُتَكَلِّم)؟

نعم يوصف، ولكن لا يسمى بأنه (مُتَكَلِّم).

لماذا؟ لأن الكلام في حد ذاته صفة عليها، لكن باعتباره اسماً لا يصح أن يكون اسماً، لأن المتكلم قد يتكلم بخير وقد يتكلم بشر أو بما ليس خيراً، وكلام الله تعالى منزّه عن ذلك، لذلك لم يأت اسماً من أسماء الله .

(مريد) هل يوصف الله به؟

⁶³ سورة الأنبياء، الآية (34).

⁶⁴ سورة الأعراف، الآية (180).

⁶⁵ سورة النحل، الآية (60).

نعم، لأن الله تعالى قال: {فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ} ⁶⁶، لكن هل يسعى الله به؟ لا.

لماذا؟ لأن الإرادة تكون خيراً وتكون غير خير، شراً أو لا خير ولا شر. والله سبحانه وتعالى منزّه عن إرادة لا خير فيها، كل إرادة الله خير، وأما (مراده) فيه خير وشر، -انتبه- (الإرادة) خير و(المراد) فيه خير وشر.

فمثلاً: كل مخلوق فهو بإرادة الله، فهل كل المخلوقات خير؟ لا، ففي المخلوقات ما هو شر كالسباع والهوام وما أشبهها، لكن إرادة الله لها لا شك أنها خير، أن الله لم يخلقها إلا لحكمة عظيمة.

"له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا"، وربما يأتيها إن شاء الله "القواعد" في هذا الأمر مهمة إن شاء الله نتكلم عليها .

"ونؤمن بوحدايته في ذلك"

(في ذلك) المشار إليه: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

"أي: بأنه لا شريك له في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته"

لأنه لا يمكن توحيداً إلا بهذا، للتوحيد ركنان لا بد منهما: إثبات الحكم للموحد، ونفيه عمّا سواه؛ ولهذا نقول التوحيد لا بد فيه من ركنين (نفي وإثبات)؛ وذلك لأن النفي عدم محض، والإثبات لا يمنع المشاركة.

فاذا قلت: (لا قائم في البيت) هذا نفي محض، هل هو عدم أم وجود؟ عدم، لا يوجد قائم في البيت.

وإذا قلت: (فلان قائم في البيت)، هنا أثبتنا القيام في البيت لكنه لا يمنع المشاركة، فقد يكون فيه آخر قائم غير فلان.

وإذا قلت: (لا قائم في البيت إلا فلان) هنا صار التوحيد، وحدت فلانا بالقيام، فنفيت القيام عن غيره وأثبتته له، فانتبهوا أنه لا يمكن توحيد إلا بنفي وإثبات.

فإذن نوحده الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ولهذا جاء كلام العلماء في مسألة الصفات: (أننا نؤمن بها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل).

"قال الله تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}."

⁶⁶ سورة البروج، الآية (16).

{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، أي: خالقهما ومالكهما ومدبرهما؛ لأن الرب هو الخالق المالك المدبر.

{السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا}: ذكر الله (ما بينهما) على أنه عدل للسماوات والأرض، وكان الإنسان في الأول يتصور أنه ليس بين السماء والأرض إلا أشياء لا تناسب للسماوات والأرض في العظمة والقوة، لكن بعد أن ترقى الناس في علم الكون تبين أن بين السماء والأرض أشياء يحق أن تكون عديلة للسماوات والأرض، يعني تجدون في القرآن الكريم {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا}⁶⁷ كيف نص على {وَمَا بَيْنَهُمَا} مع أنه فضاء ولا نشاهد إلا نجوماً وقمرًا وشمسًا؟، نقول بين السماء والأرض من مخلوقات الله العظيمة ما يقتضي أن يكون معادلًا للسماوات والأرض، ولهذا تجد الناس الآن كل وقت يطلعون على أسرار في الكون بين السماء والأرض لم يعلم الناس عنها من قبل .

وقوله: "{فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ}" : اعبده أي: تدلل له، امتثالاً لأمره واجتناباً لنهيه.

{وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ}، أي: اصبر، لكن (اصطبر) أبلغ من (اصبر)؛ لأن (اصطبر) أصلها: (اصْتَبِرَ)، التاء لكن قلبت التاء طاء لعلّة تصريفية، و(الاصطبار) تدل على معاناة الصبر، تدل على المعاناة فهي أبلغ من كلمة اصبر.

وقوله: "{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}" هذا نفي بمعنى النبي، يعني لا تعلم له مضاهياً ونظيراً وذلك لكمال صفاته.

ذكرنا فيما سبق أن هذه الآية اشتملت على أقسام التوحيد الثلاثة: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

الربوبية: -واضح- {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا}.

الألوهية: {فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ}؛ لأن هذا القسم من التوحيد يطلق عليه توحيد (الألوهية) و(توحيد العبودية)، فهو باعتبار الإنسان: توحيد عبودية، وباعتبار الله عز وجل: توحيد ألوهية.

{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} فهذا فيه توحيد الأسماء والصفات.

وقال: "ونؤمن بأنه: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.....}" إلى آخره.

⁶⁷ سورة السجدة، الآية (4).

نحن في هذا الكتاب جعلنا الحُكم هو الدليل، ولهذا نحرص على أن يكون كلامنا هو نفس الدليل. فهنا آية الكرسي تضمنت أسماء وصفات، لم نقل: (نؤمن بأنه الله الحي القيوم... وما أشبه ذلك)، ولكننا سقنا الآية، فصار الآن الحكم داخل الدليل.

"ونؤمن بأنه: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.....}"

{اللَّهُ} مبتدأ، وجملة {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} خبر المبتدأ، وما بعده أخبار متعددة، {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} جملة خبر المبتدأ، {الْحَيُّ} خبر ثانٍ، {الْقَيُّومُ} خبر ثالث، {لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ} خبر رابع، إلى آخر الآية، لإقوله: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}.

{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}، معنى {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}، أي: لا معبود حق إلا هو.

{الْحَيُّ الْقَيُّومُ} "ال" هنا للشمول والعموم والكمال، يعني ذو الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء. فالله عز وجل حي أزلا وأبدا لم يسبق حياته عدم، ولا يلحقها فناء، قال الله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ⁶⁸. وسيأتي إن شاء الله هذه الآية في محلها.

وكلمة {الْحَيُّ} قلنا أنها الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، وهي أيضا كاملة أي متضمنة لمعنى الحياة الكامل من كمال الصفات، لأن الحياة قد تكون ناقصة، رأيت حياتنا نحن ناقصة من حيث سبقت بعدم وملحوقه بفناء، ثم نفس الحياة الوجودية ناقصة، فالإنسان يعتره المرض في بصره في سمعه، في عقله، في بدنه، ناقصة لكن حياة الله لا يعترها نقص فهي حياة كاملة من كل وجه.

وقوله: {الْقَيُّومُ}: -وزنها من حيث التصريف- فعيول أم فيعول؟ الجواب: (فَيُعُول)، فهو قائم بنفسه، قائم على غيره، قال الله تعالى: {أَقَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} ⁶⁹. هذا يدل على أنه قائم على غيره.

وقال تعالى: {هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} ⁷⁰، الغني معناه: أنه قائم بنفسه، غير محتاج لغيره عز وجل.

⁶⁸ سورة الحديد، الآية (3).

⁶⁹ سورة الرعد، الآية (33).

⁷⁰ سورة لقمان، الآية (26).

فالقيوم إذاً: هو القائم بنفسه القائم على غيره. فهو قائم بنفسه مستغن عن كل أحد وغيره مفتقر إليه، لقول الله تعالى: **{أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ}**، وقال تعالى: **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ}**⁷¹.

{لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ}: **{لَا تَأْخُذُهُ}** أي: لا تغلبه، **{سِنَّةٌ}** وهي النعاس، والنوم واضح معروف، وإنما انتفى عنه السنة والنوم لكمال حياته، لأن النوم لا يحتاج إليه إلا من كان ناقص الحياة، والدليل على ذلك أن النوم يكون راحة لما مضى ونشاطاً لمن يُستقبل، كلما تعب الإنسان احتاج إلى النوم، فالله عز وجل لكمال حياته لا تأخذه سنة ولا نوم.

وهل يمكن أن نقول: (وكمال قيوميته) أيضاً؟

نعم، ويمكن أن نقول: (وكمال قيوميته)، لأنه إذا كان قائماً على كل شيء لزم من ذلك ألا ينام، فلو نام فمن الذي يقوم على الخلق؟!.

إذا هذا النفي **{لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ}** متضمن لكمال حياته وكمال قيوميته.

{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}، **{لَهُ}**: خبر مقدم، **{وَمَا}**: مبتدأ مؤخر.

{مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} يعني: ما كان فيهما.

وتقديم الخبر يدل على الحصر، أي: أن ما في السموات والأرض لله لا يشاركه فيه أحد.

{مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}

{مَنْ}: هذه اسم استفهام، والاستفهام هنا بمعنى النفي.

{ذَا}: زائدة. و**{الَّذِي}**: خبر المبتدأ، يعني: من الذي يشفع عنده إلا بإذنه.

لو قال قائل: أليست **{ذَا}** إذا أتت بعد الاستفهام تكون اسماً موصولاً، كما قال ابن مالك:

ومثل ذا ما بعد ما استفهام أو من إذا لم تلغ في الكلام؟

⁷¹ سورة الروم، الآية (25).

قلنا: بلى، لكن إذا جاء بعدها اسم الموصول تعين أن تكون ملغاةً، وهنا جاء بعدها اسم موصول، ولو كان ترتيب الآية (من ذا يشفع) لقلنا (ذا) هنا اسم موصول، لكن لما قال: {مَنْ ذَا الَّذِي} تعين أن نجعل {ذَا} ملغاة.

فإن قيل: ألا يصلح أن تكون {ذَا} اسمًا موصولًا و{الَّذِي} أيضًا اسمًا موصولًا، ويكون هذا من باب التوكيد اللفظي؟ وابن مالك قال:

وَمَا مِنَ التَّوَكِيدِ لَفْظِيٌّ يَجِي مَكْرَرًا كَقَوْلِكَ ادْرُبِي ادْرُبِي

قلنا: يمكن، لكن يضعفه اختلاف اللفظ؛ لأن الأول: (ذا)، والثاني: (الذي)، فهو يُضعف كونه توكيدًا لفظيًا. -على كل حال هذا بحث لغوي.-

{يَشْفَعُ} الشفاعة: جعل الوتر شفعًا، أي الواحد يجعله اثنين، والثلاثة أربعة، وهي في اللغة: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة، فإذا توسطت لشخص بأن يبذل له إنسان مألًا فهذا توسط لجلب منفعة، وإذا توسطت لإنسان عليه دين لشخص، فقلت لصاحب الدين لا تحبس هذا المدين فهذا دفع مضرة.

شفاعة النبي ﷺ في أهل الجنة أي دخلوا الجنة هذا منفعة، وشفاعته في أهل الموقف أن يريحهم الله منه هذا دفع مضرة.

{مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}، {إِلَّا} إذا أذن، والإذن هنا إذن كوني، يعني لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه.

{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} الجملة هذه خبر لقوله: {اللَّهُ} مُكرر.

{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} أي من؟ الخلق، وهو مستفاد من قوله: {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}.

وقوله {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} المراد به: المستقبل والحاضر، {وَمَا خَلْفَهُمْ}: الماضي؛ وعلى هذا يكون علم الله متعلقًا بالماضي فلا ينسأه، ومتعلقًا بالمستقبل فلا يجبهه، وهكذا علم الله عز وجل علم بالسابق وعلم باللاحق.

{وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} لما بيّن أنه سبحانه وتعالى يعلم الحاضر والماضي والمستقبل بيّن علم الناس، هل علم الناس كعلم الله الشامل؟ لا، {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} ولهذا نحن لا نعلم من الغيب إلا ما علّمنا الله عز وجل، فالغيب مجهول لكل أحد.

وقوله: {مَنْ عِلْمِهِ} هل هي بمعنى: (ولا يحيطون بشيء من علم نفسه إلا بما شاء)؟ بمعنى أننا لا نعلم شيئاً عن الله إلا بما علّمنا، فتكون الآية كقوله تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} ⁷²؟ أو أن العلم هنا بمعنى المعلوم، أي لا يحيطون مما يعلمه شيء إلا بما شاء؟

ذكرنا فيما سبق ونذكر الآن: أن النص من القرآن والسنة إذا كان يحتمل معنيين على السواء ولا ينافي أحدهما الآخر فإن الواجب حملة على المعنيين جميعاً، فنقول: الناس (لا يحيطون بشيء من علمه) أي لا يعلمون عنه من صفاته وأسمائه إلا بما شاء، كذلك لا يحيطون بشيء من معلوماته إلا بما شاء وذلك لنقص علم الخلق ولكمال علم الله سبحانه وتعالى.

-الدرس الرابع-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

"{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} ⁷³ {وَسِعَ} : بمعنى أحاط.

والكرسي قال ابن عباس رضي الله عنهما: [إنه موضع قدمي الله عز وجل] ⁷⁴، وهو بالنسبة للعرش أصغر بكثير، ولهذا جاء في الحديث: [ما السموات السبع والأرضون السبع بالنسبة للكرسي إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض]، أي: حلقة الدرع، وهي حلقة صغيرة ضيقة، لو ألقيتها لضاعت في الأرض؛ لأنها ليست بشيء، قال: [وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة] ⁷⁵، فالكرسي إذاً موضع قدمي الله عز وجل، أخذناه عن ابن عباس رضي الله عنه.

وقد فسّر الكرسي بأنه العرش، وليس كذلك، والذين فسّروه بأنه العرش قالوا: لأن عروش الملوك هي الكراسي التي يجلسون عليها فيقال: إن الله تعالى وصف العرش بأوصاف لم يصف بها الكرسي.

⁷² سورة طه، الآية (110).

⁷³ سورة البقرة آية (255).

⁷⁴ أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (248).

⁷⁵ أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (361) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وأخرجه الألباني في صحيحه رقم (109).

وفسّر بعضهم الكرسي بأنه العلم، وهذا أيضاً بعيد جداً، وأين العلم من الكرسي؟!.

والصواب: أن الكرسي موضع قدمي الله عز وجل، وأنه مخلوق عظيم لا يقدر قدره إلا الله، وكذلك العرش.

"**وَلَا يَنْوَدُهُ حِفْظُهُمَا**"⁷⁶، {وَلَا يَنْوَدُهُ}: أي لا يثقله، {حِفْظُهُمَا}: حفظ السموات والأرض؛ وذلك لكمال علمه، وكمال قوته عز وجل، يحفظ السموات والأرض بما فيهما ولا يثقل عليه ذلك؛ لكمال علمه، وكمال قوته.

"**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**"⁷⁷، {الْعَلِيُّ}: مأخوذة من العلو، ووزنها في التصريف: «فَعِيل»، فهي إذاً صفة مُشَبَّهة، لأن «فَعِيل» صفة مشبهة، وتأتي للمبالغة، لكن هنا لا تصل للمبالغة لأنها صفة لازمة لا تتعدى للغير، فهي إذاً صفة مشبهة.

الْعَلِيُّ وَصُفَاءً، أم العليُّ ذاتاً؟، الجواب: كلاهما، فهو عليٌّ بذاته، وعليٌّ بأوصافه وقدره جل وعلا.

{الْعَظِيمُ}: يعني ذو العظمة، وهي كمال السلطان والقدرة والقوة، فهي تشمل القوة في كل شيء.

هذه الآية تسمى آية الكرسي، وهي أعظم آية في كتاب الله، وهي التي إذا قرأها الإنسان في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح⁷⁸، وتأتي إن شاء الله بقية الفوائد المستنبطة من هذه الآية فيما يتعلق بالصفات وغيرها.

سؤال: في قوله سبحانه وتعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}⁷⁹، ألا نقول هذه تختص بمعلومه؟؛ لأنه يقابلها قوله تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}⁸⁰. وتكون هذه مختصة بذاته، فلا يحيطون بذاته علماً، لأنه في تلك قال: {إِلَّا بِمَا شَاءَ}، وهنا لم يقل: «إلا بما شاء»؟

الجواب: حتى علمنا بما يتعلق بالله نعلمه إذا شاء الله، ولهذا أخبرنا الله عز وجل بأشياء كثيرة لا نعلمها بعقولنا، ولولا النقل ما علمنا بها وكذلك أخبرنا الرسول ﷺ، فمن يدري أن الله ينزل للسماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر؟، لا أحد يدري، حتى الاستواء على العرش لولا أنه جاء في الكتاب والسنة ما علمنا به؛ لأنه صفة سمعية لم تثبت إلا بالسمع.

سؤال: أحسن الله إليك ما مدى صحة الحديث الذي يقول: [ما بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام]⁸¹؟

⁷⁶ سورة البقرة آية (255).

⁷⁷ سورة البقرة آية (255).

⁷⁸ أخرجه البخاري في صحيحه، (2311).

⁷⁹ سورة البقرة، الآية (255).

⁸⁰ سورة طه، الآية (110).

⁸¹ أخرجه أبو داود في سننه (3320)، وابن ماجه في سننه (193)، وحكم عليه الألباني بالضعف.

الجواب: نعم، هذا الحديث صحيح، صححه العلماء، وتلقوه بالقبول، وبعض المعاصرين أنكروه؛ بناءً على أن المسافة بين السماء والأرض أكثر بكثير من هذا، أكثر من خمسمائة عام لكن يقال ما قاله هؤلاء مبني على الظن والتخمين، فإن ثبت قطعاً صرنا إلى قول من قال بضعف الحديث.

سؤال: في الدرس السابق ذكرتم يا شيخ "الصفة الكاشفة"، فما هي؟

الجواب: (الصفة الكاشفة) و(الصفة المُقيدة) الفرق بينهما: أن الكاشفة هي التي تدل على أن هذا الوصف لازم، وأنه لا يمكن أن يكون مُخرِجاً لغيره، مثلاً قوله تعالى: **{يَأْتِيهَا النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**⁸². هل نقول أن قوله: **{الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}** صفة مقيدة أو كاشفة؟، الجواب: كاشفة، لأنك لو قلت أنها مقيدة لكان لنا ربان، رب خالق ورب غير خالق، فالصفة إذا كان لها مفهوم فهي مقيدة، وإذا لم يكن لها مفهوم فهي كاشفة، يعني مبينة للحقيقة، فالرب هو الخالق. ومثل ذلك قوله تعالى: **{وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا}**⁸³، هل نقول: مفهوم إذا لم يردن تحصناً فإننا نكرهن؟ لا. لكن هذه صفة كاشفة يعني: أنهن يردن التحصن، وأنتم تكرهونهن على البغاء؟، هذا لا يليق.

"ونؤمن بأنه: **{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}**⁸⁴."

نحن كنا نتكلم عن هذه الآية العظيمة التي هي أعظم آية في كتاب الله عز وجل، فقد سأل النبي ﷺ أبي بن كعب رضي الله عنه: **[يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟]**، قال: **(قلت: الله ورسوله أعلم)**، قال: **[يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟]**، قال: **(قلت: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ})**، فضرب في صدره وقال: **[لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أبا المنذر]**⁸⁵.

من فوائد هذه الآية الكريمة:

⁸² سورة البقرة، الآية (51).

⁸³ سورة النور آية (33)

⁸⁴ سورة البقرة آية (255).

⁸⁵ أخرجه مسلم في صحيحه (810).

١- انفراد الله تعالى بالألوهية لقوله: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}، وهذا الانفراد شهد الله به، وشهدت الملائكة به، وشهد النبيون به، وشهد العلماء به، قال الله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ} ⁸⁶. {وَأُولُو الْعِلْمِ}: يدخل فيها الأنبياء بطريق الأولى؛ لأن العلم موروث عنهم عليهم الصلاة والسلام.

وهل شهدت به الفطرة؟!، نعم، شهدت به الفطرة، فالفطرة تشهد بذلك [كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه] ⁸⁷.

٢- ومن فوائد هذه الآية الكريمة إثبات الحياة لله في قوله: {الْحَيِّ}، والحي ضد الميت، وقد جمع الله تعالى بإثبات الحياة وانتفاء الموت في قوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} ⁸⁸.

٣- من فوائد هذه الآية الكريمة أن حياة الله كاملة؛ لأنها سيقت مساق المدح، ولا مدح في الحياة إذا لم تكن كاملة، ولقد صدق الشاعر العربي حيث قال:

لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بذكر الموت والهرم

أي ما يطيب العيش إذا كانت لذاته منغصة بتذكر الموت وتذكر الهرم؛ لأن الإنسان إما أن يهرم، وإما أن يموت قبل الهرم، وانظر إلى من بلغ الهرم كيف تكون حاله في ضعف بصره وسمعه وقوته وذاكرته، وكونه عالماً على أهله؟! ولهذا قال الله تعالى: {إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ} ⁸⁹؛ لأنهما إذا بلغا الكبر صارا عالماً على غيرهما، فيقول في هذا الحال: لا تضجر منهما. إذاً في هذا إثبات الحياة الكاملة لله عز وجل.

٤- ومن فوائد هذه الآية الكريمة إثبات القيومية لله، أنه قائم بنفسه، وقائم على غيره، لقوله: {الْقَيُّومُ}.

فإن قال قائل: أين ذكر الحياة؟ وأين ذكر القيومية؟

قلنا: لأن {الْحَيِّ} مشتق من الحياة، و{الْقَيُّومُ} من القيومية، واعلم أن كل اسم من أسماء الله فإنه متضمنٌ لصفةٍ ولا عكس، وجه ذلك: أن الله تعالى وصف أسماءه بأنها الحسنى، ولا تكون حسنى إلا إذا تضمنت معاني، أما الأسماء الجامدة فليس فيها حسن، ما هي إلا علم فقط.

إذاً كل اسم من أسماء الله متضمن لصفة، ولا عكس، ولهذا لا نسبي الله عز وجل بالصانع، ولا بالمريد، ولا بالمتكلم، ولا بالمستهزئ، ولا بالماكر؛ لأنه لا يلزم من ثبوت الصفة ثبوت الاسم.

⁸⁶ سورة آل عمران آية (18).

⁸⁷ أخرجه البخاري في صحيحه (1358)، ومسلم في صحيحه (2658).

⁸⁸ سورة الفرقان آية (58).

⁸⁹ سورة الإسراء، الآية (23).

قال العلماء -قاعدة مهمة-: لا يتم الإيمان باسم من أسماء الله -إلا بثلاثة شروط أو بشرطين، بثلاثة شروط إن كان مُتَعَدِّيًا، وبشرطين إن كان غير متعديّ.

إذا كان متعديًا لا يتم الإيمان به إلا إذا: 1- آمنت بالاسم، 2- والصفة، 3- والأثر (أو الحكم) الذي يترتب على هذه الصفة.

مثال: (السميع): من أسماء الله، إذا قلت: أنا أوؤمن بأن الله (السميع) أو أن الله (سميع) لكن لا أوؤمن بأن له سمعًا، هل آمنت بالاسم؟! لا.

ولو آمنت أنه (سميع ذو سمع) لكنه لا يسمع، هل آمنت بالاسم؟! لا.

إذًا لا بد أن تؤمن بأنه سميع أي تؤمن ب(السميع) اسمًا لله، وب(السمع) صفة له، وبأنه يسمع أثرًا أو حكمًا.

وإذا كان الاسم غير متعد فللإيمان به شرطان: 1- إثبات الاسم، 2- إثبات الصفة.

مثال: {الحي}: اسم من أسماء الله، تؤمن بأنه الحي، وتؤمن بأن له حياة، فقط ولا تؤمن بشيء ثالث؛ لأنه لازم غير متعدي، فكيف يكون له شيء يتعدى إليه. -هذه قاعدة مفيدة لكم-.

انظر إلى المعتزلة يقولون: تؤمن بأسماء الله لكن لا تؤمن بصفاته. يقولون: بأنه سميع بلا سمع، بصير بلا بصر -أعنى الله بصائرهم!- كيف بصير بلا بصر؟! هل يُعقل أن يوصف أحد بوصف ليس متصفاً به؟! هل يقال للأصم إنك سميع!!، أبدأ.

لكن -نسأل الله العافية- هذا مصداق قوله تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ⁹⁰، وقوله: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} ⁹¹.

٥- مما يُستفاد من هذه الآية: أن الله تعالى مُنَزَّهٌ عن السِّنة والنوم، لقوله: {لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ}.

فإن قال قائل: النفي عدم، والعدم ليس بشيء، وأنتم تقولون: إن صفات الله تعالى عليا، أي أنها اشتملت على أكمل الأوصاف، والنفي عدم و{لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ} عدم!!

فيقال: إن هذا النفي ليس لمطلق النفي، بل هو نفي لما تضمنه من كمال الحياة والقيومية، ولهذا لا يوجد في صفات الله نفي محض، أبدأ، بل النفي متضمن لإثبات، كلُّ نفي في صفات الله فهو متضمنٌ لإثبات، لا يوجد نفي محض.

⁹⁰ سورة المطففين، الآية (14).

⁹¹ سورة الصف، الآية (5).

نفي السنّة والنوم ما الذي يتضمنه من إثبات؟ الجواب: كمال الحياة والقيومية؛ لأنه إذا كملت الحياة فلا نوم. انظر إلى أهل الجنة - جعلني الله وإياكم منهم - لا ينامون لكمال حياتهم، لا يمسههم فيها نصب، ولا يمسههم فيها لغوب ولا إعياء ولا تعب، فلا يحتاجون إلى النوم، فلذلك لكمال حياتهم لا ينامون، كما أنهم أيضاً لا يموتون.

وفي قوله تعالى: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}⁹²، {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}⁹³، هذا نفي، هل هو نفي محض؟ الجواب: لا، لأن النفي المحض لا كمال فيه، بل هو عدم، لكن لا يظلم لكمال عدله، فليس في صفاته ظلم إطلاقاً.

إذاً {لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ} تتضمن نفي السنّة والنوم عن الله، مع إثبات كمال الحياة والقيومية.

٦- من فوائد الآية الكريمة: عموم ملك الله عز وجل، لقوله: {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}.

٧- ومن فوائدها: اختصاصه بذلك وأنه لا أحد يملك شيئاً في السموات ولا في الأرض سوى الله، وجه الاختصاص: أنه قدّم الخبر، والقاعدة: "أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر"، يعني إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه، إذاً ملك السموات والأرض لله وحده.

فإن قيل إن الله أثبت لنا ملكاً فقال: {أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ}⁹⁴، فما الجمع بينه وبين قولكم إن المُلْك مختص بالله؟ قلنا: مُلْكنا نحن ليس كملك الله عز وجل، ملكنا محدود في مناطق العمل ومحدود في العمل، أوّلاً ملكي محدود -مثلاً- فيما بين يدي ولا يشمل ملك ما تحت يدك أنت، أليس كذلك؟ بلى.

أيضاً ملكي لما بين يدي محدود في العمل ليس لي الخيار أن أعمل فيه بما شئت، ولهذا لو أردت أن أحرق مالي لكان ذلك حراماً علي لكن الله عز وجل يفعل ما يشاء، قد يحرق ملكه بالصواعق وبغير ذلك من أنواع المتلفات.

-الدرس الخامس-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

⁹² سورة فصلت، الآية (46).

⁹³ سورة الكهف، الآية (29).

⁹⁴ سورة النور، الآية (61).

8- من فوائد هذه الآية الكريمة: أن السماوات جمع، أكثر من واحدة، وفي القرآن تأتي السماوات مفردة وتأتي مجموعة، قال الله تعالى: **{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ⁹⁵، {أَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ⁹⁶، وتأتي مجموعة كثيرا كقوله تعالى: {تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ⁹⁷.**

هنا قال: (ما في السماوات)، إذن أفادت الآية الكريمة أن السماوات جمع، فما مقدار هذا الجمع؟
الجواب: سبع، لقوله تعالى: **{وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا⁹⁸، {قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ⁹⁹.**

والأرضون كم؟ سبع، الدليل قول الله تعالى: **{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ¹⁰⁰، فالمثلية هنا تعني: هل هن مثلهن في القوة؟ الجواب: لا.
في السعة؟ الجواب: لا.**

فلا يمكن أن تتحد السماوات والأرض إلا في (العدد)، فتقتضي المثلية: أن تكون الأرضون مثل السماوات في العدد، كما جاء ذلك مصرحاً به في السنة في قول النبي ﷺ: **{من اقتطع شبرًا من الأرض ظلما طوقه الله به يوم القيامة من سبع أرضين¹⁰¹.**

9- من فوائد الآية الكريمة: قوة سلطان الله عز وجل، أي أنه ذو السلطان القوي، تؤخذ من قوله: **{مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ¹⁰²، يعني: لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، المخلوق مهما عظم سلطانه يُشْفَعُ عنده بلا إذنه، ربما تشفع زوجة الملك في أعظم الأمور خطرًا، أو غلامه يمكن يشفع بدون استئذان، لكن الرب عز وجل لقوة سلطانه فلا أحد يشفع إلا بإذن الله، بل ولا يتكلم إلا بإذن الله، قال الله تعالى: **{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا¹⁰³ لقوة سلطانه جل وعلا، ولهذا تجد الملك المهيب لا أحد يتكلم في مجلسه، أبدًا، سكوت إلا إذا تكلم هو، وقال الشاعر¹⁰⁴:****

يُغْضِي حَيَاءً، وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا جِئَنَ يَبْتَسِمُ

⁹⁵ سورة الذاريات، الآية (22).

⁹⁶ سورة الملك، الآية (16).

⁹⁷ سورة الإسراء، الآية (44).

⁹⁸ سورة النبأ، الآية (12).

⁹⁹ سورة المؤمنون، الآية (86).

¹⁰⁰ سورة الطلاق، الآية (12).

¹⁰¹ أخرجه البخاري في صحيحه (245 - 2453 - 3198)، ومسلم في صحيحه (1610 - 1611 - 1646).

¹⁰² سورة البقرة، الآية (255).

¹⁰³ سورة النبأ، الآية (38).

¹⁰⁴ ديوان الفرزدق - همام بن غالب بن ناجية (ص 512) في مدحه لزين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في قصيدته التي مطلعها (هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ...) - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى 1407 هـ.

هذا يدل على كمال الهيبة، (يغضي حياء)، أي: هو حي، يغضي لا يستطيع أن يرفع بصره للناس، (ويغضي من مهابته)، انظر للفرق، فهو يغضي حياء وغيره يغضي منه مهابة، (فما يكلم إلا حين يتسم)، أي: ما دام ساكتاً لا أحد يتكلم، وإذا ابتسم تكلموا، انفتح الباب.

فربنا عز وجل لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه.

هل تشفع الأصنام؟ الجواب: لا، لا تشفع.

هل يشفع النبيون؟ الجواب: لا، لا يشفعون إلا بإذن الله.

لكن الله عز وجل يأذن لمن يشاء ويرضى، ولهذا قال العلماء شروط الشفاعة ثلاثة:

1- الرضا عن الشافع. 2- الرضا عن المشفوع له. 3- والإذن للشافع أن يشفع.

10- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الإذن لله، وقد استدل به من قال: إن الله يتكلم، قال: لأن الإذن هو الكلام.

{مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}.

11- ومن فوائد الآية الكريمة: بطلان تعلق المشركين بأصنامهم؛ لأنهم يقولون: {هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} ¹⁰⁵، فيقول الله

تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}. إذاً هي لا تشفع؛ لأن الله لا يرضاها فلا يرضى أن تشفع.

وقد أبطال الله تعالى تعلق المشركين بآلهتهم من كل وجه، فقال سبحانه وتعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} ¹⁰⁶، من كل وجه: لا يملكون شيئاً ولا يشاركون ولا يعينون ولا يشفعون.

1- فهذه الأصنام لا تملك شيئاً على وجه الاستقلال، 2- ولا تملك شيئاً على وجه المشاركة، 3- ولا يعينون الله بشيء وإن

انتفى ملكهم لا يعينون الله بشيء وإن انتفى ملكهم، في قوله: {وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ}، 4- ولا يشفعون {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}.

ففي الآية الكريمة آية الكرسي؛ قطع تعلق المشركين بآلهتهم لقوله: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}.

12- من فوائد هذه الآية الكريمة: عموم علم الله، لقوله: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ}، لأننا قلنا إن هذا يتضمن

الماضي والحاضر والمستقبل: الماضي في قوله: {وَمَا خَلْفَهُمْ}، والحاضر والمستقبل في قوله: {مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ}.

13- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: عظمة الله عز وجل، في قوله: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}، وهو كقوله

تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} ¹⁰⁷.

14- ومنها: قصور علم الإنسان، حيث لا يحيط بشيء إلا بما علمه الله عز وجل.

¹⁰⁵ سورة يونس، الآية (18).

¹⁰⁶ سورة سبأ، الأيتان (22 و23).

¹⁰⁷ سورة طه، الآية (110).

15- ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الكرسي، لقوله: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}، وقد سبق لنا أن الكرسي ليس هو العرش ولا العلم.

16- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: عظمة هذا المخلوق، الذي هو الكرسي، ومنتقل من هذا إلى فائدة ثانية وهي:

17- عظمة الله عز وجل، ووجه ذلك: أن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق.

18- ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات (قوة الله عز وجل)، لقوله: {وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا} أي: لا يثقل عليه ذلك.

-و(إثبات العلم) لأن الحافظ يحتاج إلى علم.

-و(إثبات القوة والقدرة على الحفظ)، فتضمنت هذه الجملة ثلاث صفات.

هل هذه الجملة {وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا} من الصفات المنفية أم المثبتة؟ الجواب: منفية؛ فلا يؤوده حفظهما لكمال علمه وقدرته عز وجل.

20- ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات العلو وإثبات العظمة في قوله تعالى: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}، العلو في قوله: {الْعَلِيُّ}، والعظمة في قوله: {الْعَظِيمُ}.

هذا العلو أهو علو المكانة والشرف فيكون علوا معنويا؟ أم هو علو المكانة والشرف وعلو الذات؟

الجواب: الثاني.

إذا قال قائل: كيف تقولون أن الله (علي بذاته) والله سبحانه وتعالى لا يحيط به شيء من مخلوقاته؟ مع أنه سبحانه وتعالى محيط بكل شيء؟

الجواب: لأن الله أخبرنا بذلك، ونحن نقول: هو علي بذاته جل وعلا فوق كل شيء، ولا يلزم من إثبات العلو أن يكون محدودا تحيط به المخلوقات؛ لأن العلو فوق المخلوقات فضاء لا يوجد فيه شيء حتى يقال: أن الله أحاط به شيء من مخلوقاته!!، يعني لو قدرنا -ولله المثل الأعلى- أن المخلوقات كلها بمنزلة البيضة المعلقة في الهواء، فالذي فوقها هواء، وهي ليست محيطة بما فوقها. هذه مثلاً شيء ينفخ مع الصبيان ويطلقونه في الهواء فيسيح في الهواء، والذي فوقه؟ هل يقال بأن هذا محيط بما فوقه؟ أبداً، هو عدم، ما فوق السماوات والأرض والمخلوقات إلا العدم.

إذاً الرب عز وجل لا يحيط به شيء لأن ما فوق المخلوقات عدم ولا يوجد شيء حتى يحيط بالله جل وعلا، ولهذا نقول: ((إن الله فوق كل شيء بذاته))، ولا يلزم من هذا القول أن يكون شيء محيطاً به جل وعلا، وهذا ظلم واضح ظاهر.

ولذلك لما قدمت امرأة الجهم بن صفوان -أظنها إلى بغداد، أنسيت إلى أي مكان- وقيل لها: إن الله استوى على العرش، قالت: (أعوذ بالله محدود على محدود!)¹⁰⁸، يعني يلزم من كونه مستويًا على العرش أن يكون العرش محدودًا؛ لأن العرش معلومٌ أنه محدود، فإن له قوائم كما جاء في الحديث¹⁰⁹، لكن الرب عز وجل لا يحيط به شيء، إذًا هو العلي بذاته حقا.

واعلم أنه قد دل على علوه بذاته: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة، يعني كل الأدلة متطابقة على علو الله بذاته.

أما القرآن: فإنها تنوعت دلالاته على علو الله، فمرة يقول: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} ¹¹⁰، {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}، ومرة يقول {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ} ¹¹¹، ومرة يقول: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} ¹¹²، ومرة يقول: {وَهُوَ الْأَقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} ¹¹³، بأنواع مختلفة من التعبيرات كلها تدل دلالة قاطعة على أن الله تعالى بذاته فوق كل شيء.

وفي السنة: كذلك أيضًا ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام من قوله وفعله وإقراره:

أما القول: فإنه كان يقول في سجوده: [سبحان ربي الأعلى] ¹¹⁴، وكذلك قال: [العرش فوق الماء، والله فوق العرش] ¹¹⁵، وأما فعله: "فإنه لما قال في عرفة: [ألا هل بلغت؟] قال الصحابة: نعم، قال: [اللهم اشهد] يرفع إصبعه إلى السماء وينكتها إلى الناس" ¹¹⁶، يردّها إليهم.

وأما إقراره: فقد قال للجارية: [أين الله؟] قالت: (في السماء)، فهذا إقرار؛ ولهذا قال: [أعتقها فإنها مؤمنة] ¹¹⁷، فسأل ب(أين) الدالة على السؤال عن المكان، [أين الله؟] قالت: في السماء، قال: [أعتقها].

ولا يلزم من إثبات أن الله في مكان أن يكون المكان محيطًا به، أبدًا ليس بلازم، ونحن نعلم أن الرسول عليه الصلاة والسلام أعلم الناس باللغة العربية وقد قال: [أين الله؟]، والذين ينكرون علو الله بالذات يقولون: (أين) بمعنى: (من!!) الرد: -لا حول ولا قوة إلا بالله- هل (أين) بمعنى (من!!)؟! وهل (أين الله؟) أي: (من الله؟)؟!، ثم هل يطابق الجواب السؤال؟ لو قلنا أين بمعنى من؟ لا يطابق، لأن جواب: (من الله؟) أن تقول: (أن الله خالق السماوات والأرض)، مثلًا. فعلى كل حال نقول: هذا الحديث فيه إقرار النبي ﷺ على علو الله.

¹⁰⁸ مجموع الفتاوى (5/ 53).

¹⁰⁹ أخرجه البخاري في صحيحه (6518 – 2373).

¹¹⁰ سورة الأعلى، الآية (1).

¹¹¹ سورة السجدة، الآية (5).

¹¹² سورة فاطر، الآية (10).

¹¹³ سورة الأنعام، الآية (18) و الآية (61).

¹¹⁴ أخرجه مسلم في صحيحه (772).

¹¹⁵ أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (885).

¹¹⁶ أخرجه مسلم في صحيحه (1218).

¹¹⁷ أخرجه مسلم في صحيحه (537).

الدليل على علو الله بذاته **بالإجماع**، أن الصحابة رضی الله عنهم والتابعين كلهم مُقِرُّون بأن الله تعالى فوق كل شيء بذاته.

ما هو الدليل على إجماعهم؟

الدليل على إجماعهم من وجه خفي، لكن ينبغي لطالب العلم أن يعلمه؛ لما فيه من الفائدة، وهو أن يقال: (نصوص الكتاب والسنة دالة على العلو بالذات. وهل ورد عن الصحابة قولٌ واحدٌ على هذه الأدلة بخلاف ظاهرها؟ لا، إذًا هم مجمعون على مدلولها).

ولهذا: (إذا دلَّ الكتاب أو السنة على شيء ولم يأت عن الصحابة ما يخالفه فيعني ذلك أنهم مجمعون عليه)، وهذا المسلك بإثبات الإجماع قد يخفى على كثير من الناس.

إذًا نقول: الصحابة مجمعون على أن الله تعالى فوق خلقه بذاته، الدليل على الإجماع: أن نصوص الكتاب والسنة متواترة على ذلك ولم يأت عن الصحابة حرف واحد يدل على خلافها، فدل ذلك على أنهم مجمعون عليه.

أما **العقل**، هل يدل العقل على علو الله بذاته؟ الجواب: نعم، لأننا لو نسأل أي عاقل: هل العلو من صفة الكمال أو من صفة النقص؟ الجواب: صفة الكمال، بلا شك العلو صفة كمال، فكل إنسان عاقل يقول: العلو صفة كمال. وقد ثبت لله تعالى كل وصف كمال، كما قال الله تعالى: **{وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ}**¹¹⁸. والسُّفْلُ نقص، والله منزّه عن ذلك النقص.

فدل العقل على علو الله تعالى من وجهين:

الوجه الأول: ثبوت صفة الكمال لله. **والوجه الثاني:** انتفاء صفة النقص عنه.

والفطرة، كل إنسان مفلور على أن الله في السماء، حتى الكفار، فلو دعا الكافر ربه -على وهلة- لرأيته يرتفع قلبه نحو السماء، كل إنسان عندما يدعو يرتفع قلبه نحو السماء يقول: "يا رب"، قال النبي عليه الصلاة والسلام: **[يرفع يديه إلى السماء: يا رب يا رب]**¹¹⁹، ما الذي دله على هذا؟ الجواب: الفطرة.

وقد اجتمع بي أناس من الذين يقولون -والعياذ بالله- بأن الله بذاته في كل مكان، وكان ذلك يوم النحر في منى، فقلت لهم: (أمس أنتم في عرفة؟) قالوا: (نعم)، قلت: (كيف تدعون الله؟ تقولون: يا رب، وأيديكم للأرض؟ أم يمينًا أو يسارًا؟) قالوا: (لا، نقول: يا رب -يرفع أيديهم إلى السماء-)، قلت: (رفعتم أيديكم لمن؟ إلى من تدعونه يا رب)، فقالوا: (إنما نرفع أيدينا إلى السماء، -انظر الشيطان كيف لبس لهم!!- لأن السماء قبلة الداعي).

¹¹⁸ سورة النحل، الآية (60).

¹¹⁹ مجموع الفتاوى (5/ 119) جاء الحديث بلفظ: (يمد يديه...).

سبحان الله! أنت الآن عندما تستقبل القبلة وأنت تدعو أين قبلتك؟ الكعبة، وليست هي قبلة الداعي، لكنك ترفع يديك للمدعو لا شك، ولا تحتاج إلى تحريف¹²⁰.

إذًا (العلو المعنوي) متفق عليه بين الأمة، و(العلو الذاتي) هو المختلف فيه؛ لأن الناس انقسموا فيه إلى طرفين ووسط: الطرف الأول: قالوا: (إن الله تعالى بكل مكان، إن جئت للمسجد فالله فيه، في السوق الله، في البر الله، في البحر الله، في الجو الله، -أعوذ بالله- في الأماكن القذرة الله، في جوف الحيوان -الحمير والكلاب- الله)، هم يقولون الله في كل مكان - نسأل الله العافية- وهذا كفر، لا إشكال فيه، لو أنك وصفت أحدا من المخلوقين بهذه الأوصاف لجلدك أكثر من ثمانين جلدة، كيف الله عز وجل؟ لكن هم زُين لهم سوء أعمالهم، هؤلاء قالوا: الله بكل مكان.

الطرف الثاني: قابلهم طائفة أخرى قالوا: اتقوا الله، الله تعالى ليس فوق العالم، ولا تحت العالم، ولا متصل بالعالم، ولا منفصل عن العالم، ولا مباين للعالم، ولا محايث، ثم سردوا نفيًا كثيرًا، وحقيقة قولهم: العدم. ولهذا قال محمود بن سبكتكين رحمه الله لمحمد بن فورك لما وصف الله بهذا قال: (بيّن لنا الفرق بين إله تعبد وإله معدوم)¹²¹، ما الفرق؟ لا فرق. ولهذا قال بعض العلماء: لو أنه قيل لك صف لنا العدم لن تجد وصفًا أدق من هذا الوصف. فهؤلاء أخطأوا وهؤلاء أخطأوا.

الرأي الوسط: أهل السنة والجماعة قالوا: إن الله فوق كل شيء ولا يحيط به شيء من مخلوقاته أبداً، ليس في كل مكان، هو فوق كل شيء، ولكنه ليس في كل مكان، وهل يضر إذا قلنا: أن الله فوق كل شيء بدون إحاطة به؟ هل يضر الله شيئاً؟ أبداً. وليس به نقص.

ولهذا نقول: إن علو الله عز وجل بذاته دل عليه الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة، وهو واضح ولله الحمد ولا إشكال فيه إلا على من أعى الله بصيرته.

فإن قال قائل: إن الله يقول: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}¹²²، وقال: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}¹²³ وهذا يدل على أنه ليس له مكان، إذا كان هذه المخلوقات -وهي مخلوقاته بهذه السعة والعظمة- فهو أيضا ليس له مكان. قلنا: نعم، إن قلت ليس له مكان يحيط به فهذا صحيح، وإن قلت ليس له مكان أي: أنه ليس فوق كل شيء؛ فهذا باطل.

¹²⁰ وردت بلفظ (ولا تحتاج إلى تحريك) في كتاب "شرح عقيدة أهل السنة والجماعة" لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، الصفحة (85).

¹²¹ (درء تعارض العقل والنقل)، لابن تيمية (6 / 253).

¹²² سورة طه، الآية (110).

¹²³ سورة البقرة، الآية (255).

والذين قالوا: (إن الله بكل مكان) استدلوا بآية، وهي قول الله تبارك وتعالى: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} ¹²⁴، وفي الآية الأخرى {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} ¹²⁵.

فنقول: إذا أثبتت المعية الذاتية نفيتم بذلك أدلة العلو؛ لأن كونه عاليًا على كل شيء يمنع أن يكون مع كل شيء في مكانه، أليس كذلك؟ إذن أخذتم ببعض النصوص وتركتكم بعضها.

وإذا قلت: (هو معنا مع علوه)، لا يكون شيئاً؛ لأن هذا القول مطابق للآيات، فهو معنا مع علوه، والمعية لا تمنع العلو أبداً. ومن كلام العرب المعروف: (ما زلنا نسير والقمر معنا)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ¹²⁶: (القمر من أصغر مخلوقات الله -يعني الفلكية- وهو مع المسافر وغير المسافر)، وانظر إلى قوله ﷺ في دعاء السفر: [اللهم أنت صاحب في السفر، والخليفة في الأهل] ¹²⁷، فأثبت أن الله هو صاحب في السفر، وأنه الخليفة في الأهل؛ وذلك لكمال إحاطته بالمسافر وبأهله).

فالحاصل أن المعية لا تنافي العلو إطلاقاً، إذ قد يكون الشيء عاليًا وهو معك في المخلوقات، فكيف بالخالق عز وجل؟ -وإنما أطلنا في هذا لأننا لا نحب أن يتقطع البحث، وإن كنا قد أخذنا نصيباً من الفرائض-.

س/ بارك الله فيك، قلنا: حياة المؤمنين في الجنة حياة أبدية، فكيف نكون مع حياة الله عز وجل لا نموت؟
ج/ والله على كل حال إذا كنت تحب أن تموت في الجنة ما فيه مانع، سبحانه الله العظيم!! الله يقول: خالدون فيما أبداً، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، يعني لو قدر للمخلوقات كلها أن تفي، فالله لا يفي، الأبدية هذه ثابتة بإخبار الله، فيلزمنا أن نقول: سمعنا وصدقنا، وليست هذه الأبدية ذاتية لنا، لكن الأبدية في الخالق أبدية ذاتية، أما نحن فيجوز علينا الموت، وإن كنا في الجنة لولا إخبار الله تعالى بالأبدية لقلنا: أهل الجنة كأهل الدنيا يجوز عليهم الموت.

س/ قول أهل العلم عن العلو (وهو محيط بكل شيء فوقه) وقول عليه الصلاة والسلام: [فوق كل شيء]؟
ج/ فوقه يعني أنه محيط بالخلق وهو فوقه، ليس معناه أن الشيء فوق الله، لا ما أراد هذا، يعني وهو محيط بكل شيء حال كونه فوق كل شيء.

-الدرس السادس-

¹²⁴ سورة المجادلة، الآية (7).

¹²⁵ سورة الحديد، الآية (4).

¹²⁶ ص (84) الناشر: أضواء السلف - الرياض - الطبعة الثانية 1420 هـ.

¹²⁷ أخرجه مسلم في صحيحه (1342).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

"ونؤمن بأنه: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} ۝ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}"¹²⁸.

بسم الله الرحمن الرحيم.

سبق لنا الكلام على آية الكرسي وبيان ما فيها من الفوائد وأسماء الله وصفاته، ثم قال المؤلف:

"ونؤمن بأنه" أي: الله، {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}.

{اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} سبق الكلام عليه.

{عَالِمُ الْغَيْبِ} المراد به الغيب المطلق، لأن الغيب نوعان: غيب نسبي وغيب مطلق، والغيب كل ما غاب عن الإنسان. الغيب المطلق: يختص الله بعلمه، والغيب النسبي: يختص بعلمه من لم يكن غيباً عنده، فمثلاً أنت الآن لك أشغال في نفسك هي بالنسبة لي غيب، وبالنسبة لك شهادة.

والغيب الذي اختص الله به هو الغيب المطلق، قال الله تعالى: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} ¹²⁹، فمن ادعى أنه يعلم الغيب فهو كافر؛ لأنه مكذب لله عز وجل في قوله: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ}. لو قال مثلاً: سيكون غداً كذا وكذا، قلنا هذا كافر، فهو كافر إذا قال: أنا أعلم ما يكون في الغد، أما إذا قال: أنا أنخرص، وبناء على الأحوال والحوادث والماجريات أقول: سيكون غداً كذا وكذا، فهل هذا ادعى علم الغيب؟ لا، لو قال: سيقدم فلان غداً بناء على ما جرى من الأحوال، فهذا ليس علم غيب، لكن لو قال: أنا أجزم أن سيكون كذا وكذا غداً، وأعلم ذلك كما أعلم الحاضر، قلنا: هذا كذب، وهذا تكذيب للقرآن.

{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} أيضاً يعلم الشهادة، فلا يخفى عليه شيء لا مشاهد ولا غائب.

{هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} {الرَّحْمَنُ}: اسم من أسماء الله، و{الرَّحِيمُ}: كذلك اسم من أسماء الله، ومعناها ذو الرحمة، لكن الأول باعتبارها وصفاً، والثاني باعتبارها فعلاً، -انتبه، الأول باعتبارها وصفاً، والثاني باعتبارها فعلاً-، وذلك أن رحمة الله

¹²⁸ سورة الحشر، الآية (23-24).

¹²⁹ سورة النمل، الآية (65).

وصف وفِعْل، فهو ذو رحمة، وهو يرحم، قال الله تعالى: **{وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ}**¹³⁰، وقال تعالى: **{يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ}**¹³¹.

وبناء على هذا فليس في ذلك تكرار، يعني إذا قلنا (الرحمة) الدال عليها (الرحمن) هي رحمة باعتبارها وصفًا، و(الرحمة) الدال عليها (الرحيم) هي وصفٌ باعتبارها فعلًا، حينئذٍ نقول ليس في الجمع بين هذين الاسمين تكرار، فالرحمة صفة ذاتية لله عز وجل أي أنها من الصفات اللازمة أبدًا وأزلاً، وهي باعتبار تعلُّقها بالمرحوم صفة فعلية. أي: باعتبار الرحمة وصفًا لله (ذاتية)، وباعتبار تعلُّقها بالمخلوق (فعلية)، كيف هذا؟ نقول أن الله لم يزل ولا يزال رحيمًا، باعتباره موصوفًا بالرحمة. وباعتبار تعلُّقها بالمرحوم (صفة فعلية) بأن الله يرحم فلانًا ولا يرحم فلانًا، وكل شيء يكون كذلك فهو من الصفات الفعلية.

إذاً الرحمة صفة (ذاتية لله) عز وجل باعتبارها وصفًا، و(فعلية) باعتبار تعلُّقها بالمرحوم.

وقالت الأشاعرة، ومن ورائهم المعتزلة والجهمية: (ليس لله رحمة، والرحمة بمعنى الإرادة. أما أن تثبت لله رحمة فهذا حرام عليك، حرام، وصفت الله بما لا يليق به)!!!

قلنا لهم: لا إله إلا الله!! هل إذا وصفت الله برحمة وصفته بما لا يليق به؟

قالوا: (نعم لأن الرحمة فيها ليونة وسهولة، والرب عز وجل مُنزه عن ذلك، الرب ذو سلطان عظيم ما يرق، والرحمة فيها رقة)!!

قلنا لهم: ماذا تقولون في قوله تعالى: **{الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}**؟!، ماذا تقولون في قوله تعالى: **{وَرَبُّكَ الْعَظِيمُ ذُو الرَّحْمَةِ}**¹³²؟!، ماذا تقولون في قوله تعالى: **{يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ}**؟.

قالوا: (نعم معناه (الإرادة)، يعني إرادة الخير، فمعنى **{الرَّحْمَنُ}** أي مريد الإنعام والإحسان، أو هو الإحسان نفسه)، فيفسرون الرحمة تارة بإرادة الإحسان وتارة بالإحسان نفسه.

نقول لهم: (إرادة الإحسان ناتجة عن الرحمة، فمن يريد الإحسان إلا من كان رحيمًا، والإحسان نفسه ناتج عن الإرادة الناتجة عن الرحمة).

لماذا فسروا الرحمة بإرادة الإنعام أو بالإحسان نفسه دون الصفة لله عز وجل؟!

قالوا: لأن الرحمة تقتضي اللين، الرقة، والله عز وجل مُنزه عن ذلك.

¹³⁰ سورة الكهف، الآية (58).

¹³¹ سورة العنكبوت، الآية (21).

¹³² سورة الأنعام، الآية (133).

والإرادة هم يثبتونها بالدليل العقلي، فيقولون الإرادة ثابتة، فنحول الرحمة إلى معنى الإرادة التي نقرُّ بها ونثبتها! وبعضهم يقول: لا، بل الرحمة هي الإحسان نفسه، والإحسان مثل: أن أنعم الله عليك بمال، أنعم الله عليك بعلم، أنعم الله عليك بولد، هذا الإحسان المراد به هذه النعمة يكون مخلوقاً على هذا، لأن العلم الذي عندك مخلوق، الولد مخلوق، المال مخلوق، فيفسرونه إما بالمخلوق أو بالإرادة؛ لأنهم لا ينكرون أن يكون لله مخلوق، ولا ينكرون الإرادة. نقول لهم: إذا أثبتتم الإرادة فقد شبهت الله بالمخلوق، لأن المخلوق له إرادة، قال الله تعالى: {مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ} ¹³³، وقال تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا} ¹³⁴، وقال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ} ¹³⁵، فأثبتتم لله إرادة و أن للمخلوق إرادة، فيلزم -على قاعدتكم- المماثلة.

أيضاً، إذا فسرتهم الرحمة بالنعمة التي أنعم الله بها، فإن هذه النعمة لا يمكن أن تصدر إلا عن إرادة، والإرادة -إرادة النعم- لا يمكن أن تصدر إلا عن الرحمة، فلزمكم ثبوت الرحمة على كل حال.

وخلاصة القول: أننا نحن -معشر أهل السنة والجماعة- نثبت كل ما أثبتته الله لنفسه من صفة، لكننا نقول: إن الصفة التي أثبتها الله لنفسه وللمخلوق نظيرها في الأصل: لا تماثل بينهما، بل بينهما من التباين كما بين الخالق والمخلوق، فرحمة الخالق واسعة عظيمة، ورحمة المخلوق قليلة وضعيفة، وقد تنتفي في موضع يجب أن تكون فيه، وقد تكون في موضع يجب أن لا تكون فيه. أليس بعض الناس يرحم الزاني، يقول (لا تجلدونه، هذا ابن حلال يصلي ويصوم ويزكي، غلبته الشهوة يوم من الأيام وزنى، دعوه، ارحموه)،!! هل هنا موضع رحمة؟! لا!، قال الله تعالى: {وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ} ¹³⁶، فرحمة المخلوق ناقصة، قد تنتفي في موضع يجب أن يكون رحيماً، وقد توجد في موضع يجب أن يكون غير رحيماً. أما رحمة الله فهي كاملة، لا تكون إلا في موضع يستحق الرحمة {يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ}، فبينهما فرق عظيم. ثم إن قولكم (إن الرحمة لا تكون إلا مع الرقة واللين) هذا غير صحيح، فقد نجد من السلاطين الأقوياء الذين يوصفون بالجبروت توجد منهم الرحمة أحياناً، إذا قولكم باطل.

فالخلاصة أننا نقول: كل صفة أثبتتها الله لنفسه فإنه لا يجوز أن نستوحش منها، نحن -والله- لسنا أعلم بالله من الله، فإذا أثبت الله لنفسه أي صفة أثبتنا، لكن لا تمثل ولا تكيف، لأن التمثيل منفي في القرآن، والتكيف منفي عنه في القرآن، قال الله تعالى: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ¹³⁷، وقال: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} ¹³⁸، ضعوا هذه القاعدة على

¹³³ سورة آل عمران، آية (152).

¹³⁴ سورة الإسراء، آية (19).

¹³⁵ سورة الإسراء، آية (18).

¹³⁶ سورة النور، آية (2).

¹³⁷ سورة البقرة، آية (169).

¹³⁸ سورة الإسراء، آية (36).

قلوبكم وفي اعتقادكم، كل ما أثبت الله لنفسه من صفة فأثبتوها، لكن احترسوا من شيئين هما: التمثيل والتكليف، التمثيل لأن الله نفاه عن نفسه فقال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ¹³⁹، والتكليف لأنك إذا كيّفت قلت ما لا تعلم.

فمثلاً: أثبت الله لنفسه أنه يضحك فنثبت هذا ولا نبالي، ويجب أن نثبت هذا.

أثبت الله لنفسه أنه يهرول [وإن أتاني يمشي أتيته هرولة] ¹⁴⁰ نثبت ذلك.

أثبت الله لنفسه أنه يحيى {وَجَاءَ رَبُّكَ} ¹⁴¹، وأنه يأتي: {تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ} ¹⁴² نثبت هذا.

من الذي أثبت هذا لله؟ هو عز وجل، وهو أعلم بنفسه وبغيره، فنثبت هذا ولا نستوحش، لأنك إن استوحشت من شيء ظننت أنه وحشة، جاء إنسان آخر واستوحش من شيء ترى أنه ليس بوحشة، وحينئذ يكون إثبات الصفات أو نفيها عن الله مبنياً على التحكم العقلي، وبأي شيء يوزن ما يثبت لله وما يُنفي عنه؟ يعني إذا رجعنا للعقول فبأي عقل من يوزن ما يثبت لله وما ينفي عنه؟!.

ثم نقول كما قال الإمام مالك رحمه الله: (أفكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به الرسول ﷺ لجدل هذا الرجل؟!)، هل يجوز؟ لا، يعني إذا جاءك إنسان يجادل في صفة من الصفات، نترك ما قال الله ورسوله لأجل الجدل هذا؟ لا، أبداً. نقول: أنت مجادل بالباطل وجزاؤك أن ندعك.

ولهذا تجد أسلم الناس قلباً في هذا الأمر هم السلف الصالح، ثم عوام الناس خير من هؤلاء العلماء الذين يقولون إنهم العقلاء وينكرون ما أثبتته الله لنفسه.

فأنت -يا أخي- لا تستوحش مما أثبت الله لنفسه، أبداً، ولكن استوحش من شيئين هما التمثيل أو التكليف، والباقي أثبتته.

نعم لو كان هناك دليل يدل على أن الظاهر غير مراد، يجب أن تتبع الدليل مثل قوله تبارك وتعالى للإنسان: [عبيدي جعت فلم تطعمني، واستسقيتك فلم تسقني، واستطعمتك فلم تطعمني] ¹⁴³، ظاهر الحديث أن الله تعالى يجوع ويمرض ويعطش، معلوم أن هذه الأفعال لا تليق بالله عز وجل، إذاً ماذا نفع؟ نقول الله بيّن هذا في نفس الحديث فقال: [أما علمت أن عبيدي فلاناً جاع فلم تطعمه، وعطش فلم تسقه، ومرض فلم تعده]، فلما كان المعنى لا يليق بالله بيّنه الله عز

¹³⁹ سورة الشورى، آية (11).

¹⁴⁰ أخرجه البخاري في صحيحه (7405)، ومسلم في صحيحه (2675).

¹⁴¹ سورة الفجر، آية (22).

¹⁴² سورة الأنعام، آية (158).

¹⁴³ أخرجه مسلم في صحيحه (2569).

وجل فدل ذلك على أن كل ما أثبتته الله لنفسه فهو لائق به وعلينا أن نثبتته. هذا بحث مهم لكنه يتعلق بمسألة (الرحمن الرحيم).

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} تأكيد للجمله الأولى {اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}.

{الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ}، {الْمَلِكُ}: ذو الملك المتضمن للسيطرة الكاملة، ولهذا كانت الملك أقوى من المالك، والأصل في الملك أن يكون مالكا، لكن قد يكون ملكا بلا ملك، أما المالك فهو مالك لكن ليس بملك.

الشيخ يسأل الطالب: هذا الدفتر أنت مالك له أو لا؟ نعم، هل أنت ملك له؟ لا. إذاً هو مالك، وليس ملك، والدليل على ذلك أنه هاب لما قلت ما هذا الذي معك!

على كل حال الإنسان يكون مالكا ولا يكون ملكا، والله تعالى ملك أي ذو الملك المتضمن للسيطرة الكاملة والسلطان التام.

{الْقُدُّوسُ} معناه: المتطهر عز وجل، فهو سبحانه وتعالى مُطَهَّرٌ عن كل عيب وكل نقص وهو بمعنى (السلام) أو قريب منه.

{السَّلَامُ}: يعني السالم من كل نقص حقيقي أو متوقع أو وهمي، أي سالم من كل نقص لا في الحاضر ولا في الغائب، ولهذا كان أخص من (القدوس)، وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون في التشهد: السلام على الله من عباده، السلام على جبريل، السلام على ميكائيل، السلام على كذا وكذا وفلان وفلان، فقال النبي ﷺ لا تقولوا السلام على الله من عباده لأن الله هو السلام، وأنت إذا قلت السلام على الله معناه أن الله قد يعتره النقص وهذا مستحيل، ولهذا لو قال إنسان: السلام على الله قلنا: لا تقل هكذا - كما قال النبي عليه الصلاة والسلام - لماذا لا أقوله؟ لأن الله هو السلام.

{الْمُؤْمِنُ}: المؤمن لها معنيان:

المعنى الأول: أنه يُؤْمِنُ من عذابه من لا يستحق العذاب، فمؤمن بمعنى مؤمن.

المعنى الثاني: المؤمن المصدق لرسوله، قال الله تعالى: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا} ¹⁴⁴ أي بمصدق.

فالمؤمن إذاً معنيان، المعنى الأول من الأمان، والمعنى الثاني من الإيمان.

المعنى الأول من الأمان، معناها أنه يؤمن فيقال آمنه، أي: آمنه، وأنتم تدعون الله تقولون (اللهم آمنا في أوطاننا)، فالله سبحانه وتعالى مؤمن يؤمن من شاء من عذابه.

المعنى الثاني: المؤمن يعني المصدق، قال الله تعالى {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا} أي بمصدق لنا، وهذان وصفان كلاهما حق لله، فهو تعالى يؤمن من شاء من عباده، وهو سبحانه وتعالى مؤمن بالحق، مصدق به، مؤمن برسله، ومؤمن بكل حق عز وجل، لأن الله تعالى يقرُّ الحق ويبطل الباطل.

{المُهَيِّمِينَ}: يعني ذو السيطرة والحكم على كل من عداه، فهو مهيم على كل شيء، ومن ذلك قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ} ¹⁴⁵، ولهذا كان كتاب الله عز وجل القرآن ناسخًا لكل ما سبقه من الكتب.

{العَزِيزُ}: ذو العزة، فما هي العزة؟ قالوا: إن العزة هي عزة القدر، وعزة القهر، وعزة الامتناع، فهي ثلاثة أنواع:

1- عزة القدر: يعني عزة الشرف والسيادة وما أشبه ذلك، فالله تعالى أعز من يكون عزيزًا في قدره وشرفه وكماله.

2- عزة القهر: يعني الغلبة، أي: غالب لكل شيء.

أين المفزُّ والإله الطالبُ والأشرم المغلوب ليس الغالبُ.

3- عزة الامتناع، أي: أنه تعالى يمتنع عليه كل نقص، كل نقص فهو ممتنع عن الله، أي أنه ممتنع في حق الله عز وجل.

فالعزة إذا ثلاثة معانٍ. نرجع إلى تفسير هذه المعاني:

أولاً: عزة القدر والشرف، فالله تعالى لا أحد أشرف منه ولا أعظم منه قدرًا، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: [السيد الله] ¹⁴⁶، هو الذي له السيادة المطلقة، وسيادته ذاتية عز وجل.

ثانيًا: عزة الغلبة والقهر، قال الله تعالى: {وَتُعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدْلُّ مَنْ تَشَاءُ} ¹⁴⁷، الدليل مغلوب، والعزير غالب، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى عن المنافقين: {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ} ¹⁴⁸. ويعنون بالأعز: أنفسهم، وبالأذل: رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال الله تعالى مُكْدِبًا لقولهم: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ} ¹⁴⁹، ولم يقل: والله أعز، لأنه لو قال (أعز) لأوهم أن للمنافقين عزة لكنها أضعف من العزة الأخرى، لكن المنافقين ليس لهم عزة. الغريب أن المنافقين

¹⁴⁵ سورة المائدة آية (48).

¹⁴⁶ أخرجه أحمد (24/4)، وأبو داود (4806).

¹⁴⁷ سورة آل عمران، آية (26).

¹⁴⁸ سورة المنافقون، آية (8).

¹⁴⁹ سورة المنافقون، آية (8).

أذل من الكافرين، لماذا؟ لأن الكافر يصرح ويقول أنه كافر ولا يبالي، أما المنافق ذليل يستتر يقول: أنه مؤمن خوفاً من القتل أو المنابذة وهو كاذب، فصار المنافق أذل من الكافر لأنه منافق، لذلك لا عزة له {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}.

الثالث: العزة بمعنى الامتناع، امتنع عن كل نقص وعيب، مأخوذة من قولهم (أرض عَزاز)، العزاز: أي القوية الصلبة، وأما الرمل فهو لين، لكن الأرض الشديدة القوية تسمى عَزاز، إذا فالله تعالى له العزة بالمعاني الثلاثة.

س/ يا شيخ، كل أهل البدع في الأسماء والصفات يقولون لعوام الناس: أنتم يا أهل السنة عندما تأتيكم نصوص صفات لا تليق بالله عز وجل كالهرولة والمشى واليد، تقولون: نتوقف عندها، ونصف الله بما وصف به نفسه من غير تمثيل ولا تشبيه، ونحن نصرّفها عما لا يليق بالله إلى ما يليق به، فنقول: هذا مراد بها الإيمان، وهذا مراد بها الرحمة وهكذا، فبماذا نرد على هذا؟

ج/ سهل نرد عليهم، نقول أين دليلكم على هذا الصّرف؟

الطالب: يقولون: البعد عن التشبيه والتمثيل.

الشيخ: إذا قلنا أنه يهول بلا مشابهة، كما أنكم تقولون أن لله ذاتاً لا تماثل الذوات، هل تثبت لله ذاتاً؟ سيقول نعم، فنقول: أنا لي ذات، فهل يلزم لإثبات ذات الله أن يكون مماثلاً لي؟ سيقول: لا! إذا الصفة نفس الشيء.

ثم نقول: يا رجل! ما موقفك بين يدي الله عز وجل يوم القيامة إذا قال لك: أي قلت كذا أو قال رسولي كذا، فما الذي أخرجك عن هذا؟ ما جوابك؟ هل ستقول عقلي؟ سيقول له: هل تُنزل كلامي على عقلك؟ وإذا كان عقلك يقول كذا وفلان يقول كذا إلى أي عقل نرجع؟!.

ولهذا تجد أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة تجدهم متناقضين، يثبتون من الصفات ما ينفون نظيرها أو أولى منها في الإثبات، ويتناقضون هم بأنفسهم، فتجد أحدهم يقول: هذه الصفة واجبة لله عز وجل، ويقول الثاني: هذه الصفة ممتنعة عن الله، والثالث قوله وسط بينهما، يقول: جائزة ولا أثبتها.

فالحاصل أنهم ليس لهم دليل، وعجباً منهم أن يُنزلوا آيات الأحكام على ظاهرها ويعملوا بظاهرها، ويستبيحوا الدماء والأموال على ظاهرها، ثم لا يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه، ما الفرق بين حكم الله وصفة الله؟ لا فرق. فإذا كانت أحكام الله تُجرون نصوصها على ظاهرها فأجروا نصوص صفات الله على ظاهرها.

واحترز من شيئين: التمثيل والتكليف، والحمد لله، وأنا حجتي عند الله إذا قال لي ربي: يوم القيامة لم أثبت لله عينين؟، أقول حجتي بذلك قولك يا رب، وقول رسولك.

س/ أحسن الله إليكم، قلنا أن الإيمان بأسماء الله سبحانه وتعالى لا يتم إلا بثلاثة شروط في المتعدية، وبشرطين في اللازمة ومنها: الإيمان بالصفة والوصف، وهنا قلنا: الرحيم باعتبار الفعل والرحمن باعتبار الوصف؟

ج/ قلنا هذا لأنه جمع بينهما، فإذا حملنا هذا على المعنى وهذا على المعنى سلّمنا من الترادف، وتعرف أنه إذا دار الأمر بين الترادف والتباين وجب حمل الكلام على التباين؛ ليكون للكلمة الأخرى فائدة غير التكرار، ثم إن (رحيم) باعتبار الرحمة فعلاً له ليس معناه أنه غير متصف بالرحمة، لأنه لا يرحم إلا من كان ذا رحمة، لكن (الرحمن) نُظِرَ فيها إلى الوصف أكثر، وهذه إلى الفعل أكثر، ولهذا بنية (الرحمن) تدل على ذلك، كلمة "فعلان" في اللغة العربية تدل على الامتلاء، فتقول: هذا الرجل غضبان يعني ممتلئاً غضباً، وكذلك سكران، وكذلك ندمان، وأمثال ذلك.

إذا ذكر (الرحيم) وحده صار المراد الوصف والفعل، وكذلك (الرحمن) وحده يشمل الوصف والفعل، كقوله تعالى: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ} 150**، هذا يشمل الوصف والفعل.

-الدرس السابع-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

قوله: **{الْجَبَّارُ}**. الجبار صيغة مبالغة من الجبر، والجبر له ثلاثة معانٍ:

1- جبر بمعنى جبروت. 2- جبر آخر بمعنى جبر الكسير. 3- جبر ثالث بمعنى العلو.

فالجبر له ثلاثة معانٍ: الأول: جبر بمعنى جبروت، والجبروت هو القوة والعظمة وما أشبه ذلك.

والجبر الثاني: هو جبر الكسير، فكم من كسير جبره الله عز وجل، فهو سبحانه وتعالى جبارٌ لكل كسر.

والثالث: من العلو، وهذا المعنى قد يكون غريباً!، كيف يكون الجبر من العلو؟ قال ابن القيم في [النونية]: (مأخوذٌ من قولهم للنخلة الطويلة، هذه نخلة جبارة، أي: طويلة).

والعلو لا شك أنه من صفات الله، وإذا كان من صفات الله قد ثبت، وكان للجبر الذي بمعنى العلو أصلٌ في اللغة، فلا مانع من أن نقول إن الجبار تشمل ثلاثة معانٍ: الجبروت وجبر الكسير والعلو.

{الْمُتَكَبِّرُ}، يعني ذو الكبرياء، وليس المعنى مُصْطَنِعُ الكبر، لأن (تَكَبَّرَ) يحتمل أن تكون:

1- بمعنى اصطناع الكبر.

2- بمعنى أن وصفه الكبرياء.

و الثاني هو المراد؛ فهو سبحانه و تعالى متكبر؛ أي له كبرياء، كما قال تعالى: {وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ¹⁵¹.

وهذا الوصف بالنسبة لله حق، لكن بالنسبة للمخلوق باطل؛ لأن المخلوق أذل وأقل وأضعف من أن يتكبر. ولهذا قال نبينا ﷺ: [لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة حبة خردل من كبر] ¹⁵²، فالكبرياء لله عز وجل وأما المخلوق فليس له كبرياء.

{سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} تقدم الكلام عن {سُبْحَانَ اللَّهِ}، و{عَمَّا يُشْرِكُونَ}، أي: عما يشركون به من الأصنام، فهو عالٍ عليها عز وجل، منزّه عن أن يكون مثلها.

{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ} ¹⁵³.

{الْخَالِقُ}: من اتصف بالخلق، وهو الإيجاد بعد العدم، والإيجاد بعد العدم يسمى خلقًا، وهذا الوصف من خصائص الله عز وجل، فلا خالق إلا الله.

وأما ما جاء في الحديث: [أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ] ¹⁵⁴، فإن الخلق المضاف إلى مخلوق ليس معناه إيجابًا بعد عدم، ولكنه تغيير وتحويل، مثلًا: الصانع يحول صفائح الحديد إلى قدور وأوانٍ، فيقال: خلقها قدرًا، خلقها آنية، لكن هل هو الخلق المختص بالله؟ وهو الإيجاد بعد العدم؟ أبدًا، فلا يستطيع أحد أن يقلب حقيقة بعض الأشياء إلى حقيقة البعض الآخر، ولا أن يوجد شيئًا من العدم، لكن يمكن أن يحول شيئًا من صفة إلى صفة أخرى، فالخلق المضاف إلى المخلوق هو بمعنى التغيير أو التحويل، وليس معناه التبديل بل ذلك إلى الله عز وجل.

¹⁵¹ سورة الجاثية، الآية (37).

¹⁵² أخرجه مسلم، رقم (91).

¹⁵³ سورة الحشر، الآية (24).

¹⁵⁴ أخرجه البخاري (2105)، ومسلم (96/٢١٠٧).

{الْبَارئُ} أي: الخالق على غير مثال سبق؛ لأن (الخالق) قد يكون على مثال سابق، وقد يكون على غير مثال سابق، و(البارئ) الذي يخلق على غير مثال سبق، أي ليس يخلق خلقًا يقلد غيره مثلًا، أو يعيد خلقًا آخر، بل هو خالق خلقًا ابتداءً وخلقًا ثانيًا.

{المُصَوِّرُ}: جاعل الشيء على صورة معينة، وهذا أيضًا لا يقدر عليه إلا الله. من الذي صور بني آدم على هذا الشكل؟ الله. ومن صور البعير على شكل؟ وصور الفرس على شكل؟ وهلمّ جراً... فالله تعالى هو المصور، قال الله تعالى: **{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ}**¹⁵⁵ و لهذا لا يستطيع أحد أن يجعل القصير طويلاً، ولا الطويل قصيراً، نعم الطويل يمكن أن يجعله قصيراً إذا قطع رأسه! فإذا قطع رأسه انتهى! لا يبقى شيء! ولكن لا يمكن أن يقصره في خلقته، فالمصور هو الله عز وجل.

فإذا قال قائل: هل يمكن أن الخلق يجعلون الجميل قبيحاً أو القبيح جميلاً؟ كيف يجعلون الجميل قبيحاً؟ يشوهونه بالجروح حتى يكون قبيحاً، والقبيح جميلاً يعني يجرون عملية تجميل، لكن مهما كانت فعلية التجميل ليست كالجمال الأصلي، ولهذا لا بد أن يكون على هذا المُجَمَّل علامات تدل على أنه قد أجرى عملية تجميل.

{لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}: هذه جملة خبرية مقدم فيها الخبر للحصر، **{لَهُ}** أي: له لا لغيره.

{الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} سبق الكلام على معناها وتفسيرها.

{يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

{يُسَبِّحُ} يسبح: هذه جملة فعلية؛ فعلها مضارع تدل على الاستمرار، لأن "سَبَّحَ" للماضي، و"سَبَّحَ" للمستقبل و"يسبح" للحال، وقد تكون (للماضي)¹⁵⁶ وجوباً إذا اقترنت بها السين وسوف، وقد تكون للماضي وجوباً مثل أن تقترن بها (لم) الدالة على الماضي، وقد تكون صالحة للجميع حسب السياق.

فهنا يسبح تسبيحاً انقضى؟ أو ما زال ولا يزال؟ الجواب: ما زال ولا يزال.

{مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، ما: اسم موصول، والاسم الموصول من صيغ العموم، فهل هذا مطابق للواقع؟ أن الله يسبح له ما في السماوات والأرض؟ الجواب: لا، لكن يقال التسبيح نوعان:

¹⁵⁵ سورة آل عمران، آية (6).

¹⁵⁶ قصد الشيخ رحمه الله (للمستقبل).

1- تسبيح بلسان الحال. 2- تسبيح بلسان المقال.

أما التسبيح بلسان الحال فهو عام، كل ما في السماوات فهو يسبح الله بلسان الحال، ومعنى قولنا: (بلسان الحال): أن حاله تدله على تسبيح الله. فالكافر مثلاً: يسبح الله بلسان الحال أو المقال؟ بلسان الحال؛ لأن خلقته وما فيها من الإبداع والنظام العجيب الغريب تسبيح لله، ولأن صرفه عن الهداية إلى الشقاء أيضاً تسبيح لله يدل على كمال الله عز وجل، وأنه جل وعلا يريد أن تتم كلمته فجعل الناس مؤمناً وكافراً. إذاً الكافر يسبح بلسان الحال، أما بلسان المقال فلا، لأنه يشرك بالله عز وجل ويصرح بأن الله له شريك، وهلمَّ جراً.

والجمادات: تسبح الله بلسان الحال والمقال، الإنسان المؤمن: يسبح الله بلسان الحال والمقال، فصار كل ما في السماوات والأرض يسبح الله بلسان الحال والمقال، إلا الكافر فإنه يسبح الله بلسان الحال لا بلسان المقال.

وقوله: **{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**، سبق معنى **{الْعَزِيزُ}**، وأما **{الْحَكِيمُ}** فانتبه لها!

الحكيم مادتها: (ح. ك. م)، هذه المادة تدل على معنيين: 1- حُكْم. 2- إحكام.

والإحكام يعني: الإتقان، بأن يكون الشيء مطابقاً للحكمة تماماً، فينزل منزلته، فتبين لك الآن أن (الحكيم) مشتق من الحكم، والإحكام الذي هو الإتقان.

فحكم الله عز وجل يكون حكماً كونياً ويكون شرعياً.

ففي قوله تبارك وتعالى: **{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}**¹⁵⁷ هذا شرعي.

وفي قول الله تعالى في سورة الممتحنة: **{ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَخُكُّمُ بَيْنَكُمْ}**¹⁵⁸ هذا أيضاً شرعي.

وفي قول الله تبارك وتعالى عن أخ يوسف: **{فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي}**¹⁵⁹ هو كوني وليس بشرعي؛

لأن الله لم يمنعه شرعاً أن يأتي، لم يمنعه أن يبرح الأرض، فإذا كان لم يمنعه فقد أذن له شرعاً، فبقي الحكم الكوني،

وعلى لهذا فقوله: **{أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي}** هذا حكم كوني.

وقوله تعالى: **{الَّذِينَ يَحْكُمُونَ بِالْحُكْمِ}**¹⁶⁰ هذا كوني شرعي، فهو حاكم كوناً وحاكم شرعاً.

إذا كان الحكم نوعين: شرعياً وكونياً، وكل منهما مشتمل على الحكمة، صارت الأقسام أربعة:

¹⁵⁷ سورة المائدة، آية (50)

¹⁵⁸ سورة الممتحنة، آية (10)

¹⁵⁹ سورة يوسف، آية (80)

¹⁶⁰ سورة التين، آية (8)

1- حكم كوني. 2- حكمة كونية. 3- حكم شرعي. 4- حكمة شرعية.

الحكمة أيضًا، هل المراد بذلك كون الشيء على وضع معين؟ أو المراد كونه على شيء بوجه معين والغاية منه؟

يعني: هل الحكمة في الغاية؟ أو في الصورة التي عليها الشيء؟

إذًا الحكمة قد تكون في كون الشيء على هذا الوجه المعين وفي الغاية من هذا الشيء. فالحكمة لها وجهان:

1- وضعها على هذا الشيء المعين. 2- الغاية منه، وكله حكمة.

كون الإنسان وضع على هذا الوجه: {أَحْسَنُ تَقْوِيمٍ}¹⁶¹ هذا لا شك أنها حكمة، فلم يكن الإنسان كالفرس يمشي على رجله ويديه وهو دائم الانحناء، بل كان قائمًا منتصبًا يتكيف من انتصاب إلى ركوع إلى سجود، كونه على هذا الوجه حكمة لا شك.

الغاية من ذلك: أن يتمكن الإنسان من الإتيان بالعبادات المتنوعة، ركوع سجود قيام قعود.

كذلك الشرع، فالتشريعات كونها وقعت على هذا الوجه: هذا حكمة لا شك، الصلاة على هذا الوجه قيام ثم ركوع ثم قيام ثم سجود، هذا لا شك أنه حكمة.

كونه غاية من هذه العبادات أن يصل الإنسان إلى أسعى الغايات، هذا أيضًا حكمة.

والخلاصة أن الحكم ينقسم إلى قسمين: 1- كوني. 2- شرعي.

وأن الحكمة إلى قسمين: 1- غائية. 2- حالية أو (صورية)، إن شئت.

كل هذا يتضمنه اسم (الحكيم)، وعرفتم أدلة ذلك.

كون الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة حكمة شرعية، وإذا تأملت وجدت أن الحكمة من ذلك هو أن الصيام لا يتكرر والصلاة تتكرر فما نقص منها أيام الحيض جُبر في أيام الطهر. أيضًا لو أن المرأة ألزمت بقضاء الصلاة لكان في ذلك مشقة عليها، لأن الصلاة تتكرر كل يوم أما الصيام فلا يأتي في السنة إلا مرة.

والحاصل أنك يجب أن تعلم أن (الحكيم) اسم من أسماء الله مشتق من الحكم والإحكام، وأن الحكم ينقسم إلى شرعي وكوني والحكمة صورية وغائية.

¹⁶¹ سورة التين، آية (4)

هل أحد من الناس نفى الحكمة لله؟

نعم، نفاها الأشاعرة، يقولون: (ليس لله حكمة إنما يفعل الشيء لمجرد المشيئة، ويشرع الشرع لمجرد المشيئة فقط بلا حكمة!!). فسدوا على أنفسهم وعلى غيرهم معرفة الله عز وجل؛ لأن الإنسان كل ما عرف من حكمة الله ما عرف ازداد إيماناً بالله عز وجل وأنه جل وعلا لن يفعل شيئاً إلا لحكمة، ولن يشرع شيئاً إلا لحكمة ليس عبثاً ولا لعباً، بل لا بد من الحكمة.

وهم يقولون: فعله وحكمه تعالى لمجرد المشيئة لا لحكمة بالغة، ولا شك أن هذا سوء ظن بالله عز وجل، وأنه يتصرف تصرفاً عشوائياً، ونحن نقول: بل لله حكمة بالغة، لكن أحياناً نعلمها، وأحياناً تقصر عقولنا عنها لأننا قاصرون. ثم إن الحكمة أحياناً تكون واضحة كلنا نعرفها، وأحياناً تكون خفية لا يعلمها إلا الراسخون في العلم.

فحكمة الله ثلاثة أقسام من حيث الظهور والخفاء:

- 1- تارة تكون واضحة لكل أحد.
- 2- تارة تكون خفية على كل أحد.
- 3- تارة تكون واضحة لأهل العلم الراسخين فيه، خفية على من دونهم.

"ونؤمن بأن له ملك السماوات والأرض" خلقاً وتديباً فهو الخالق وهو المدبر.

{يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَمِهْبٌ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۖ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} {162}.

{يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ}، (ما) هذه يقال إنها لغير العاقل، مع أننا نرى في المخلوقات ما هو عاقل، فلماذا عبر بـ{مَا} الدالة على غير العاقل عما يشمل العاقل وغيره؟ قالوا: لأن غير العاقل أكثر من العاقل، وهذا صحيح؛ لأن هناك أجسام كثيرة غير عاقلة، وهناك صفات في العاقل مخلوقة لله، والصفات نفسها توصف بغير العقل. فصار غير العاقل أكثر بكثير من العاقل؛ لأن العاقل فيه الصفات وهي غير عاقلة. ومن هنا نعرف سر التعبير في قوله تعالى: {فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} {163}، قال: (ما طاب)، ولم يقل (من طاب)؛ لأن هنا ليس المقصود عين المرأة، بل المقصود صفاتها، كما قال النبي ﷺ: [تُنكِحُ الْمَرْأَةَ

162 سورة الشورى، آية (49)

163 سورة النساء، آية (3)

لمالها وجمالها وحسبها ودينها¹⁶⁴، ولهذا قال (ما طاب لكم)، سبحانه الله تعبير القرآن عجيب يحتاج إلى إنسان قد تمعن في اللغة العربية تمامًا.

فعبر هنا بـ(ما) الشاملة للعاقل وغير العاقل؛ تغليبًا بجانب غير العاقل لأنه أكثر.

{هَبُّ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا} {هَبُّ}: يعطي، {لِمَنْ يَشَاءُ} جاءت (من) {لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا} أي من العقلاء، وكذلك من غيرهم، ولكن أهم شيء: العقلاء. {وَهَبُّ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ}.

المتفلسفة من النحويين والبلاغيين قالوا: لماذا قدم ذكر الإناث مع أن الإناث مكروهة عند أكثر الناس، وآخر الذكور مع أن الذكور مرغوبة عند أكثر الناس، أليس كذلك؟. قالوا لسببين:

1- السبب الأول أنه بدأ بما يكره الإنسان إشارة إلى أن الله تعالى هو الذي له الملك.

2- وأنه لا يخلق شيئًا على رغبة الناس بل على ما تقتضيه حكمته.

ولكنه جبر -أو كسر هذا التقديم في الواقع- بقوله: {إِنَاثًا} نكرة، والنكرة منكر (إناث)، في الذكور آخرهم ليتبين أن الأمر ليس للإنسان يقدم من يشاء ويؤخر من يشاء، ولكنه جبر هذا التأخير بقوله {الذُّكُورَ} ولم يقل ذكورًا، ودخول (ال) المعرفة تدل على علو شأنهم، (الذكور) المرغوبين ففيه تنويه للذكور بدخول (ال)، هكذا قالوا.

فنقول: الله أعلم، فإذا كانت هذه الحكمة فهي حكمة إن شاء الله، وإلا فإن الله له أن يعبر بما شاء.

ولهذا جاءت الثانية {أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا} قدم الذكور لعدم ذكر المزية، {يُزَوِّجُهُمْ}: أي يجعلهم أزواجًا، أي أصنافا ذكورا وإناثا، فيكون الرجل له ذكور وإناث.

القسم الرابع {وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا} لا ذكور ولا إناث.

وهذا هو الواقع، وهذه القسمة الرباعية مطابقة تمامًا للواقع لأن من الناس من يأتيه من ذريته كلهم ذكور، ومن الناس من ذريتهم كلهم إناث، ومن الناس -وهو الأكثر- من تكون ذريته ذكورًا وإناثًا، القسم الرابع قليل والحمد لله وهو العقيم، هذا قليل، هل هناك قسم خامس؟. لا. فالأولاد لا يعدون هؤلاء، إما: ذكور، أو إناث، أو ذكور وإناث، أو العقم.

{إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}¹⁶⁵، {إِنَّهُ} يعني الرب عز وجل الخالق للخلق على هذه الأصناف الأربعة، {عَلِيمٌ} بما يصلح حال الإنسان، وبما يجعل هذا عقيما، وهذا ذريته ذكور، وهذا ذريته إناث، وهذا مُجْتَمِع.

{قَدِيرٌ}: أي ذو قدرة. والقدرة وصفٌ يتمكن به القادر من فعل ما يقدر عليه بدون عجز، هذه القدرة.

¹⁶⁴ أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

¹⁶⁵ سورة الشورى، آية (50)

- القدير: وصفٌ يتمكن به القادر من فعل ما يقدر عليه بلا عجز.
- القوي: وصفٌ يتمكن به القوي من فعل ما يقوى عليه بلا ضعف.

ضد القوة: الضعف، وضد القدرة: العجز، ودليل هذا قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً} ¹⁶⁶ وقوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} ¹⁶⁷.

نأخذ الأسئلة من هذه الآيات.

س- آيات (الحشر) فيها كم من اسم من أسماء الله عز وجل؟

ج- الله، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، الباري، المصور، الحكيم. صارت خمسة عشر. وأما (عالم الغيب والشهادة) هذه وصف.

الآية الثانية كم كان فيها من الأسماء؟، عليم قدير، اسمان من أسماء الله، أمّا الأوصاف فكثيرة.

س- هل يسمى الله الواهب؟

ج- لا، لكن جاء اسم الوهاب، الواهب: خبر عن الله وليس اسمًا لو قلت أن الله هو الواهب، بل الاسم الوهاب.

القدير؟ اسم. العليم؟ اسم.

بارك الله فيكم.

س- إذا أضفنا الملائكة للإنس، هل يعتبر العاقل أكثر من غير العاقل؟

ج- الملائكة.

الطالب: نعم، فهم في كل شبر من السماء.

الشيخ: وهل ترى أن الملائكة عقلاء أم غير عقلاء؟

الطالب: الملائكة عقلاء.

الشيخ: لكن كم في الأرض من حبة تراب؟

¹⁶⁶ سورة الروم، آية (54)

¹⁶⁷ سورة فاطر، آية (44)

الطالب: هل يعتبر هذا غير عاقل؟

الشيخ: نعم، الحصى غير عاقل ويسبح، سُمع تسبيح الحصى بيد رسول الله ﷺ، وكان الحصى بمكة يسلم على الرسول ﷺ.

س- "الخنثى" تدخل تحت أي قسم من هذه الأقسام؟

ج- الخنثى الغالب أنه يتضح، وقد يكون مُشكلاً، بمعنى أنه قد يبلغ ولا يتبين هل هو ذكر أو أنثى، فيقال هذا جامع بينهما، لكن على سبيل الامتزاج.

س- الحكمة لله عز وجل التي أثبتها أهل السنة هل ترجع إلى المخلوق فقط؟

ج- لا، المخلوق والمشروع، حتى المشروع ما من مشروع شرعه الله إلا لحكمة، لكن أتدري أن الأشعرية نفوا الحكمة والمعتزلة أوجبوا الحكمة، قالوا: لا بد أن يكون كل ما فعله الله فهو لحكمة، وهؤلاء يقولون ليس لحكمة لئلا نوجب على الله بعقولنا، فيقال لهم -أي الأشعرية-: نحن نثبت الحكمة لكن ليس نحن الذين نقدر الحكمة، العقول لا تفرض على الله شيئاً، وإلا فنعلم أن الله لم يخلق شيئاً عبثاً أو لعباً، ولا يشرع شيئاً لعباً أو عبثاً أبداً، ومن ظن ذلك فقد ظن بالله ظن السوء.

س- نريد مثال عن الحكمة والعلّة الحالية؟

ج- الحكمة والعلّة واحدة؛ لكن منها ما يكون غائية ومنها ما يكون سبب، فما أثار الشيء فهو سبب، وما كان غاية الشيء فهو غاية، فمثلاً الإنسان على هذه الصورة لا شك أن هذه الحكمة صورية (حالية)، كونه خلق على هذه الصورة ليؤدي العبادة على الوجه الذي يريد الله هذه غائية.

س- هل ترسم الحكمة بالشكر كما جاء في الآية: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ} 168؟

ج- لا، هذا {أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ} عمل صالح، والعمل الصالح حكمة في الواقع؛ لأن من لم يعبد الله فهو سفيه {وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ} 169.

168 سورة لقمان، آية (12)

169 سورة البقرة، آية (130)

س- ما الفرق بين الحكم الشرعي والحكم الكوني؟

ج- الحكم الشرعي: ما أمر الله به العباد فهو حكم شرعي أو نهاهم عنه، أما الحكم الكوني: فهو ما خلقه الله، كل المخلوقات هذه كونية، إنزال المطر حكم كوني، الصلاة حكم شرعي.

س- الأشاعرة ماذا يقولون في قوله تعالى {حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ} ¹⁷⁰؟

ج- الأشاعرة ما عندهم جواب، فوق ألف دليل على إثبات الحكمة، ألف دليل لكن {وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} ¹⁷¹.

-الدرس الثامن-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

"ونؤمن بأنه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ¹⁷²".

من جملة عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بأن الله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} {شَيْءٌ}: اسم "ليس" مؤخر، و{كَمِثْلِهِ}: خبرها مقدم، واختلف العلماء في (الكاف) هل هي زائدة أم لا؟ فقال بعضهم: أنها زائدة، وقال بعضهم: أنها غير زائدة.

فالذين قالوا: أنها غير زائدة يلزمهم أن يُؤوِّلوا (المِثْل) إلى معنى تكون به الكاف غير زائدة.

قالوا: المِثْل هنا بمعنى الصفة، أي: (ليس كصفته شيء)، وقالوا: أن (المِثْل) و(المَثَل) يأتيان بمعنى واحد، و(المَثَل) قد أتى بمعنى الصفة، كما في قوله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ} ¹⁷³ مَثَل: أي صفة، فقالوا: أن المَثَل هنا بمعنى الصفة، وعلى هذا فتكون الكاف غير زائدة، أي: (ليس كصفته شيء).

¹⁷⁰ سورة القمر، آية 5

¹⁷¹ سورة النور، آية 40

¹⁷² سورة الشورى، آية (١١).

¹⁷³ سورة محمد، آية (١٥).

وقال بعضهم: أن (مثل) بمعنى نفس، أي ذات، أي: (ليس كذاته شيء)، وعلى هذا فالكاف غير زائدة.

وقال بعضهم: إن (المِثْل) بمعنى المُمائل، وعلى هذا تكون الكاف زائدة، لأنك إذا قلت ليس كمثله بمعنى الممائل أثبت له ممائلًا، وأن الممائل ليس له ممائل، وهذا لا يستقيم!

قالوا: إذن نقول الكاف زائدة للتوكيد، كما تُزاد (الباء)، وكما تُزاد (مِنْ) للتوكيد، كذلك هنا (الكاف) زِيدت للتوكيد.

قالوا: التوكيد هنا هو (نفي الممائل)، يعني أن الله ليس له ممائل، وعلى فرض أن يكون له ممائل فليس لممائله ممائل، وعلى هذا فتكون الكاف زائدة للتوكيد.

وهذا كله لأن المسلمين متفقون على أن الله سبحانه وتعالى ليس له مثل، كما دلت على ذلك آيات صريحة مثل قوله تعالى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} ¹⁷⁴ وقوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ¹⁷⁵.

وقوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} هذه صفة من الصفات المنفية، فلماذا نُفيت المماثلة؟ لكمالها وعدم إلحاق أحد به، فهو لكمالها لا يوجد له مثل أبدًا، لا لأنه ليس بموجود، ولكنه لأنه موجود لكن لا يماثله أحد.

وفي هذه الجملة ردُّ على المُمثِّلة الذين يقولون أن الله تعالى له مَثيل، ويُمثلون الله بالخلق والعياذ بالله، حتى قام بعضهم خطيبًا وقال: "سلوني عن كل شيء أخبركم به واعفوني عن الفرج واللحية" - نسأل الله العافية- لأن الفرج لا يحتاج إليه إلا من يحتاج إلى النسل، واللحية -على زعمه- تنافي الجمال لأن الأمر أجمل من ذي اللحية، فقال: (اعفوني عن هذا، الباقي أنا مستعد أن أمثِّله لكم، أقول اليد مثل يدي، والوجه كذلك)!!

وهذا رأي الضُّلال الممثلة الذين يعبدون الصنم. قال ابن القيم رحمه الله في مقدمة (النونية) قال: (المعطل يعبد عمدًا، والممثل يعبد صنمًا)، الممثل يعبد صنمًا يقول الله مثل كذا، والمعطل يعبد عمدًا لأن نتيجة تعطيله أن لا وجود لله، ففي هذه الآية ردُّ صريح على الممثلة.

"{وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}"

{السَّمِيعُ}: من أسمائه، و{الْبَصِيرُ}: من أسمائه عز وجل.

{السَّمِيعُ}: قال العلماء: وينقسم إلى قسمين: سمع إجابة وسمع إدراك.

¹⁷⁴ سورة مريم، آية (٦٥).

¹⁷⁵ سورة البقرة، آية (٢٢).

- 1- سَمِعَ الإِجَابَةَ: منه قوله تعالى: {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ}¹⁷⁶ المعنى سامع أم مجيب؟! الجواب: مجيب؛ لأن مجرد السمع ليس فيه ذلك الثناء، وهذا توسل إلى الله عز وجل أن يُجيب الله الدعوة والتوسل إلى الله تعالى بمجرد إدراكه للصوت ليس وسيلة في الواقع، التوسل إلى الله بكونه مجيباً للدعاء فيجيب دعاء هذا السائل. ومنه أيضاً قول المصلي: (سمع الله لمن حمده) يعني: استجاب الله لمن حمده.
- 2- سَمِعَ الإدراك: ينقسم إلى أقسام: تارة يكون للتأييد، وتارة للتهديد، وتارة لبيان شمول إدراكه وسمعه عز وجل لكل شيء.

ففي قول الله تبارك وتعالى: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} هذا للتهديد، بدليل قوله: {سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}¹⁷⁷، ومثل قوله تعالى: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ}¹⁷⁸ هذا أيضاً للتهديد، لقوله: {بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}¹⁷⁹.

وتارة يكون للتأييد: كقوله تعالى لموسى وهارون: {لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}¹⁸⁰ هذا ليس المراد مجرد إخبار موسى وهارون أن الله يسمعهما ويراهما بل المراد التأييد والنصر وما أشبه ذلك.

وتارة يراد به بيان شمول سَمِعَ الله لكل شيء: كقوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا}¹⁸¹، ولهذا قالت عائشة: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد كنت في طرف الحجرة وإنه ليخفي عليّ بعض حديثها)¹⁸²، والله عز وجل من فوق سبع سماوات يسمع، وهذا المراد به بيان شمول سَمِعَ الله لكل شيء، إن تكلمت في بيتك فالله يسمع، إن تكلمت في ملاً فالله يسمع، إن حدثت نفسك فالله يعلم، فإن حركت بلسانك حتى صار قولاً فالله يسمع وإن خفي، ولهذا قال الله تعالى في الحديث القدسي: [من ذكّرني في نفسه ذكّرتُه في نفسي، ومن ذكّرني في مالا ذكّرتُه في مالا خيرٍ منهم]¹⁸³.

إذاً السَمِعَ ينقسم إلى قسمين: الأول بمعنى الإجابة، والثاني بمعنى الإدراك، والإدراك ثلاثة أنواع.

أما قوله {البصير}: فمعناه ذو البصر، ولكن البصير يكون بصير علم ويكون بصير رؤية، فهل المراد هذا أو هذا أو كلاهما؟ نعم، المراد كلاهما فهو جل وعلا بصير بمعنى (بصر الرؤية) يرى كل شيء وإن خفي وإن بُعد، فإنه تعالى يراه لا يغيب عنه

¹⁷⁶ سورة إبراهيم، آية (39).

¹⁷⁷ سورة آل عمران، آية (181).

¹⁷⁸ سورة الزخرف، آية (80).

¹⁷⁹ سورة الزخرف، آية (80).

¹⁸⁰ سورة طه، آية (46).

¹⁸¹ سورة المجادلة، آية (1).

¹⁸² أخرجه ابن ماجه (188)، بلفظ: [لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ وأنا في ناحية البيت، تشكو زوجها، وما أسمع ما تقول].

¹⁸³ رواه البخاري (7405)، ولكن بدل (من): (إن) في الجميع.

شيء، كذلك بصير بمعنى (بصر علم) مثل قوله تعالى: **{وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ}**¹⁸⁴ **{وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ}**¹⁸⁵ وما أشبه ذلك، المعنى عليهم به، ولهذا جاءت مُعَدَّاةً بالباء، أي: (بصير بكذا)، ولو كان البصر هنا بمعنى الرؤية لقال "يبصرهم"، ما قال "يبصر بهم".

قوله تعالى: **{أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ}**¹⁸⁶ أي البصرين هنا؟

الظاهر أنه يشمل الأمرين جميعاً. وإن كان قد يقول قائل أن (أسمع) لما ذكر السمع هذا يدل على بصر الرؤية، لكن كونه شاملاً أحسن.

في هذه الآية الكريمة إثبات **{السَّمِيعُ}** اسم من أسماء الله، و**{البَصِيرُ}** اسم من أسماء الله، فهل هذان الاسمان مما يتعلق بالإيمان بهما ثلاثة أمور أو أمران؟

الجواب: ثلاثة أمور؛ لأنهما متعديان، فنؤمن بالسميع اسماً، وبالسمع صفة، وبأنه يسمع حكماً وأثراً. وكذلك يقال في البصر.

هل يلزم من إثبات السمع إثبات الأذن؟ لا يلزم.

هل يلزم من إثبات البصر إثبات العين؟ لا يلزم.

ولهذا نقول لا نُثبت لله أذنًا لأنه لم يرد أن لله أذنًا، ونثبت لله عينًا لا بهذه الآية ولكن بآيات أخرى، مثل قوله تعالى:

{وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}¹⁸⁷ وقوله تعالى: **{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}**¹⁸⁸.

فإن قال قائل: لماذا لا تقولون إنه من لزوم السمع إثبات الأذن، قلنا: لا نقول ذلك، أليست الأرض تُحدِّث أخبارها وهو ما حُمل عليها من خير أو شر أو قول أو فعل؟ وهل لها أذن؟ لا.

فإن قال قائل: ما تقولون في قول النبي ﷺ: **{مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ ما أذنَ لِنبيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَعَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ}**¹⁸⁹،

فقال **{ما أذنَ}**، قلنا: (أذن) هنا بمعنى: استمع، وقد يقال (أذن) هنا بمعنى: الإذن القدري الكوني ليس بمعنى الاستماع،

¹⁸⁴ سورة الحجرات، آية (١٨).

¹⁸⁵ سورة آل عمران، آية (١٥).

¹⁸⁶ سورة الكهف، آية (٢٦).

¹⁸⁷ سورة طه، آية (٣٩).

¹⁸⁸ سورة القمر، آية (١٤).

¹⁸⁹ رواه مسلم في صحيحه، (٧٩٢).

لكن الأول أصح أن (أذن) بمعنى استمع، ولا يلزم من الاستماع إلا السماع، أما إثبات الأذن فالأذن شيء آخر فوق السماع، ولذلك لو قطعت أذن واحد فإنه يسمع، ولو قلعت عينه فإنه لا يرى.

لماذا نقول إذا قطعت أذنه أنه يسمع؟ لأن السمع من الداخل وهذه الأذن إنما كانت على هذه الصفة من أجل تنظيم دخول الهواء على صمخ الأذن. لأن الصوت له هواء، أنتظنون الآن صوتي لا هواء يتبعه؟ بل له هواء، ولو جاءت الأصوات على الأذن وهي مخروقة فقط بدون هذه التعرجات لأثرت، لأن الإنسان دائماً يسمع الأصوات، لكن من حكمة الله عز وجل أن الله جعل التعرجات من أجل أن الصوت يلف يمين ويسار فيدخل إلى الصمخ بهدوء، وهذا واضح، ولذلك تجد الإنسان إذا قطعت أذنه تكثر عليه الآلام من الداخل لأن الهواء يأتي بقوة فيزعج السمع الداخلي.

"وقال: بأن {لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} 190".

{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}: المقاليد جمع مقلاد، وهو بمعنى القلادة، أي أن أزيمة الأمور بيد الله عز وجل في السماوات وفي الأرض، فنسأل الله تعالى أن يرسخ إيماننا بذلك لأن الإنسان إذا آمن بهذا حق الإيمان رضي بالله، في الخير والشر، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: [عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ. إِنْ أَصَابَتْهُ ضُرٌّ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ سُرٌّ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ] 191، أنت إذا آمنت بهذا تمام الإيمان اطمأنتت، إذا أصابك الله بضر تقول: من أنا؟ ألسنت عبد الله؟ أليس الله له مقاليد السماوات والأرض؟ أليس الله يفعل ما يشاء؟ والحمد لله إنه إذا ابتلاني بضر أثابني على ذلك، وإن ابتلاني بسراء أيضاً امتحنني بذلك، {هُذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} 192.

ولهذا قد نقول أحياناً إن الابتلاء بالنعمة أشد من الابتلاء بالضراء، لأن النعمة تحمّل على الأشر والبطر، وقلاً من يقوم بشكرها، حتى قال عليه الصلاة والسلام: [وَاللَّهُ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَإِنَّمَا أَخْشَى أَنْ تَفْتَحَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسَهَا مِنْ قَبْلِكُمْ فَتَهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَهُمْ] 193. وصدق الرسول عليه الصلاة والسلام، فإن الإنسان يشعر أحياناً بأنه لو كان فقيراً محتسباً صابراً خير مما لو كان غنياً مترقفاً غافلاً.

فعلى كل حال أقول إذا آمن الإنسان بأن الله له مقاليد السموات والأرض اطمأن تماماً ورضي وهانت عليه المصائب. وانظر إلى الله عز وجل يُصبرنا سبحانه وتعالى وله المنة والفضل {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} 194، فإذا علمت أنها

190 سورة الشورى، آية (١٢).

191 أصله صححه الألباني في صحيح الجامع، (٣٩٨٠)، بتقديم (السراء).

192 سورة النمل، آية (٤٠).

193 أخرجه البخاري (3158)، ومسلم (2961)، بمعناه.

194 سورة التغابن، آية (١١).

من عند الله ماذا تقول؟ تقول: أمنت بالله وأنا عبده يفعل ما يشاء، ولهذا قال: **{وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}**¹⁹⁵ قال علقمة رحمه الله وهو أحد أكابر أصحاب ابن مسعود، قال: (هو الرجل تُصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسلم).

" **{يُبْسِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ}**¹⁹⁶ " .

{يُبْسِطُ}: يوسع، **{يَقْدِرُ}**: يضيق، كما قال تعالى: **{وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ}**¹⁹⁷.

وقوله **{لِمَنْ يَشَاءُ}** هل هي مجرد مشيئة أن الله يبسط ويقدر؟ نقول: لا، ليست مجرد مشيئة، بل مشيئة مقرونة بحكمة، كما قال تعالى: **{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}**¹⁹⁸ فهو جل وعلا يشاء الأشياء لا أحد يردُّه لكن مشيئته تابعة لحكمته، فمن اقتضت حكمة الله تعالى أن يبسط له الرزق بسطه، ومن اقتضت حكمته أن يضيق عليه رزقه ضيق عليه، ولهذا ختمها بالعلم فقال: **{إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}**¹⁹⁹.

ما يستفاد من الآية: لا يخفى علينا أن في الآية من صفات الله أشياء متعددة:

- أولاً: نفي التمثيل: لقوله: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** وانتفت المثلية لكمال صفاته عز وجل لا مُماثل له.
- ومن فوائدها: إثبات (السميع) (البصير) وهما اسمان من أسماء الله، والأخير (العليم) إلا أن نجعل العليم خبر وصفة فهو اسم ولكن قد جاء في آيات كثيرة اسم الله العليم.
- ومن فوائد الآية: إثبات السمع والبصر لله، أخذ من قوله: **{السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**؛ لأن كل اسم من أسماء الله لا بد أن يتضمن الصفة التي اشتق منها.
- ومن فوائد الآية الكريمة: عموم مُلك الله عز وجل وتدييره لقوله: **{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}**.
- ومن فوائدها: أن لا مشارك له في ذلك، تُؤخذ من تقديم الخبر: **{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}**.
- ومن فوائدها: أنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فالأمر بيده، إذاً إذا رأينا غنياً قلنا هذا ليس لمجرد كسبه ولا شك أن كسبه له أثر لكنه بيد الله عز وجل.
- ومن فوائدها أيضاً: أنه يضيق، فإن قال قائل: هل هناك سبب غير كسب الإنسان الدنيوي لسعة الرزق؟ قلنا: نعم. منها صلة الرحم: **{مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحْمَتَهُ}**²⁰⁰.

¹⁹⁵ سورة التغابن، آية (١).

¹⁹⁶ سورة الشورى، آية (١٢)..

¹⁹⁷ سورة الطلاق، آية (٧).

¹⁹⁸ سورة الإنسان، آية (٣٠).

¹⁹⁹ سورة الشورى، آية (١٢).

²⁰⁰ أخرجه البخاري (5986)، ومسلم (2557).

وقد أشكل هذا على بعض العلماء، وقال هذا ينافي قوله تعالى: **{إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}**²⁰¹ والرسول ﷺ أخبر بأنك إذا وصلت الرحم نساء الله لك في الأثر وزاد عمرك، فيقال: لا إشكال. أنت إذا استشكلت زيادة العمر فاستشكل أيضاً زيادة الرزق حتى الرزق المكتوب فالملك الموكل بالأرحام يؤمر بكتب رزقه وأجله.

فإذا قال قائل: إذا كيف نوجه حديث الرسول ﷺ؟

قلنا: نوجه حديث الرسول ﷺ أن المراد به الحث على صلة الرحم، وإلا فإن الأمر مكتوب من قبل أن هذا واصل وزاد عمره بسبب صلته، هذا أمر مستقر من قبل أن يُخلق الإنسان، وأن هذا قاطع ونقص عمره، فنحن نقول هذا القاطع لولا قطيعة رحمه لكان عمره مثلاً خمسين بدل الأربعين لكن قُدِّرَ له من الأصل أنه قاطع أو أنه واصل، فالواصل قد كُتِبَ له أنه واصل، وقد كتب أن عمره سوف يزداد بهذه الصلة، لكن هل علم بذلك؟ لا. إذاً يكون مراد النبي ﷺ الحث على صلة الرحم وأنها سبب لبسط الرزق وطول العمر، كما أن الولادة إذا قلنا من أحب أن يولد له فليتزوج، نفس الشيء، نقول هذا الرجل قدر له أن يتزوج في سالف الزمن فتزوج وولد له، حتى دخول الجنة من أراد أن يدخل الجنة فليؤمن بالله ورسوله، نقول له: دخول الجنة أيضاً له سبب وقد كتب السبب والدخول من الأزل، فالحديث ليس فيه إشكال.

لكن الإشكال -ولننظر إلى الجواب عنه-: قول الله تبارك وتعالى عن نوح أنه قال لقومه: **{يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ}**²⁰² كيف قال **{يُؤَخِّرْكُمْ}** ثم قال **{إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ}**؟! هل هذا تناقض؟ لا. نقول إن أجل الله إذا جاء بالعذاب لا يؤخر، فاستدركوا أمركم واسمعوا وأطيعوا حتى لا يحل بكم العذاب، **{إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ}** ليس أجل الموت بل أجل العذاب، أما قوله: **{وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى}** أي: أجل الموت، وليس أجل العقوبة.

وقالت مريم: **{يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا}**²⁰³، وقال النبي ﷺ: **{لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلَ بِهِ}**²⁰⁴ فهل نقول: أن شرعنا ورد بخلاف شرع مريم؟ أو نقول: لا منافاة؟

الجواب: الثاني. لأن معنى قولها: **{يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا}** يعني: يا ليتني لم أدرك هذا الشيء، أي: ليت هذا لم يكن، ليتني مت قبل هذا ولا صار شيء، وليست تتمنى أن يتقدم موتها على حصول هذا الشيء، وهذا فرق. فقول الإنسان: (ليتني أموت ولا أعصي) هذا صحيح، لكن إذا قال: (ليتني مت قبل هذه المعصية) بمعنى أنني مت قبل أن أدركها، أو ليتها لم تدركني قبل أن أموت، هذا معنى آخر.

²⁰¹ سورة يونس، آية (٤٩).

²⁰² سورة نوح، آية (٤).

²⁰³ سورة مريم، آية (٢٣).

²⁰⁴ أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٦٨٠).

وعليه فيكون قول مريم غير منافٍ لشرعنا، فإن الإنسان لا ينبغي أن يتمنى الموت لضُر نزل به ولكن يسأل الله العافية يقول: [اللهم أحييني إذا علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي]²⁰⁵.

-الدرس التاسع-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

السائل: بعض الناس يكسبون أقواتهم من طريق حرام غير شرعي، فهل هذا يطلق عليه رزق؟ وهل هذا المال الحرام يطلق عليه رزق؟ أو إن الرزق هو الحلال؟
الشيخ: الرزق المطلق هو الحلال، وأما الرزق الذي به قوامُ البدن فيشمل الحلال والحرام.

السائل: هل يصح أن يقال: "إن الله سميع بلا أذن، وبصير بلا عين"؟

الشيخ: لا، لأنه لا يجوز أيضًا نفي الأذن عن الله، هل نفي الله عن نفسه الأذن؟!
السائل: ما نفي.

الشيخ: ما نفي، إذًا لا يجوز أن ننفي لاحتمال أن يكون له أذن.

أيضًا: "بصير بلا عين"، هذا أيضًا لا يصح لوجهين:

الأول: أن الله أثبت لنفسه عينًا، فكيف ننفيها؟!،

والثاني: لو قُدر أن الله لم يثبت له عينًا فلا يجوز نفيها؛ لأن هذه قاعدة، افهموها:

كل ما يتعلق بصفات الله فإنه لا يجوز إثباته ولا نفيه إلا بدليل، إلا ما علمنا أنه لا يليق بجلاله عز وجل، كالأشياء التي تتضمن النقص، مثل لو قال الإنسان: هل لله أسنان وأضراس؟

لا نقول ما ندرى، نقول: ندرى أنه ما له أسنان ولا أضراس؛ لأن هذه إنما يحتاج إليها لمضغ الأكل، والله تعالى لا يأكل، كما نعلم أيضًا أنه ليس له معدة وليس له أمعاء؛ وننفي ذلك، لأن هذه إنما يحتاج إليها من يحتاج إلى الأكل، ثم إن الله (صمد)؛ قال بعض العلماء في تفسيرها: [(صمد): أي لا جوف له]، لأنه غني عن الأكل.

²⁰⁵ صححه الألباني في صحيح الجامع، (٥٦٩١)، بلفظ (ما كانت) بدلًا من (إذا علمت).

انتبهوا إلى هذه النقطة أيضًا، لا تظنوا أننا لا ننفي كل شيء حتى يرد نفيه بعينه، بل إذا كان إثباته يستلزم نقصًا نفيًا؛ لأن النقص وما يستلزمه كله منفي عن الله عز وجل.

السائل: هل في قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}²⁰⁶، قلنا فيه رد على الممثلة، فهل في قوله تعالى: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}²⁰⁷ رد على المعطلة؟

الشيخ: بلى، في هذه الآية ردُّ على المُمثلة والمُعطلة.

على المُمثلة في قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، وعلى المُعطلة في قوله: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

السائل: لقد قلنا أن لا تثبت العين لله سبحانه وتعالى لمجرد صفة البصر، قلنا أننا نأخذها من قوله تعالى:

{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}²⁰⁸، فهل لو وردت هذه الآية منفردة من دون ورود السنة هل تكفي؟

الشيخ: أيها؟

السائل: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}.

الشيخ: نعم ما فيه شك.

السائل: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} أي: بالإحاطة؟

الشيخ: هذا الذي فسره بذلك مؤول، بل مُحَرِّف في الواقع، لو كان المراد الإحاطة لقال: (تجري بعلمنا) لأن العلم أشمل من العين.

والذي فسرها (بمرأى منا) -لأن من المُفسِّرة الأصوليين الذين يذهبون بمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات-

لو قال: (بمرأى منا)، واقتصر عليها؟

فهذا غير صحيح، بل يجب أن يقول (بمرأى منا بأعيننا)، عندما نقول (بمرأى منا) معناه إثبات رؤية بلا عين.

السائل: بماذا يجيب الممثلة عن هذه الآية {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وهو {السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}²⁰⁹ وعن قوله تعالى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}²¹⁰، و{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}²¹¹ التي ورد فيها نفي المماثلة لله عز وجل للمخلوقين؟

²⁰⁶ سورة الشورى، آية (١١).

²⁰⁷ سورة الشورى، آية (١١).

²⁰⁸ سورة القمر، آية (١٤).

²⁰⁹ سورة الشورى، آية (١١).

²¹⁰ سورة الإخلاص، آية (٤).

²¹¹ سورة مريم، آية (٦٥).

الشيخ: ألم تعلم أن كل ذي باطل لا يمكنه أن يدفع الأدلة الصحيحة إلا بمعنى سخيّف لا يُقبل، هم يقولون: ليس كمثله شيء في الوجود الأزلي، فيُحَرِّفون؛ فيقال: سبحان الله!! هذا أمر لا يحتاج إلى نفي! إن قلت: إن المراد بـ{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} أي في الوجود الأزلي، فهو كقول القائل: السماء فوقنا والأرض تحتنا!!

السائل: ما وجه كون الآية {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} دليل على إثبات العين؟

الشيخ: لأن الله أثبتها.

السائل: شيخ، توجد آيات أخرى لا يمكن إثبات منها بعض الصفات؟

الشيخ: مثل ماذا؟

السائل: يعني مثلا بالنسبة لليد يا شيخ.

الشيخ: نعم.

السائل: كمثله قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} ²¹² وكأنها شبيهة بهذه الآية؟

الشيخ: ماذا قلنا في قوله تعالى: {بِأَيْدٍ}؟ أي: بقوة كما قال تعالى: {وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا} ²¹³ أي قوية، وهل أضاف الله

(الأيد) -يعني تنزلا معك- أن الأيد جمع يد، هل أضافها الله إلى نفسه؟

الشيخ: حدد الجواب هل قال الله {بِأَيْدِينَا}؟

السائل: لا.

الشيخ: إذا كيف تقول المراد جمع يد.

السائل: أنا ما أقول هذا يا شيخ أنا أقول أن هذه الآية لا تثبت منها اليد.

الشيخ: لأن (أيد) هذه ما أضيفت إلى الله، حتى لو جعلناها (بأيد) أي جمع يد ما أضافها إلى الله، ما قال: "بأيدينا" كما قال:

{مِمَّا عَمِلْتَ أَيَّدِينَا أَنْعَامًا} ²¹⁴، ولمَّا قال: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} ²¹⁵ هل تثبت الساق من هذه الآية؟

الطالب: لا.

الشيخ: لأن الله لم يضيفها إلى نفسه، ولهذا اختلف السلف فيها هل المراد {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} أي: عن شدة؟ أو المراد

عن ساق الله؟، لكن إذا تأملت الآية وتأملت حديث أبي سعيد قلت أن المراد بالساق هنا ساق الله، فيكون دلالته على أن

الساق هو ساق الله ما أيدت السنة، المسألة دقيقة افهم (أن الشيء لا يكون صفة لله إلا إذا أضافه الله إلى نفسه).

السائل: وهل تثبت من الآية يا شيخ العينين؟

الشيخ: لا، تثبت أعين كثيرة، آلاف الأعين، أو ملايين الأعين، أو ملايين الملايين، أو ملايين الملايين الملايين، لأن الجمع لا

²¹² سورة الذاريات، آية (٤٧).

²¹³ سورة النبأ، آية (١٢).

²¹⁴ سورة يس، آية (٧١).

²¹⁵ سورة القلم، آية (٤٢).

حد له، فماذا تثبت من هذا؟ أثبت مليون عين، مثلاً؟

السائل: أثبت وجود العين.

الشيخ: بل أقصد هذه الآية: {بِأَعْيُنِنَا}، كم عين تثبت لله؟ أما في قوله تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} ²¹⁶ نعم هنا صحيح،

واحدة، لكن أقصد هذه الآية: {بِأَعْيُنِنَا}؟

السائل: من هذه الآية؟

الشيخ: نعم من هذه الآية، كم؟

السائل: أثبت عددًا لا حصر لها.

الشيخ: نعم، لا حصر لها، إذا أعين كثيرة لا حصر لها، كيف تجيب عن قول الرسول عليه الصلاة والسلام حين ذكر

الدجال قال: [إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ] ²¹⁷.

السائل: نجيب أن الله عز وجل له عينان، لكن هذه العينين ليس فيها عور.

الشيخ: نعم، أين الأعين؟ لو كان لله أكثر من عين لكان ما زاد على ذلك كمالاً أليس كذلك؟ ويحصل به الفرق الذي أراده

الرسول عليه الصلاة والسلام بين الأعور الدجال وبين الرب عز وجل لقال "إن له عينين وإن ربكم له أعين"، فلما لم يذكر

الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك علم أنه ليس له أكثر من اثنتين، إذ لو كان له أكثر من اثنتين لكان ذلك كمالاً، وبه

يحصل الفرق بين الدجال وبين الرب، ولا يمكن للرسول ﷺ أن يهدر الكمال ثم يذكر نفي عيب، هذا لا يمكن، ولهذا

استدل علماء السلف بهذا الحديث على أن لله تعالى عينين اثنتين، وهذا حق.

السائل: هل قوله: {بِأَعْيُنِنَا} من قبيل قول الله عز وجل: {مِمَّا عَمَلَتْ أَيْدِينَا}؟

الشيخ: نعم، هنا قال العلماء رحمهم الله في الجمع: الجمع للتعظيم، فيكون ذكر الجمع هنا في العين تعظيمًا لها، هذا من

جهة المعنى. من جهة اللفظ، قالوا: إن (نا) ضمير يدل على الجمع في الأصل وليست للتعظيم، فكان من المناسب

والأفصح ألا يضاف إليه إلا ما كان جمعًا ولو بصورة اللفظ، لأجل التناسب بين المضاف والمضاف إليه، فكان للجمع

فائدتان: فائدة لفظية وفائدة معنوية،

والفائدة (المعنوية): التعظيم؛ لأن التعظيم يدل على الجمع، ولهذا يقول الله عز وجل: {إِنَّا نَحْنُ} مع أنه واحد.

الفائدة الثانية (اللفظية): التناسب بين المضاف والمضاف إليه.

السائل: كيف يكون التناسب بين المضاف والمضاف إليه في قوله تعالى: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}، وهنا السفينة واحدة؟

الشيخ: لو أنك وقفت على ميناء من الموانئ وصرت تنظر إلى سفينة واحدة، كم لك من عين؟

²¹⁶ سورة طه، آية (39).

²¹⁷ أخرجه البخاري (7131).

السائل: عينان.

الشيخ: تعدد الآلة لا يدل على تعدد المرئي، أحياناً يتعدد المرئي أكثر من العينين.

أنا الآن أراكم كلكم، كم أنتم؟ عدد كبير أكثر من عينين، العينان تريان الواحد واحد، والجمع جمع.

السائل: لكن أنا أسأل عن الفائدة التي ذكرناها الثانية قلنا (أن تناسب المضاف والمضاف إليه).

الشيخ: نعم، هذه مناسبة لفظية، ولهذا لما كانت السفينة تحمل نوحاً ومن معه ومن كل زوجين اثنين قال: {بِأَعْيُنِنَا}، ولما

كان يخاطب موسى فقط قال: {وَلْتَصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي} ²¹⁸.

السائل: من القواعد المعروفة في باب الأسماء والصفات الالتزام بألفاظ الكتاب والسنة، فكيف تكون هذه القاعدة مع

إثبات صفة التثنية في العينين؟

الشيخ: للحديث.

السائل: الحديث ليس فيه لفظ التثنية يا شيخ.

الشيخ: إذا قال: [إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرٌ]، كم للدجال من عين؟

الطالب: واحدة.

الشيخ: لا لا، عينان، إحداهما عوراء، إذًا لله عينان كلاهما سليمة.

السائل: هذا مفهوم يا شيخ من اللفظ وليس نفس اللفظ.

الشيخ: من المعنى ما في إشكال، أنا قلت لك قبل قليل وأقولها الآن، لو كان لله أكثر من ثنتين، أيكون كملاً أم لا؟ لو كان

له ثلاث أعين أيكون كملاً أم لا؟

السائل: يكون كملاً.

الشيخ: نعم كمال، الثلاث هل يحصل فيها التمييز ومعرفة أن هذا الدجال ليس برب؟

السائل: يحصل.

الشيخ: يحصل. لماذا حذف الرسول ﷺ هذه العلامة البينة التي هي كمال، وأتى بنفي العيب عن الله فقط؟

السائل: لنفي أن يكون هناك نقص مثلاً في صفة العين لله عز وجل.

الشيخ: وأيضاً أنها اثنتان فقط، وإلا لقال (وإن ربكم له ثلاث أعين) ويحصل التمييز.

هذا واضح، وإن كان بعض الناس عجائب -سبحان الله العظيم-، على أن السلف استدلوا بها وبينوا ذلك منهم الإمام

أحمد، وهذا الذي ردّه هو عثمان بن سعيد، رد على الكافر العنيد، فالمهم أن العلماء استدلوا بها، ثم تخفى على بعض

الناس.

²¹⁸ سورة طه، آية (39).

السائل: قوله تعالى: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ} ²¹⁹، يعني هذا بالنسبة للرزق والعمر؟ أم يتعلق بماذا؟
الشيخ: {مَا يَشَاءُ}، {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ}، قيل معناها يمحو الله ما يشاء ويثبت من الأعمال، كما قال تعالى: {إِنَّ
الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} ²²⁰ وليس من الآجال، وكذلك من النصر والانتصار وما أشبه ذلك.
ونحن نقول بالإطلاق، {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ} لكن أم الكتاب الأصل {وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} ²²¹ عنده ما تتغير، ولهذا قال
بعض العلماء: إن ما كُتِبَ في اللوح المحفوظ لا يتغير إطلاقاً، وما كُتِبَ في الصحف التي بأيدي الملائكة فهو الذي يكون فيه
المحو والإثبات.

السائل: ما حكم قول القائل: (لله عين وأعين وعينان) أو (لله يد وأيد ويدان)؟
الشيخ: هذا لا يجوز، إذا قصد معناها لا يجوز.
السائل: لكن هذا ورد في القرآن.

الشيخ: ورد بقريظة. وأيضاً إذا قلت (لله يد وأيد ويدان) فما معناها؟!، صار معناها له (أيد) لأن القليل داخل في الكثير،
لكن تقول: (وردت صفة اليد بالإفراد والتثنية والجمع) وهذا الصواب.

السائل: بالنسبة لسمع الإجابة، قال الله تعالى: {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} ²²²، أي أن الله مجيب الدعاء، بعض الناس يفهم
أنه يلزم نفي صفة السمع؟
الشيخ: لا ما نفمها، وهل يمكن أن يجيب بلا سَمْعٍ وبلا إدراك؟ لا بلا إشكال.

السائل: شيخ، بعض أهل العلم أثبت لله سبحانه وتعالى الرداء والإزار، هل هذا يصح؟
الشيخ: هذا جاء في حديث العظمة والكبرياء ²²³، فنقول كما قال الرسول ﷺ فقط، ولا نقول إنه مثلاً يلبس إزار من قطن
أو من صوف أو من حرير، لا!.. نقول العظمة والكبرياء فقط، ومن المعلوم أنهما مَعْنِيَانِ ليسا حِسِّيَّيْنِ، لكن هذا بمنزلة
الإزار وهذا بمنزلة الرداء.

²¹⁹ سورة الرعد، آية (٣٩).

²²⁰ سورة هود، آية (١١٤).

²²¹ سورة الرعد، آية (٣٩).

²²² سورة إبراهيم، آية (٣٩).

²²³ يشير الشيخ رحمه الله إلى حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه: [الكبرياء رداً والعظمة إزار] فمن نازعني في شيء منه أدخلته في النار.

السائل: شيخنا أحسن الله إليكم هل التتبع والاستقراء دليل في العقائد، وفي إثبات الصفات وغيرها؟

الشيخ: التتبع والاستقراء (دليل عقلي) أو (دليل حسي). أي إما أن يكون:

دليله العقل: بأن تقول الموجودات إما خالق وإما مخلوق.

أو دليله الحس: بأن تقول مثلاً هذا الشراب أو هذا الطعام إما ضار وإما نافع.

ومعلوم أن العقل والحس من الأدلة، لكن لو فرض أن الشرع عارضها، -وهذا أقوله وليس معناه جواز الوقوع-، لو فرض فالشرع مقدم.

السائل: بعض الأشخاص لما يتكلم عن الصفات الذاتية، كاليد والأصابع قد يحرك يديه وأصابعه يعني دلالة على هذا

الشيء، هل في ذلك شيء؟

الشيخ: والله أنا أرى ألا يفعل إلا ما جاء به النص، ثم ما جاء به النص أيضاً لا يقوله عند العوام، العوام لو مثلاً قرأت:

{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}²²⁴ ووضعت إصبعك على أذنك والثاني على عينك توهموا تماماً المُمائلة؛ ولهذا قال علي بن أبي

طالب: (حدّث الناس بما يعرفون). أي بما يمكن أن يعرفوه، وليس (بما يعرفون) بما كانوا قد عرفوه من قبل بل المعنى بما يمكن أن يعرفوه ويتصوروه، (أتريدون أن يُكذّب الله ورسوله).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (إنك لن تُحدّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)، فمثلاً: لو قرأ إنسان

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}²²⁵ ثم وضع إصبعه على أذنه والأخرى على عينه أمام العامة، لا يستقيم! فكيف يأتي إنسان

ويعمل حركة لم يفعلها الرسول عليه الصلاة والسلام، ما الذي أدراه أن الحركة كانت على هذا الوجه من الله عز وجل.

السائل: يا شيخ التعمق في الصفات قد يجرب بعض الناس إلى الوسواس.

الشيخ: صحيح، أنا معك في هذا، وأنا أنهى دائماً عن ذلك، أقول اجعل إيمانك بالأسماء والصفات كإيمان العجائز، كما

تمنى ذلك كثير من علماء الكلام الأذكياء، لأن التعمق يؤدي إلى أحد أمرين: إما التعطيل أو التمثيل.

وأظن لنا كلاماً قبل كم ليلة، تكلمنا كلاماً جيّداً لو تأخذه من الشريط وإن باعوا عليك بألف ريال ما فيه مانع لأنه مفيد.

هنا في الدرس وكتب إلي بعض الطلبة قال الآن أثلجت صدورنا وأثنى على الكلام ثناءً عاطراً.

²²⁴ سورة المجادلة، آية (1).

²²⁵ سورة النساء، آية (58).

السائل: أحسن الله إليك، بعض الناس يقولون إن المخلوق العالم حادث بمعنى أن كل فرد يكون مخلوقاً من عدم لكن مع ذلك ما من وقت إلا وفيه مخلوق لله سبحانه وتعالى في الماضي حتى لا يُظنّ تعطيل الخلق، فما رأيك؟

الشيخ: هذا رأي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتلميذه ابن القيم وهو صحيح، لكن من المخلوقات ما علمناها ومنها ما لم نعلمها، يعني مثلاً لو قال قائل: هل قبل العرش شيء؟ الماء الذي كان العرش عليه هل قبله شيء؟ نقول نعم، لكننا لا ندري ما هذا الشيء لأن الله لم يزل ولا يزال خلأً.

السائل: لكن هل نتوقف أو نحكم بأنه كان فيه؟

الشيخ: هو ما دام الله خلأً فإنه من الجائز أن يخلق، لكن ما نجزم.

السائل: هل نتوقف؟

الشيخ: نعم، والتسلسل في الماضي ممكن، ولكن ما نجزم بأن الله خلق، فخلقه سبحانه وتعالى تبعاً لحكمته.

السائل: هل يصح أن يقال (لكل موجود موجد) بدون أن يقيد ب(واجب الوجود) ولا (جائز الوجود)؟

الشيخ: يلزمك أن تقيّد، لأنك إذا قلت (لكل موجود موجد) دخل في ذلك الله عز وجل. تقول (لكل موجود من المخلوقات)، وبدلاً من هذا تقول (لكل مخلوق خالق)، كما قال تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} ²²⁶.

-الدرس العاشر-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

"ونؤمن بأنه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢)} ²²⁷.

ونؤمن بأنه: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} ²²⁸.

ونؤمن بأنه: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} ²²⁹.

²²⁶ سورة الطور، آية (٣٥).

²²⁷ سورة الشورى، الآيات (١١-١٢).

²²⁸ سورة هود، الآية (٦).

²²⁹ سورة الأنعام، (٥٩).

وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ: {عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} ²³⁰

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال المؤلف وفقه الله: "ونؤمن بأنه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}"، تكلمنا على هذه الآية، وبيننا أن هذه الجملة تقطع حجة كل مُعْطِلٍ، لأنَّ عامة أقوال المُعْطِلِينَ يحتجُّون عليها بهذه الآية، فيحتجُّون عليها بأن إثباتها يستلزم المُمَاثَلَةَ.

فندُّ عليهم بذلك، ونقول: (لله عينٌ، لكن ليست كمثلِ أَعْيُنِنَا؛ لأنَّ الله يقول: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، وبأنَّ له وجهًا، ولكن ليس كوجوهنا؛ لأنَّ الله يقول: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}).

ونؤكد هذا -أي ثبوت أصل المعنى بلا مُمَاثَلَةٍ- بالواقع المحسوس، فنقول لهؤلاء: (ألكم أعينٌ؟)، سيقولون: (بلى)، فنقول: (هل للحمار عينٌ؟)، سيقولون: (نعم)، فنقول: (هل عَيْنُكَ تُشَبِّهُ عَيْنَ الْحِمَارِ؟) سيقولون: (لا)؛ فنقول: (إذا كان هذا التباين بين المخلوقات بعضها مع بعض فكيف لا يقع التباين بين المخلوق والخالق؟!، فالتباين بين المخلوق والخالق أبين وأوضح، وأجلى وأعظم، والفرق بين المخلوقات بعضها مع بعض فرقٌ لا يعدُّو أن يكون اختلافًا في الصورة والشكل، لكنَّ الفرق بين الخالق والمخلوق فرقٌ عظيم في الذات والصفات وكل شيء).
وعلى هذا؛ فهذه الآية أو فهذا الجزء من الآية يقطع حجة كلِّ مُعْطِلٍ؛ لأنَّ غالب حُجج أهل التعطيل: (أنَّ إثبات الصفات على حقيقتها يستلزم المُمَاثَلَةَ)، فنقول: إنَّ الله تعالى يقول: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}.

ثم نقول أيضًا: هو ردُّ واضح على المُمَثِّلَةِ الَّذِينَ يُثَبِّتُونَ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مَعَ التَّمَثِيلِ وَيَقُولُونَ: (عين الله حق ولكنها كأعيننا؛ لأنَّ الله لا يُخَاطِبُنَا إِلَّا بِمَا نَفْهَمُ).

فنقول لهم: هذا مُبْطَلٌ لِلآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وما أبطل الحق فهو باطل، فيكون قولكم هذا باطلاً.

"{وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}"

{السَّمِيعُ} مشتق من السمع، والسَّمْعُ يكون بمعنى إدراك المسموع، وبمعنى إجابة المسموع، وقسمنا الإدراك إلى أقسام.

{الْبَصِيرُ} يطلق على العليم، ويطلق على الرائي، فهو بصير رؤية، وبصير علم.

أما بصره العلي: فإنَّ الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء سواء أكان مرئيًّا أم مسموعًا.

وأما البصر الذي هو الرؤية "بصر الرؤية" فإن كل شيء يمكن أن يُرى فإن الله تعالى يراه، بل من الأشياء ما لا يمكننا أن نراه بأعيننا ويراه الله عز وجل، فيكون بصير بمعنى العلم والرؤية، أو بمعنى رؤية العلم ورؤية البصر.

وفي هذا الجزء من الآية ردُّ على الْمُعْطَلَّة، فإن قال المعطَّلَّة: (نحن نُثَبِتُ أنه سَمِيعٌ بصير لكن بلا سَمْعٍ ولا بصراً!). قلنا: (هذا باطلٌ بجميع اللغات، كل لغات العالم لا تذكر شيئاً مشتقاً إلا وأصله ثابت في الموصوف به، لا يمكن أن تقول للأعشى: إنه بصير، ولا للأصم إنه سميع، بل لا يمكن أن تُثَبِتَ هذين الاسمين إلا لمن اتصفَ بالسَّمْعِ والبَصَرِ عند جميع اللغات، العربية وغير العربية).

وإذا قالوا: (إننا ثبت أنه سَمِيعٌ بصير)، كما تقول الأشاعرة؛ نقول لهم: إذا أثبتوا أنه حكيم، أثبتوا أنه خير، وهكذا مما يُنْكِرُونَهُ؛ لأنَّ من أثبت شيئاً لزمه أن يثبت مثيله، أما كونه يثبتُ بعضاً وينفي بعضاً فهذا هو الذي يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض.

"لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" أي: أزمّة السموات والأرض بيده عز وجل يتصرف بها كما يشاء؛ لأنه {لَا يُسْتَلَّ عَمَّا يَفْعَلُ} ²³¹، و {لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ} ²³².

"يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ"، {يَبْسُطُ}: أي يوسّع، {يَقْدِرُ}: أي يُضَيِّقُ، {الرِّزْقُ}: بمعنى العطاء، والعطاء نوعان: عطاءً يقوم به البدن، وعطاءً تقوم به الروح. فالأول: كالأكل، والشرب، واللباس، والسكن، وما أشبه ذلك. والثاني: كالعلم والإيمان، وهذا أعظم منةً من الأول؛ لأن الأول ممكن أن يعيش، وإذا مات فالله أعلم بحاله، لكن الثاني إذا مات فإنه يموت على خير؛ لأن عنده من العلم والإيمان ما يرفعه الله به. إذا الرزق هو: العطاء، وهو نوعان: الأول: ما يتغذى به البدن، والثاني ما تتغذى به الروح أي "القلب". فالأول: مثل الأكل، والشرب، والسكن، وما إلى ذلك، والثاني العلم والإيمان.

وقوله: {لِمَن يَشَاءُ} يأتي مثلها كثيراً في القرآن الكريم وكذلك في السنة، وهو تعليق الشيء بالمشيئة. فهل هي مشيئة مُجَرَّدَة أو مشيئة مقرونة بالحكمة؟ الثاني ولا شك، لقول الله تبارك وتعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} ²³³، وصف نفسه بالعلم والحكمة، بعد قوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}، فدل ذلك على أن الله لا يشاء شيئاً إلا مبنياً على علمٍ وحكمة وهو كذلك.

{يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ}، إذا قال قائل: ما هي الحكمة في بسطه لفلان وتضييقه على فلان؟ قلنا: الحكمة أن فلاناً لو وسَّعَ له في رزقه لكان ذلك سبباً لأشْره وبَطْره، فكان من الحكمة أن يُضَيِّقَ الله عليه، ومن بَسِطَ

²³¹ سورة الأنبياء، الآية (٢٣).

²³² سورة الرعد، الآية (٤١).

²³³ سورة الانسان، الآية (٣٠).

لَهُ رُبَمَا يَكُونُ التَّضْيِيقُ عَلَيْهِ سَبَبًا لِنُفُورِهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسَخَطُهُ مِنْهُ، وَغَضَبُهُ عَلَيْهِ، فَيَرْتَدُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ} ²³⁴، والفتنة هي الشُّبُهَة، أو فوات ما يحب ويريد، كثيرٌ من الناس إذا أُصِيبَ بموت حبيبٍ له أو قريبٍ له أو ما أشبه ذلك انقلب على وجهه -والعياذُ بالله- وتسخطَ من قضاء الله، وكرة تديبير الله. ومن الناس أيضًا من يعبد الله على حرف، فإذا جاءه من يشككه في العبادة ومن يشككه في الرب عزَّ وجل انقلب على وجهه، ولهذا اسأل ربك الثبات دائمًا.

إدًا: من عباد الله من يصلحه الغنى، ومنهم من يُصلحه الفقر، ربما يصيب الله الإنسان بالفقر بعد أن كان غنيًا لكنه أشير وبَطِرٌ من أجل هذا الغنى، فتكون المصلحة الآن في فقره، والعكس بالعكس، من الناس من يكون منحرفًا حين فقره فإذا أغناه الله بالمال رجع إلى ربه.

"إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"، هذا فيه عمومٌ علم الله، بكل شيءٍ من الأعيان والأوصاف والأحوال الحاضرة والمستقبلية والماضية، هو عليمٌ بها جلَّ وعلا، لا يخفى عليه شيءٌ منها.

"وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا}."

{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ} الدابة: كل ما يدبُّ على الأرض من الإنسان وغير الإنسان، و{مِنْ دَابَّةٍ}، {مِنْ} هذه زائدة إعرابًا، لكنها لها معنىٌ عظيمٌ، وهو: إرادة العموم، يعني: أي دابةٍ في الأرض فريزقها على الله عزَّ وجل، هو الذي يتكفلُ برزقها، ولهذا تجدون الحيوانات والحشرات يسوقُ الله لها الرزق، أو يسوقها إلى الرزق؛ ربما يكون طعمٌ بعيد عن جحر النمل، فمتهدي النمل إلى هذا الطعم؛ لأن الله أعطاه قوة الشم، حتى يصل إلى هذا الطعام ويتغذى به.

وحدثني رجل أنه كان عند بئرٍ مطمورة؛ أي: ليس فيها ماء، فكان يرى حيةً تخرج كل يوم في الصباح، وتنصب نفسها كأنها عود، فيقع عليها طائر فتأكله، وهذه الحية كانت عمياء لا تستطيع أن تسعى في الأرض تطلب الرزق، فكان الله تعالى يجلبُ لها الرزق، يقول: شاهدتُ ذلك مرارًا!!! حتى إنه قتل الحية فوجد أنها عمياء! لكن الله عزَّ وجل يسوق إليها الرزق على هذا الوجه، فانظر كيف ساق الله الرزق إليها وهي في جحرها، وعمياء لا تستطيع الخروج، إدًا: ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها.

فإن قال قائل: ألسنا نجد أن أناسًا أو حيوانات تموت من الجوع؟

فالجواب: بلى، لكن هذا ابتلاء وامتحان من الله عزَّ وجل يمتحنُ به العباد، يكون كفارةً للذي مات من الجوع إذا كان مسلمًا، ويكون عبرةً وعظةً للآخرين.

"{وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا}"

المُسْتَقَرُّ: ما تستقرُّ فيه على الدوام، والمستودع: ما تكون فيه كالوديعه متى شاء رُبُّها أخذها، فما هو المستقرُّ؟

الآخرة هي المستقر، كما قال تعالى: {وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} ²³⁵.

والمستودع: الدنيا إلى أن تقوم الساعة، كل هذا مستودع، الإنسان فيه وديعة، متى شاء المودع أخذه، كما قال النبي ﷺ: [إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ] ²³⁶.

إذًا: الله يعلمُ حال العباد في الدنيا، وحال العباد في الآخرة، يعلم أن منا من يعمل صالحًا وأن مآلهُ إلى الجنة، وأن من الناس من يعمل عملاً سيئًا وأن مآلهُ إلى النار.

"كُلُّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ"، {كُلُّ} أي: من الرزق والمستقر والمستودع {فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}، أي في مكتوب بين ظاهر، وذلك هو اللوح المحفوظ، الذي تفرغ عنه بقية الكتابات، فإن الملك إذا بلغ الجنين أربعة أشهر بُعث إليه، فأمر بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد.

"وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}."

المفاتيح: جمع مَفْتَحٍ أو مَفْتَحٍ، والمراد بها إما المفتاح الذي تُفْتَحُ به الأبواب، وإما المكان الذي يُفْتَحُ، يعني مستودعات العلم.

وقوله: {مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ}، فسرها النبي ﷺ بالآية الكريمة: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} ²³⁷، كما سيأتي إن شاء الله تعالى فيما بعد.

{وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} وكذلك: الجو من البر والبحر؛ لأن ما يقابل البحر من الجو فهو من البحر، وما يقابل البر من الجو فهو من البر.

{وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا}، {مِنْ} هذه زائدة، لكنها زائدة إعرابًا، أما المعنى فهي للتأكيد، يعني: ما تسقط ورقة إلا يعلمها، أيًا كانت الورقة، في أي مكان، صغيرة كانت أم كبيرة حية كانت أم يابسة، وإذا كان الذي يعلم الذي يسقط من ورقات فمن باب أولى أن يعلم ما يُستحدث من الورقات، أليس كذلك؟

وقوله: {إِلَّا يَعْلَمُهَا}، هل المراد يعلم هذه الورقة، أو يعلم الورقة ومكان سقوطها، وزمان سقوطها؟

يعلم الورقة ومكان سقوطها، وزمان سقوطها؛ لأن المكان والزمان يتعلق بالورقة نفسها أيضا، فهو يعلم عز وجل أن الورقة التي تسقط هل هي كبيرة أو صغيرة، يابسة أم رطبة، ويعلم كذلك مكان سقوطها وزمان سقوطها.

²³⁵ سورة غافر، الآية (39).

²³⁶ أخرجه البخاري (1284)، ومسلم (923).

²³⁷ سورة لقمان، الآية (34).

{وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ} هل الحبة صغيرة أم كبيرة؟، حبة شاملة الصغيرة والكبيرة.

{فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ} جمع ظلمة، وأقل الجمع ثلاثة، فما هي الظلمات؟

لنفرض أن حبةً غائصةً في قاع البحر، فهي في ظلمة الماء، وظلمة الليل، لنفرض أن هناك سحب فهناك ظلمة السحاب، وظلمة الطين الذي كانت غائصة فيه، -نريد أوسع ما يكون من الظلمات-، وظلمة المطر لأنه حين نزوله يولّد ظلمة. إذًا ليلة مظلمة بالسحاب، مظلمة بنزول المطر، وماء البحر، والطين الذي غاصت فيه الحبة، فهي خمس ظلمات يعلم الله عز وجل هذه الحبة في هذه الظلمات كلها.

{وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ} هذا أعمّ، فالأشياء كلها إما رطبة وإما يابسة.

{إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}، لو قال قائل: ألا يغني عن هذا قول الله تعالى: {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ²³⁸؟، قلنا: بلى يغني، لكن التفصيل أشدّ وقعًا في النفوس، وأبين في التعميم، ولهذا جاءت هذه الآية مفصلة.

{إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} ما المراد بالكتاب المبين؟ اللوح المحفوظ.

-الدرس الحادي عشر-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

{وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ {عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ} وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} ⁽²³⁹⁾.

بسم الله الرحمن الرحيم

²³⁸ سورة البقرة، الآية (29).

²³⁹ سورة لقمان، آية (34).

من آيات العلم قول الله تبارك تعالی: **{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ}**²⁴⁰، **{عِنْدَهُ}**: خبر مقدم، و**{مَفَاتِحُ}**: مبتدأ مؤخر، وتقديم الخبر يدل على الحصر. و**{مَفَاتِحُ}** جمع مَفْتَحٍ أو جمع مِفْتَاحٍ، فيها قولان، والصحيح أنها تشمل الجميع، فمفاتيح الغيب عند الله، وأمكنة الغيب أيضاً عند الله عز وجل.

{عِلْمُ السَّاعَةِ}: الساعة هي الساعة الكبرى التي يموت فيها الناس ثم يبعثون.

{يُنَزَّلُ الْغَيْثُ}: الغيث: المطر الذي تزول به الشدة، وأما المطر إذا لم تزل به الشدة فليس بغيث، لقول النبي ﷺ: **{ليست السنّة أن لا تُمَطَّرُوا، ولكن السنّة أن تمطروا فلا تنبت الأرض شيئاً}**²⁴¹، **{السنّة}**: يعني الجذب، فالذي ينزل الغيث هو الله عز وجل يعني المطر الذي تزول به الشدة، وكذلك المطر الذي لا تزول به الشدة لا ينزله إلا الله.

{وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ}: جمع رحم وهو وعاء الجنين في بطن أمه، والأرحام هنا شاملة لكل ذات رحم من الأدميين وغير الأدميين. وعلمه بما في الأرحام علمٌ بنفس الجنين، وعلم بعمله ومآله وأجله، وغير ذلك من متعلقاته.

{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا}: **{نَفْسٌ}**: نكرة في سياق النفي فتعمّ، كل نفس لا تدري ماذا تكسب غداً وإن كان الإنسان يُقدِّر أنه يفعل كذا وكذا لكن هل هو يدري أنه سيكسبه؟ لا يدري، قد يحال بينه وبينه بتغير الفكر والإرادة، وقد يحال بينه وبينه بالعجز فيعجز، وقد يحال بينه وبينه بصرفٍ قهري كإنسان يمنعه من ذلك، أو ما أشبه ذلك. المهم أن الإنسان لا يعلم ماذا يكسب غداً.

وقال **{مَّاذَا تَكْسِبُ}** ولم يقل **{ماذا تعمل}**: لأن المدار كله على الكسب، لأن العمل قد يذهب هباءً لا ينتفع به الإنسان وقد يكتسب به خيراً إما في الدين أو في الدنيا.

{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}، **{نَفْسٌ}**: نكرة، فتعمّ كل نفس، لا تدري أين تموت، هل تموت في بلدك أم في بلد مجاور أم في بلد بعيد أم في البحر أم في الجو لا تدري، قد يموت الإنسان في الطائرة في الجو، أو في البحر. **{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}**.

هذه الخمس هي مفاتيح الغيب كما فسرها النبي ﷺ، نبدأ أولاً **{عِلْمُ السَّاعَةِ}** مفتاح لعالم آخر، و**{السَّاعَةِ}** - كما قلت لكم - هي الساعة التي يُبعث فيها الناس لكن قد تشمل ما هو أعمّ وهو ساعة الإنسان؛ لأن الساعة نوعان:

١- ساعة عامة لجميع الخلق، وهي القيامة الكبرى.

²⁴⁰ سورة الأنعام، الآية (59).

²⁴¹ أخرجه مسلم في صحيحه (2904).

٢- ساعة خاصة لكل إنسان بنفسه، وهي القيامة الصغرى.

ولهذا يقال: "من مات فقد قامت قيامته" أي: انتهى من الدنيا، إذًا الساعة هي المفتاح لأي شيء؟ الجواب: لعالم الآخرة.

{عِلْمُ السَّاعَةِ} خاص بالله لا أحد يعلم متى تقوم، حتى أشرف الخلق وأعلم الخلق بالله لا يدري متى تقوم، ولهذا سُئِلَ النبي ﷺ، والسائل جبريل: متى الساعة؟، فقال: [ما المسؤول عنها بأعلم من السائل]²⁴²، لكن لها أشرط وعلامات، منها ما قد جاء وسبق ومنها ما هو مستقبل.

{وَيُنزَلُ الْغَيْثُ}: هذا مفتاح إحياء الأرض بعد موتها، وإحياء الأرض بعد موتها يشبه إحياء الناس بعد موتهم فهو مفتاحٌ لحياة النبات.

{وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ}: مفتاح لكل إنسان بحسبه؛ لأن نشأة الحياة تكون في الرحم.

{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا}: مفتاح الزمن، الأعمال في المستقبل لا يعلم عنها أحد.

{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} هذا مفتاح عالم الآخرة بالنسبة لكل إنسان بحسبه، ووجه ذلك: أن من لا يدري بأي أرض يموت لا يدري قطعًا بأي زمن يموت، لأن خفاء الزمن أبلغ من خفاء المكان، إذ أن الإنسان قد يُقَدَّرُ أنه لن يرتحل عن هذه الأرض ويقول سيأتيني أجلي وأنا هنا، لكن مع ذلك إذا أراد الله له أن يموت في أرض جعل له حاجته فيها فيغادر بلده، فأقول إذا كان الإنسان لا يدري بأي أرض يموت مع أنه يتحكم في المكان فعدم علمه في أي زمن يموت من باب أولى. الذي لا يدري بأي أرض يموت من باب أولى أن لا يدري بأي زمن يموت، كيف ذلك؟ لأن الإنسان يتحكم في المكان أكثر مما يتحكم في الزمان، بل الزمان ليس له فيه تحكم إطلاقًا.

كيف هذا؟ قد يقرر الإنسان أنه لن يخرج عن هذا البلد وأنه سيموت في هذا البلد. فقد يرتحل الإنسان من بلده إلى المدينة ويقول: (أنا أرغب أن أموت في المدينة؛ لأن النبي ﷺ قال: [اللهم اغفر لأهل بقيق الغرق]²⁴³، فأرجو أن أكون منهم)، فيذهب إلى المدينة مقررًا أنه يموت فيها، ولكن إذا كان الله قد قَدَّرَ أن يموت في أرض جعل له حاجة إليها، فسافر فمات. ونجد الناس تحصل لهم الحوادث في أثناء الطريق فيموتون في نفس المكان، وهل جرى في شعورهم من قبل أنهم سيموتون في هذا المكان؟، أبدًا.

²⁴² أخرجه مسلم في صحيحه (8).

²⁴³ أخرجه مسلم في صحيحه (974).

فأقول: إذا كان الإنسان لا يدري بأي أرض يموت مع أنه يمكن أن يتحكم، فكذلك من باب أولى أن لا يدري بأي زمن يموت لأن الزمن لا يتحكم فيه.

فوائد الآية

- من فوائد الآية الكريمة: أنه لا أحد يعلم متى تكون الساعة، وجه ذلك: الحصر في قوله: **{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ}**.

- من فوائد الآية الكريمة: أنه لا أحد يعلم متى ينزل المطر الذي به الغيث، لقوله: **{وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ}** فإذا كان الله تعالى هو الذي ينزل الغيث فالمنزّل له أعلم به من غيره، وهذا وجه كونه عدل عن قوله (ويعلم متى ينزل الغيث) إلى قوله: **{وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ}**.

فإن قال قائل: ألسنا نسمع في الإذاعات أنهم يقولون سيكون مطر غدًا، أو ما أشبه ذلك، فما الجواب؟

الجواب: من وجهين: أولاً: أن الله تعالى قال: **{وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ}**، وقلت لكم أن الغيث هو المطر الذي يكون به النبات، وهذا لا يعلمه أحد حتى لو علمنا أنه سينزل مطر غدًا فهل هذا المطر يكون غيثًا؟، قد يكون وقد لا يكون، ولا أحد يعلم.

ثانيًا: أن نقول هؤلاء الذين يتكلمون عن الطقس وأنه سيكون غدًا مطر في مكان ما إنما يتكلمون عن أمر محسوس لا عن أمر غيبي هو تكيف الجو؛ لأن هناك آلات دقيقة يعرف بها أن الجو مهياً لتزول المطر أو غير مهياً، على أن الخطأ في هذا كثير.

ثالثًا: أن هؤلاء الذين يتكلمون عن الطقس هل هم يعلمون متى ينزل المطر بعد سنتين أو ثلاث؟ لا، هو علم محصور في أربع وعشرين ساعة، أو ست وثلاثين ساعة، أو ما أشبه ذلك، فليس للزمن البعيد، فلا ينافي هذه الآية.

- من فوائد الآية الكريمة: **{وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ}** أنه لا يعلم ما في الأرحام إلا الله عز وجل، وهذا عام في جميع متعلقات الحمل كما شرحناه.

فإن قال قائل: إنهم اليوم يطلعون على أن ما في الرحم ذكر أم أنثى، فهل ينافي الآية؟

الجواب: لا ينافيها، لأن قوله: **{وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ}** يشمل جميع المتعلقات، وهؤلاء لا يعلمون ما في الأرحام أذكر أم أنثى إلا بعد أن يُخْلَقَ ويكون ذكرًا أو يكون أنثى، أما في حاله نطفة فإنهم لا يعلمون.

وإذا قُدِّرَ أن الطب ترقى وصاروا يعلمون أنه ذكر أو أنثى وهو نطفة، قلنا متعلقات الحمل ليس بكونه ذكرًا أو أنثى فقط بل يشمل عمله وأجله وورقه وما أشبه ذلك، وهذا لا يمكن العلم به.

- من فوائد هذه الآية الكريمة: أن الإنسان لا يعلم ماذا يكسب غدا، وإن قدر أنه سيفعل كذا فإنه لا يعلم هل يحصل هذا أم لا يحصل، ولهذا قال الله لنبيه: **{وَلَا تَقُولَنَّ لِسَيِّئٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}**²⁴⁴.

إذا قال قائل: إني سأفعل غدا كذا وكذا، سأزور فلانا، فهل هذا يعني أنه يعلم أنه سيزوره؟ أم أنه يخبر عن ما في ضميره ونيته؟

الثاني لا شك، أنه يخبر عن ما في ضميره الآن، ولهذا لو قال: إني سأزور فلانا غدا، وهو لا يقصد الفعل وإنما يقصد الإخبار عن ما في نفسه فإنه لا بأس أن يحذف ذكر المشيئة، -انتبه- يعني مثلا: أنا أقول (سأزور فلانا غدا)، أريد الزيارة بالفعل فهنا لا أقول ذلك إلا مقرونا بالمشيئة لقوله: **{وَلَا تَقُولَنَّ لِسَيِّئٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}**. وإنما يجب أن تقرنه بالمشيئة لأنك لا تدري هل تفعله أو لا تفعله.

أما إذا قلت (سأزور فلانا غدا) تخبر عن ما في نفسك يعني هذه نيتي، فهل هذا جائز بدون ذكر المشيئة؟

الجواب: جائز، ولهذا جاءت الآية الكريمة: **{إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا}**، (فاعلٌ) وأما إذا قلت: (إني ناوٍ أن أفعل) فهذا لا بأس به.

من فوائد هذه الآية -في الجملة التي نحن بصدد الكلام عليها-: أنّ من ادعى علم الغيب في المستقبل فإنه كافر، ووجه الدلالة: أنه تكذيب لقوله: **{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا}** فإذا كنت لا تدري ماذا تكسب أنت فعدم علمك بما يكسبه غيرك من باب أولى، فمن ادعى علم الغيب في المستقبل سواء فيما يتعلق بفعل الله عز وجل أو بفعل الناس أو بفعل نفسه فإنه يكون مكذبا لهذه الآية، وتكذيب القرآن كفرٌ صراح.

- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الإنسان لا يعلم مكان موته، وكذلك لا يعلم زمان موته، وهذا ممّا انفرد الله تعالى بعلمه.

وذكر لي أحد الثقات من أصحابنا أنهم كانوا في حج على الإبل -قبل أن تأتي السيارات-، وخرجوا من مكة ومعهم رجل أمه مريضة، فارتحل الناس في آخر الليل، وجلس هذا الرجل عند أمه يمرضها، فلما أصبح وإذا القوم قد ساروا، فذهب في أثرهم بعد أن وطّد مكان أمه ذهب في أثرهم فضاع، وكان ذلك في الجبال الحجازية كلها ريعان، وصار يمشي حتى ارتفع النهار فاذا بخباء قوم صغير "بدو" فذهب إليهم، فسلمّ وسأل: أين طريق نجد؟، قالوا: طريق نجد وراءك بكثير لكن انتظر، انخ البعير واسترح وسندلك، يقول فلما أناخ بعيره وأنزل أمه من البعير فما أن وصلت الأرض حتى فاضت روحها، مع أن هذا المكان لا يدري عنه إطلاقا ولا يفكر أن يصل إليه لأنه من أهل عُنَيْزَة، ولكن الله تعالى قد قضى أن تموت هذه الأم في ذلك المكان فتاه الرجل ليصل إلى المكان الذي علم الله تعالى أن المرأة ستموت فيه. وأمثال هذا كثير، كثير من الناس

تجده لا يخرج من بلده ولا يفكر أن يخرج تجده فلاحًا في فلاحته منذ نعومة أظفاره، ثم إذا قَرَّبَ أجله جعل الله له حاجة في مكان ما فسار ولو للعلاج، فقد يسافر للعلاج في الخارج حتى يموت في المكان الذي قدر الله أن يموت فيه.

- ومن فوائد الآية الكريمة: علم الله عز وجل وخبرته، والعلم يشمل العلم بالظواهر والبواطن، والخبرة: هي العلم ببواطن الأمور.

وعلى هذا فهل يقال إن هاتين الصفتين مكررتان في الآية؟ وأن معنى {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} هو: (أن الله عليم عليم) أو لا؟

الجواب: لا، لما بينهما من العموم والخصوص، فالعلم يشمل العلم بالظاهر والباطن، والخبرة تختص بالعلم بالباطن، فيكون في هذه الآية إثبات اسمين من أسماء الله وهما (العليم) و(الخبير)، وإثبات صفتين من صفات الله وهما (العلم) و(الخبرة).

قال: (ونؤمن بأن الله تعالى يتكلم بما شاء، متى شاء، كيف شاء).

(نؤمن بأن الله يتكلم): هذا صفة الكلام.

(بما شاء): يعني المتكلم به.

(متى شاء): يعني الزمن.

(كيف شاء): يعني كيفية الكلام.

هذه أربعة أشياء: 1- يتكلم. 2- بما شاء. 3- متى شاء. 4- كيف شاء.

هل كلام الله عز وجل حقيقي أو لا؟

الجواب: حقيقي، لأن الله أثبتته لنفسه، وأكدّه بقوله: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} ²⁴⁵.

وهل هو بحرف؟

الجواب: نعم بحرف، والحرف هذا إما أن يكون باللغة العربية إذا كان كالقرآن، أو باللغة العبرية كالتوراة، أو بالسريانية كالإنجيل. يتكلم بأي لغة كانت أرادها.

²⁴⁵ سورة النساء، الآية (164).

وهل كلامه بصوت؟

الجواب: نعم بصوت، لأن الكلام بلا صوت ليس كلاماً بل هو حديث نفس.

وهل هذا الصوت كأصوات المخلوقين؟

الجواب: لا، لأن الله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ²⁴⁶.

إذاً عقيدتنا أن الله يتكلم بكلامٍ هو حرف وصوت.

الحرف هل نحصره بنوع معين كحروف العربية، أو لا؟

الجواب: لا، يتكلم بما شاء من اللغات.

الصوت نقول أنه لا يشبه أصوات المخلوقين، لكنه بصوت مسموع، يُسمع، وله أدلة.

وقولنا: (بما شاء) يعني: إن شاء (بأمرٍ كوني) مثل قوله للسموات والأرض: {اٰتٰتِيَا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا} ²⁴⁷، أو كلام (بأمرٍ شرعي) مثل كلام الله تعالى لرسوله محمد ﷺ بالصلوات، فإن الله فرض عليه خمسين صلاة بكلامه.

(متى شاء) أي: في أي وقت سواءً كان في الأزل أو في المستقبل أو في الحاضر، في الليل أو في النهار، كما يشاء عز وجل. (كيف شاء) يعني أنه على كيفية يشاؤها عز وجل إما بصوت عالٍ، وإما بصوت منخفض، كيف شاء، لقوله تعالى: {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ} ²⁴⁸، وهذا بصوت عالٍ، {وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} وهذا بصوت خفي.

سؤال: قلنا إن الله تعالى فيه صفة الكلام، وأن ما لا ينطق ليس بكلام، الآن المصلي إذا صلى ولم ينطق بما يقرأ، أليس هذا ما له صلاة ولا تقبل منه؟

الجواب: نعم، ليس له صلاة، ولو حدث نفسه في صلاته لم تقبل صلاته لأنه ليس بكلام، أما قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ} ²⁴⁹، فهنا قيّد فقال: {وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ} فهذا قول ليس مطلقاً بل قولٌ مقيد.

²⁴⁶ سورة الشورى، آية (١١).

²⁴⁷ سورة فصلت، آية (١١).

²⁴⁸ سورة مريم، آية (52).

²⁴⁹ سورة المجادلة، الآية (8).

سؤال: قلنا أن الله سبحانه وتعالى يتكلم متى شاء، فالوقت الذي لم يشأ فيه الله تعالى الكلام هل ينسب إليه أنه "ساكت"؟

الجواب: قال النبي ﷺ: [وسكت عن أشياء رحمةً بكم فلا تسألوا عنها]²⁵⁰ لأن الإمساك عن الكلام سكوت، لكن لا نجزم بأن هناك سكوتًا مطلقًا؛ لأن الحوادث دائمة مستمرة في كل لحظة وكل أمر يحدث وإنما يقول له "كن" فيكون، قال تعالى: {إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}²⁵¹، وكل شيء يقع فهو مراد الله، فالسكوت المطلق لا أظنه يكون بالنسبة لله عز وجل لكنه لو شاء لفعل، لأن هذا من صفات الأفعال لكن السكوت عن شيء معين يمكن.

سؤال: شيخ أحسن الله إليك، الذين يقولون إنهم يعلمون ما في البطن أذكر أم أنثى هل قولهم هذا صحيح؟ فإذا كان صحيحًا كيف يعرفون؟

الجواب: هو صحيح، والمعرفة لأن الآن توجد أشعة دقيقة جدًا تنفذ نفوذًا قويًا فيشاهدون الجنين كما يشاهدونه ظاهرًا، ثم إن الملك الموكل بالأرحام يقول: (يا رب أذكر أم أنثى؟)²⁵²، فيقول له الله: ذكر، أم أنثى، فيكون عالمًا بذلك.

سؤال: بارك الله فيك، قلنا إن تقديم الخبر في قول الله عز وجل: {وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ}²⁵³ أنه يفيد الحصر، فهل يفيد الحصر بأن الله سبحانه وتعالى يختص بعلم هذه الخمس فقط أم توجد أشياء أخرى يختص بها؟
الجواب: توجد أشياء أخرى، لكنه عنده دون غيره، أما المعلومات فهذه مفاتيح فقط كما فسرنا الرسول عليه الصلاة والسلام.

فالحصر هنا باعتبار العالم لا باعتبار المعلوم، أي: عنده لا عند غيره، أما هذه فهي مفاتيح كما جاء في الحديث أنه ﷺ فسر مفاتيح الغيب بهذه الخمس.

-الدرس الثاني عشر-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

²⁵⁰ أخرجه البخاري في صحيحه (6595)، ومسلم في صحيحه (2646).

²⁵¹ سورة يس، آية (٨٢).

²⁵² أخرجه البخاري في صحيحه (318 و 6595)، ومسلم في صحيحه (2645، 2646).

²⁵³ سورة الزخرف، آية (٨٥).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.
إثبات صفة الكلام لله تعالى:

"وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ، مَتَى شَاءَ، كَيْفَ شَاءَ، {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} ²⁵⁴"

(بما شاء): هذا المتكلم به، (متى شاء): هذا الزمن، (كيف شاء): هذا كيفية التكلم، يعني: إن شاء بصوت مرتفع وإن شاء بصوت منخفض.

مذهب أهل السنة والجماعة في صفة الكلام:

وكلامه عز وجل هو الحرف والصوت، هذا أيضًا مذهب أهل السنة والجماعة.

مذهب المعتزلة ومذهب الأشاعرة في صفة الكلام، والفرق بينهما:

وقالت المعتزلة: (إن الله تعالى لا يُوصف بالكلام، لكن كلامه مخلوق، فينسب إليه الكلام خَلْقًا لا وَصْفًا).

هؤلاء المعتزلة يقولون: الله ما يتكلم أبدًا، فالكلام ليس وصفه ولكنه فعله، خَلَقَهُ اللهُ عز وجل، ونسبه إليه نسبة

تشريف وتكريم كما نسب إليه الناقة في قوم صالح: {نَاقَةَ اللَّهِ} ²⁵⁵، وكما نسب إليه المساجد في قوله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ

مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ} ²⁵⁶؛ وكما أضاف إليه الكعبة في قوله: {وَطَرَّ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ} ²⁵⁷، وإلا فليس هناك كلام هو وصفه. هذا

مذهب المعتزلة.

وقال الأشعرية -الذين تذبذبوا بين أهل السنة والمعتزلة- قالوا: (إن كلام الله تعالى هو المعنى القائم بنفسه، وما يُسمع فإنه مخلوق، خَلَقَهُ اللهُ ليُعبّر عما في نفسه).

الفرق أن: المعتزلة يقولون: لا ننسب الكلام إليه وصفًا، بل فعلًا وخلقًا.

والأشاعرة يقولون: ننسب الكلام إليه وصفًا، لا باعتبار أنه شيء مسموعٌ، وأنه بحروف، بل باعتبار أنه شيء قائم بنفسه، وما يُسمع أو يُكتب فهو مخلوقٌ.

ما اتفق عليه المذهبان في صفة الكلام:

²⁵⁴ سورة النساء، آية (١٦٤).

²⁵⁵ سورة الشمس، آية (١٣).

²⁵⁶ سورة البقرة، آية (١١٤).

²⁵⁷ سورة الحج، آية (٢٦).

فعلى هذا يتفق الأشاعرة والمعتزلة في أن ما يُسمع أو يُكتب مخلوقٌ، فالأشاعرة يقولون: القرآن مخلوق، والمعتزلة يقولون: القرآن مخلوق.

لكن المعتزلة يقولون: إنه كلامه خَلْفَهُ حقيقة؛ فكما أن السماوات خَلْفَهُ حقيقة، فالقرآن خلقه حقيقة.

والأشاعرة يقولون: ليس هذا حقيقةً، بل هذا المسموع "عبارة" عن كلام الله، وليس هو كلام الله، وهو مخلوق لله.

فاتفقوا على أن المسموع مخلوق، لكن المعتزلة قالوا: هذا الكلام حقيقة، وأولئك قالوا: هذا الكلام عبارة عن كلام الله، فصار الأشاعرة من هذا الوجه أبعد عن الحق من المعتزلة.

الرد عليهم بدليل عقلي:

وكلا الطائفتين ضالٌّ؛ هل الكلام هو شيء يقوم بنفسه؟

لا، الكلام صفة المتكلم، فإذا كان الكلام صفة المتكلم، كان كلام الله صفته، وصفات الله تعالى غير مخلوقة، إذ إن الصفات تابعة للذات، فكما أن ذات الرب عز وجل غير مخلوقة، فكذلك صفاته غير مخلوقة، وهذا واضح، دليل عقلي.

ثم اعلم أنك إذا قلت: إن كلام الله مخلوق -سواء على طريق الأشاعرة أو على طريق المعتزلة- بطل الأمر والنهي.

فكيف يبطل الأمر والنهي؟

لأنك إذا قلت: **{أَقِيمُوا الصَّلَاةَ}**²⁵⁸ شيءٌ مخلوقٌ؛ صار معناها: أن الله خلق حُرُوفًا على هذا الشكل ليس لها معنى، كما خلقنا الآن نحن على هذا الشكل أعضاء: رأس وصدر وبطن وظهر، فالكلام إذا كان مخلوقًا صار عبارة عن صورٍ مخلوقةٍ؛ صور أشياء: ف(ص) على كذا، و(ش) على كذا، و(ط) على كذا، و(ع) على كذا، مخلوقة لا معنى لها.

وإذا كان كذلك بطل الأمر والنهي، صار: **{قُل}** مثل **{لَا تَقْرَبُوا}**، كلاهما صور معينة خلقها الله، لا تدل هذه على أمر، ولا هذه على نهي، ولهذا أكد شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وغيرهما من أهل العلم على أن من قال إن القرآن مخلوق فقد أبطل الشرع كله؛ لأن القرآن أوامر ونواهي، وجلٌّ وكراهة، فإذا قلنا: إن القرآن خلق هكذا فليس هناك أمرٌ ولا نهيٌ، ولا جلٌّ ولا كراهة، إنما هي حروفٌ خُلقت على هذا الصورة.

مثال للتوضيح:

الثريا وسُهَيْل، كُلُّ منهما خلق على صفةٍ، الثريا على صفةٍ، وسُهَيْلٌ على صفةٍ.

صفة سُهَيْلٍ: أنه نجم واحدٌ، مضيءٌ جدًا، يتلألأ.

صفة الثريا: أنها نجومٌ كثيرةٌ مجتمعة خفية. خلق الله كل واحدٍ على هذه الصفة.

²⁵⁸ سورة الأنعام، آية (٧٢).

كذلك حروف القرآن خُلقت على صفةٍ، {كهيعص} ²⁵⁹، ليست كـ{زب} مثلاً، فـ{زب} كلمتان، و{كهيعص} عدة كلمات، لكن حقيقتهما -على القول بأنها مخلوقة- واحدة، إلا أن الله خلق هذا على شيءٍ، وهذا على شيءٍ. يعني: إذا قلنا: إن كلام الله مخلوق لزم من ذلك أن القرآن مخلوق، وإذا كان مخلوقاً صار عبارةً عن صور معينة لحروفٍ معينة، ليست تدل على أمرٍ ولا نهي، كما قلت لكم: ثريا، وسهيل.

سهيل قلت لك: إنه نجم مضيء لامع يتلألأ هكذا، وثريا نجوم مجتمعة كعنقود العنب لكنها نجوم خفية ليست لامعة، خلق الله هذه على عدد معين خفي، وهذه على عدد معين لكنه قوي، اختلفا في الشكل والصورة.

هم يقولون -على كلامهم، فيلزمهم على القول بأن القرآن مخلوق- أن الله خلق هذه الكلمات على وجوه متعددة وليس لكل واحدة معنى، وإنما مثلنا بسهيل والثريا؛ لقول الشاعر:

أَيُّهَا الْمُتَكَبِّرُ الثُّرَيَّا سُهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

لأن الثريا من النجوم الشمالية، وسهيلاً من النجوم اليمانية الجنوبية.

فعلى كل حال: نحن نؤمن بأن القرآن كلام الله، وأن الله يتكلم بكلامٍ هو وصفه بحرف وصوت، لكن هل نحن نعرف كيف يتكلم؟ لا، لأن جميع صفات الله كيفيتها مجهولة، لا يعلمها أحد، حتى النبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم شيئاً من كيفية صفات الله إلا ما أعلمه الله عز وجل.

الأدلة على ثبوت صفة الكلام لله عز وجل:

الأدلة على ذلك متعددة، منها:

(1) قال الله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} ²⁶⁰ أكد الكلام بالمصدر لينفي احتمال المجاز.

ماذا يقول المعتزلة في قوله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}؟

قرأت معنى عجيبياً في تفسير الزمخشري قال: (جرَّحه بمخالب الحكمة)!!!

لأن (الكلم) في اللغة هو: الجرَّح، فيصير الله عز وجل (جرَّح موسى تجريحاً)!!، لكن ليس بالسكين ولا بمخلب الصقر.

قال: بمخالب الحكمة -نسأل الله العافية- وهذا تحريفٌ ظاهرٌ.

(2) دليل آخر، قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} ²⁶¹ أتينا بهذه الآية بعد التي قبلها؛ لأن من المحرِّفين من حرَّف

الآية الأولى لفظاً، فكان يقرؤها: (وكلم الله موسى تكليماً) بفتح (الله)؛ ليقع التكليم من موسى إلى الله، فأتينا بالآية التي

²⁵⁹ سورة مريم، آية (١).

²⁶⁰ سورة النساء، آية (١٦٤).

²⁶¹ سورة الأعراف، آية (١٤٣).

بعدها {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ}، الآن لا يستطيع أن يقول: أن المُكَلِّم هو موسى؛ لأنه قال: {وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} بلفظ صريح.

وفي هذه الآية: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} ردُّ على الأشاعرة؛ من جهة أنهم يقولون: (إن الكلام معنًى يقوم بالنفس، لا يتعلق بالمشيئة)، وهذه الآية ردُّ تمامًا عليهم؛ لأنه حصل الكلام لما جاء موسى، فهو كلامٌ حادث بعد أن لم يكن، {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} قَالَ لَنْ تَرَانِي²⁶²، هنا محاورَةٌ، وكون الله تعالى يُكلم موسى محاورَةٌ يدل على أن الكلام يتعلق بمشيئته، وليس صفةً ثابتةً أزليةً أبديةً، بحيث لا تحدث، أبدًا.

وكذلك ما صح في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: [قال الله تعالى: {قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ، إِذَا قَالَ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}²⁶³ قال: {حَمْدِي عَبْدِي}²⁶⁴]، هل هذا الكلام الآن حادث أو قديم؟ الجواب: حادث لا شك؛ بعد أن قال المصلي: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، قال الله: "حمدني عبدي".

(3) قوله تعالى: {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}²⁶⁵

{وَنَادَيْنَاهُ} الفاعل هو الله عز وجل، والنداء بصوت مرتفع، {الْأَيْمَنِ} صفة لـ {جَانِبِ} وليست صفة للطور؛ لأنه ليس هناك طوران، فالطور واحدٌ، لكن له جانبان أيمن وأيسر؛ ولهذا في آية أخرى: {وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ}²⁶⁶ {الْأَيْمَنِ} صفة لـ {جَانِبِ}، {وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}: قربناه فجعلنا نناجيه، والمناجاة: هي الكلام بصوت خفي.

إذًا: الله تعالى يتكلم بكلامٍ مسموعٍ بصوتٍ، رفيعٍ أحيانًا، وخفيٍّ أحيانًا، ولا مانع؛ أي شيء يكون نقصًا إذا قلنا بهذا؟؟؟ ثم أي مساعٍ لنا أن نقول: إن الله لا يتكلم بصوتٍ ولا بحرفٍ، والله تعالى قد ذكر عن نفسه أنه يتكلم بحرفٍ وصوتٍ؟؟.

(ونؤمن بأنه: {لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي}²⁶⁷،

{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}²⁶⁸)

هذا بيان لعظمة الله عز وجل وكلامه، {لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي} المداد: هو ما يكتب به، كالحبر. {لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي}، سبحان الله!! البحر -على سعته وكثرة مائه وعمقه- ينفد قبل أن تنفد كلمات الله؛ لأن كلمات الله عز وجل دائمةٌ، كما أن خلقه دائمٌ، وهو إذا خلق فقد أراد، وإذا أراد قال، كما قال الله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ

²⁶² سورة الأعراف، آية (١٤٣).

²⁶³ سورة الفاتحة، آية (٢).

²⁶⁴ أخرجه مسلم في صحيحه، (٣٩٥)، باختلاف يسير.

²⁶⁵ سورة مريم، آية (٥٢).

²⁶⁶ سورة طه، آية (٨٠).

²⁶⁷ سورة الكهف، آية (١٠٩).

²⁶⁸ سورة لقمان، آية (٢٧).

يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ²⁶⁹.

(وقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ²⁷⁰})

{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ}، معنى الآية: ولو أن الذي في الأرض من الأشجار أقلامٌ.

{أَنَّمَا}: (مَا) هنا اسمٌ موصولٌ، والكتابة فيها كما تشاهدون (مَا) متصلة بـ(أَنَّ)، وهو خلاف القاعدة المصطلح عليها الآن؛ لأن المصطلح عليه الآن أن (مَا) لا تُربط بـ(أَنَّ) إلا إذا كانت للحصر، أما إذا كانت (مَا) اسماً موصولاً، فإنها تُفكُّ من (أَنَّ)، فلو كتبنا هذه الآية على حسب الاصطلاح اليوم لكانت (أَنَّ) وحدها و(مَا) وحدها.

ونظيرها تماماً (كُلَّمَا)، إذا جعلت (مَا) اسماً موصولاً فإنك تفصلها عن (كَلِّ)، وإذا جعلت (كُلَّمَا) أداة شرطٍ فإنك تربطها بـ(كَلِّ).

ويقول: {وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ} الله أكبر! هذه أعظم من الآية الأولى، فالبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر، أي: بزيادة الضعف على الأول: ستة أضعافٍ.

{مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ} يعني: لو جُمع جميع ما في الأرض من الأشجار وجُعِلت أقلاماً، وأُضيف إلى البحر سبعة أبحر فإنه لا تنفدُ كلماتُ الله.

{إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} وهذا يدلُّك على عظمة الرب عز وجل، وكثرة مخلوقاته، وإرادته سبحانه وتعالى.

خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله:

كُلُّ هذه الآيات تدل على إثبات صفة الكلام لله. والخلاصة: أن أهل السنة والجماعة -جعلنا الله وإياكم منهم، وأماتنا على ذلك- يؤمنون بـ:

1- أن الله يتكلم. 2- أن كلامه وصفه لا فعله. 3- أن كلامه بحرف وصوت. 4- أن كلامه يكون أحياناً بندا، وأحياناً بمناجاة؛ والنداء هو: الكلام الرفيع، والمناجاة هي: الكلام الخفيف. كل هذا نؤمن به.

أقوال المذاهب الأخرى في كلام الله:

وهناك مذاهبٌ لكلام الله لكن نحن نذكر مذهبين مشهورين:

الأول: مذهب الأشاعرة. الثاني: مذهب المعتزلة.

²⁶⁹ سورة يس، آية (٨٢).

²⁷⁰ سورة لقمان، آية (٢٧).

اتفق الجميع²⁷¹ على أن الكلام الذي هو الحرف والصوت مخلوقٌ، ولكن قالت الأشعرية: إنه عبارة عن كلام الله، وقالت المعتزلة: بل هو كلام الله؛ أما الأشعرية فقالوا: إن الكلام هو المعنى القائم بالنفوس، وأنه لا يتجدد ولا يحدث ولا يتغير والأمر والنهي اختلفا في الصورة فقط وهما بمعنى واحد.

كلام وهديانٌ غريبٌ! كل هذا لأنهم -نسأل الله العافية والسلامة، وأن لا يزيغ قلوبنا- جعلوا مرجع الصفات إلى العقل ليس إلى التقل، يعني مدارك العلوم فيما يتعلق بصفات الله عندهم هو العقل، أما النقل فيعرضون عنه، يقولون: ما خالف العقل فإننا نسلك فيه أحد أمرين: إما أن نُؤوِّله وإما أن نُفَوِّضَه. (نُؤوِّله) يعني: نُحَرِّفه، لكن أتوا بـ(التأويل) تلطيفًا، أو (نفوضه) أي: نقول لا ندرى.

مثال يوضح معاني (التأويل) و(التفويض):

فمثلاً: في قوله تعالى: {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}²⁷² يقول: (الله ما استوى على العرش حقيقة! يجب أن تقول: (استوى) بمعنى (استولى)، أو تُفَوِّض وتقول: لا أدري ما معناها)!!

ثم يقولون -كذبًا أو جهلاً-: (إن مذهب السلف هو التفويض، فالسلفي إذا سأله: "ما معنى {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}؟" قال: "الله أعلم!"، "ما معنى: {وَجَاءَ رَبُّكَ}²⁷³؟" قال: "الله أعلم"، ما معنى: {بَلْ عَجِبْتَ²⁷⁴ وَيَسْخَرُونَ²⁷⁵} العجب الذي أضافه الله إلى نفسه؟ قال: الله أعلم".

هذا مذهب السلف على زعم الأشاعرة!! فجعلوا السلف جاهلين بمعاني أسماء الله وصفاته وأن الأسماء والصفات -آياتها وأحاديثها- كلها بمنزلة الكلام الأعجبي عند الرجل العربي؛ الآن: لو أن أحداً من الأعاجم جعل يردد كلمات بلسانه وأنا لا أعرف لغته، هل أستفيد أو لا؟ لو كررها علي مرتين ثلاثة هل أستفيد؟ أبداً، لو كرر علي مرتين أو ثلاث، لا أزداد من معنى كلامه إلا بُعداً.

هم يقولون هكذا، يقولون: كُلُّ صفات الله، نصوصها من القرآن والسنة غير معلومة لنا، ولا ندرى ما معناها!! هذا مذهب السلف عند الأشاعرة!. وقد كذبوا فيما قالوا، أو ضلوا وجهلوا ما عند السلف.

المسلك الثاني في آيات الصفات وأحاديثها عند الأشاعرة: هو التحريف، الذي يسمونه (التأويل)، وهذا هو الذي يمشون عليه، كلها يقول: أولها (والتأويل: التفسير)، فيفسر {وَجَاءَ رَبُّكَ} أي: جاء أمره، يفسر "رحمك الله" مثلاً الآن أقول "رحمك

²⁷¹ أي: الأشاعرة والمعتزلة.

²⁷² سورة يونس، آية (٣).

²⁷³ سورة الفجر، آية (٢٢).

²⁷⁴ قرأها الشيخ رحمه الله بضم التاء (عجبت) على قراءة عامة قراء الكوفة، وهي بمعنى: "بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكاً، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون"، وقرأها عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة بفتح التاء. (تفسير الطبري (٢٠/21)).

²⁷⁵ سورة الصافات، آية (١٢).

الله"، "رحمك الله أرشدني"؟ ما معنى "رحمك الله"؟ أي: "أحسن إليك، أو أراد بك الرحمة"؛ أما أن يكون الله تعالى موصوفًا بالرحمة فهذا مستحيلٌ، وهلمَّ جرًا.

هذان الآن مذهبان في كلام الله:

المذهب الأول: مذهب المعتزلة؛ والثاني: مذهب الأشاعرة؛ وكلاهما -كما قررنا- باطلٌ.

والصواب أن نقول: إن الله يتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء، وكلامه بحرفٍ وصوتٍ، وأدلة ذلك في القرآن والسنة ظاهرةٌ، وليس لنا أن نتحكم على الله بالعقول.

سائل يسأل: أحسن الله إليك شيخ تفسير الزمخشري -الكشاف- هل يُنهي الطلبة المبتدئين عن القراءة فيه ما دام يؤول هكذا؟

الشيخ: إي نعم، الواقع أن "تفسير الزمخشري" جيد فيما يتعلق بالمعنى اللغوي من إعراب وبلاغة وتحليل وغير ذلك؛ جيد جدًا، وكل من بعده ممن يسلك مسلكه عيالٌ عليه، مثل أبي السعود وغيره، كل يأخذ منه، لكنه في الصفات احذر!! فإنه جيد في سبك الكلام يقودك قيادة الراعي للمهيمية العمياء، ماذا تعمل العمياء؟ تمشي وراءه، سواء كان ما وراها أحجارًا أو أنهارًا أو نارًا أو أي شيء؛ لأنه جيد جيد يأخذ باللب؛ يقول البلقيني: إن في كتاب الزمخشري من الاعتزاليات ما لم أستطع أخذه إلا بالمناقش-هذا المناقش لا يأخذ إلا الشيء الخفي- فاحذر في باب الصفات، أما غير باب الصفات فهو جيد، فكذلك يظهر لي من كلامه في الأحكام أن مذهبه حنفيٌّ، والله أعلم.

سائل يسأل: مما اتضح من كلام شيخ الإسلام وابن القيم في أن القول في أن كلام الله مخلوق أنه إبطال للأمر والنهي، لأنه يأتي مثلاً أحد فيقول: أننا نجد أشياء متفق على أنها مخلوقة، يعني يفهم منها أمر أو نهي مثل: زوال الشمس يفهم منه يعني دخول وقت.

الشيخ: هذه علامة برك الله فيك. هذه علامة جعلها الشرع بلسان الشرع، إذا زالت الشمس فصلوا، ولكن لو لم يقال إذا زالت الشمس فصلوا هل يكن زوال الشمس سبب للصلاة؟
السائل: لا.

السائل: أيضًا يقول: هذا الكلام القرآن يقول هذا أيضا الشارع جعله علامة على أمر معين.

الشيخ: أبدًا ما يجعله علامة، هم يقولون ما في أمر ونهي كله مخلوق.

السائل: نلزمهم بهذا أم يقولونها؟

الشيخ: نلزمهم بهذا. والكلمة التي قلت إن الله خلق (قاف لام) وماذا تكون؟ كما خلق يدي على هذه الصفة، أصابع.. إذا رأيتها شجرة ماذا نستفيد منها!!

(قل) خلقها الله عز وجل (قاف لام) ما في أمر، ولم يقل الله لنا مثلا: إذا رأيتم (قل) فمعناها أي أمرتكم، إذا رأيتم صورة (قل) أي أمر مثل الإشارة.

السائل: الإنسان يكون مخلوق وكلامه المخلوق. ويفهم من كلامه الأمر والنهي؟

الشيخ: لا، لا، يفهم كلامه من نطقه، لكن لو مثلا: يجيء إنسان يصرخ صراخ غير مركب من حروف تفهم شيء؟ إلا أنك تفهم إن كان مثلا أصيب بضربة أو سقوط تفهم إنه من أجلها.

سائل يسأل: الأشاعرة يقولون: إن الكلام لله هو المعنى القائم بنفسه يستدلون بقول الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل الفؤاد على اللسان دليلا

وقوله تعالى: {وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ} كيف نرد على هذه الأدلة؟

الشيخ: أما الأول فإنه كلام رجل مجنون، أو كلام نصراني لا يعتبر.

والثاني معنى كلامه: "إن الكلام لفي الفؤاد": أن الكلام الحقيقي المعتبر ما كان صادرا عن الفؤاد عن القلب، أما كلام المجنون والهاذي وما أشبه ذلك هذا ليس بكلام، فالقلب يقدر أولا ثم يعبر عنه اللسان، لكن هل تقديرات القلب تعتبر كلاما؟! لا، إلى الآن ما تكلم الرجل، ولهذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام: [إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ²⁷⁶] فلم يجعل الرسول ﷺ حديث النفس كلاما فيرد على هذا بوجهين:

الأول: أنه كلام رجل نصراني لا حجة بقوله.

والثاني: أنه أراد بكلامه أن الكلام الحقيقي المعتبر هو الذي قدره الفؤاد أولا ثم نطق به اللسان بالثاني، وما لم ينطق به اللسان فليس بكلام، والدليل قول الرسول ﷺ: [إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ]. أما قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ}، فهنا قيد القول فقال: {وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ²⁷⁷}، ولو قال: "ويقولون لولا يعذبنا الله"، فهل هذا يعني بالنفس أو باللسان؟
الجواب: باللسان.

-الدرس الثالث عشر-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

²⁷⁶ أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٢٦٩).

²⁷⁷ سورة المجادلة، آية (٨).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.
قال المؤلف وفقه الله:

(ونؤمن بأن كلماته أتم الكلمات صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام، وحُسناً في الحديث، قال الله تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}²⁷⁸ وقال: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}²⁷⁹.)

ونؤمن بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى تكلم به حقاً وألقاه إلى جبريل، فنزل به جبريل على قلب النبي ﷺ {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ}²⁸⁰، {وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}²⁸¹.)

بسم الله الرحمن الرحيم، قال المؤلف وفقه الله:

(ونؤمن بأن كلماته أتم الكلمات صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام، وحُسناً في الحديث).

كلمات الله عز وجل، أكمل الكلمات في هذه الأمور صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام، قال الله تبارك وتعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}، فليس في كلام الله عز وجل كذب، وليس في كلماته جور، وليس في كلماته قبيح، بل كلماته جل وعلا أكمل الكلمات في كل معاني الكمال. إن نظرت إلى السياق وجدته أكمل سياق، وإن نظرت إلى المعنى وجدته أكمل معنى، وإن نظرت إلى التنسيق بين المعاني وجدته أحسن تنسيق، إلى آخره.

يقول: قال الله تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}.

(كلمت) التاء مفتوحة، والصواب أنها مفتوحة لأن فيها قراءة: {وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}²⁸²: (كلمات)، ولا تتطابق (كلمات) مع (كلمة) في الرسم إلا إذا جعلت التاء مفتوحة.

{صِدْقًا وَعَدْلًا}، {صِدْقًا} هذه تمييز، وعاملها {تَمَّتْ}، أي: تم صدقها وتم عدلها، فالذي يليق أن يوصف بالصدق هي (الأخبار)، والذي يليق أن يوصف بالعدل هي (الأحكام)، إذًا صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام.

²⁷⁸ سورة الأنعام، آية (١١٥).

²⁷⁹ سورة النساء، آية (٨٧).

²⁸⁰ سورة النحل، آية (١٠٢).

²⁸¹ سورة الشعراء، آيات (١٩٢ - ١٩٥).

²⁸² [قرأ عاصم، وحزمة، والكسائي، ويعقوب، وخلف العاشر (كلمت) بحذف الألف التي بعد الميم، على التوحيد، والمراد بها الجنس فيشمل القليل، والكثير، وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر (كلمات) بإثبات الألف التي بعد الميم، على الجمع، لأن كلمات الله تعالى متنوعة: أمراً، ونهياً، وغير ذلك]، (الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحمد سالم محيسن، (٢/٢١١)).

وقال تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}.

(مَنْ) اسم استفهام، المقصود بها النفي، وكلّمًا جاء الاستفهام مقصودًا به النفي كان أعظم من النفي المجرد؛ لأن الاستفهام الذي يقصد به النفي استفهام مُشْرَبٍ بالتحدي، كأن المتكلم يقول إن كنت تجد أحدًا أحسن من هذا فبينه لي، فقوله {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} أبلغ ممّا لو قيل: (لا أحد أصدق من الله حديثًا)؛ لأن الاستفهام يعني التحدي.

وقوله: {وَمَنْ أَصْدَقُ}؛ الصدق يقولون أن معناه: الإخبار بما يطابق الواقع، ولا خبر يطابق الواقع أكثر من خبر الله عز وجل، وفي وصف الحديث بالصدق والكلمات بالصدق دليل على أن القرآن كلام الله؛ لأن وصف الصدق لا ينطبق إلا على الخبر فيكون الله تعالى متكلمًا بالقرآن خبرًا ومتكلمًا بالقرآن تشريعًا.

(ونؤمن بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى)، القرآن الكريم، والكرم في القرآن يشمل كثرة الثواب في قراءته، وكثرة الخيرات في العمل به، والحسن، لقول النبي ﷺ: [إِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ] 283: أي أحاسنها.

فالقرآن الكريم وُصِفَ بالكرم لهذه الأسباب الثلاثة: 1- الحُسن، 2- كثرة الثواب، 3- الخير الكثير الذي يكون بالعمل به. وأوصاف القرآن في القرآن كثيرة، فقد وُصِفَ بأنه (كريم)، وأنه (مجيد)، وأنه (عظيم)، وهلمَّ جرًّا.

(تكلم به حقًا)

نؤمن بأنه كلام الله تعالى تكلم به حقيقة، والدليل على أنه كلام الله قول الله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} 284 فإن المراد بـ {كَلَامَ اللَّهِ} هنا القرآن بلا شك، ولا يمكن أن يُقال أن المراد به كلام الله تعالى الذي يُسْمَعُ من السماء يسمعه هذا المشرك، أبداً، فإن المشرك لن يسمع إلا ما نزل من القرآن ولا يمكن أن يسمع كلام الله من فوق سبع سماوات، أبداً، فعلى هذا تكون الآية نصاً صريحاً في أن هذا القرآن كلام الله عز وجل.

تكلم به حقًا، وليس عبارة عن كلامه كما قال ذلك الأشاعرة، قالوا: (أن القرآن ليس كلام الله، بل هو عبارة عن كلام الله) لأن الكلام عندهم هو المعنى القائم بالنفوس، فنقول نحن: أن الله تكلم به حقًا.

(وألقاه إلى جبريل) فسمعه من الله، (فتزل به جبريل على قلب النبي ﷺ).

أما الدليل على أنه كلام الله -فقد ذكرته لكم، وفاتنا أن نذكره في الكتاب-، قوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} هذا نص صريح.

283 صححه الألباني في صحيح النسائي، (٢٥٢١).

284 سورة التوبة، آية (٦).

أما كونه نزل به جبريل على قلب الرسول ﷺ فدليلة قوله تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} ²⁸⁵ هذا دليل كونه نازل من عند الله.

وقوله: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ} ²⁸⁶، وذكر الله سبحانه وتعالى القلب لأنه وعاء الحفظ وذلك أن الإنسان إذا سمع شيئاً فإن هذا المسموع قد لا يتعدى الأذان، يسمعه بأذنه لكن لا يصل إلى قلبه، والسماع النافع هو ما وصل إلى القلب؛ ولذلك قال: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ} لأن القلب وعاء الحفظ، بخلاف ما لو نزل على السمع فإن الإنسان قد يسمع الشيء ولكنه لا ينزل إلى قلبه.

{لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ} اللام هنا للتعليل، وقد كان ﷺ ينزل هذا القرآن من المنذرين.

{بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} لسان عربي: أي بلغة عربية، (مبين): فصيح، بين، واضح، يتبين به المعنى بدون خفاء.

هذه آيات القرآن الكريم، ومذهب أهل السنة والجماعة رحمهم الله في القرآن الكريم (أنه كلام الله عز وجل، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود) هكذا كلامهم رحمهم الله.

ويقولون أن معنى (منه بدأ) أي: ابتداء، فليس من جبريل، ولا من الهواء، بل من الله عز وجل بدأ.

(وإليه يعود) قالوا: إن لها معنيين:

1- أنه يعود إليه في آخر الزمان حيث يُنزع من المصاحف والصدور، فإنه لا تقوم الساعة حتى ينزع هذا القرآن من المصاحف والصدور ويبقى الناس بلا قرآن، ويكون هذا في آخر الزمان إذا عرض الناس عنه فإن الله تعالى يحيي هذا القرآن من أن يُبتذل، ويكون بين أيدي أناس لا يقيمون له وزناً، كما أنه سبحانه وتعالى يسلط على الكعبة في آخر الزمان من يهدمها لأن أهلها - أي أهل الكعبة - لا يقيمون لها وزناً، بل المعاصي والكفر والشرك، عندها حينئذ يسلط عليها هذا الرجل فيهدمها، بينما لم يسلط عليها صاحب الفيل وعجز أن يصل إليها وأرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول، لأن الله تعالى يعلم أن هذا البيت سوف يُبعث فيه رسول وسوف يُعمر بطاعة الله، أما في آخر الزمان فلا عمران بعده، ولذلك يسلط عليها من يهدمها حتى لا يبقى بيت الله عند قوم لا يعبأون به ولا يهتمون به، فنزع القرآن من المصاحف والصدور كهدم الكعبة إذا كان الناس لا يرفعون رأساً بالقرآن ولا يرون في مخالفته بأساً، وصار عندهم بمنزلة الألعبوة، وربما قالوا هذه أساطير الأولين وما أشبه ذلك، حينئذ يرفع، هذا معنى قوله (وإليه يعود).

2- وقيل المعنى: وإليه يعود وصفاً، أي لا يوصف بأن أحد تكلم به سوى الله.

²⁸⁵ سورة النحل، آية (١٠٦).

²⁸⁶ سورة الشعراء، آيات (١٩٢ - ١٩٥).

والمعنيين كلاهما صحيح فصار معنى قولهم: (منه بدأ) أي: أن الله هو الذي تكلم به ابتداءً. (وإليه يعود): لها معنيان
المعنى الأول: يعود إليه في آخر الزمان حين يُرفع من المصاحف والصدور، والمعنى الثاني: يعود إليه وصفا بمعنى أنه لا
يوصف أحد بأنه تكلم بالقرآن إلا الله عز وجل.

(ونؤمن بأن الله تعالى عليّ على خلقه بذاته وصفاته لقوله تعالى {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} ²⁸⁷، وقوله {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ
عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} ²⁸⁸).

(نؤمن بأن الله تعالى عليّ على خلقه بذاته وصفاته):

-أما علوه بالصفات فقد أطبقت عليه الأمة سُنِّيها وبدعِيها قالوا إن الله تعالى عليّ بصفاته فصفاته أعلى الصفات، ولا
يمكن أحداً أن يماثله في صفاته، إلا أهل التمثيل فهؤلاء كفار لا يعدون من أهل الملة.

-وأما العليّ بذاته فهذا محل النزاع والجدال بين طوائف الأمة:

أهل السنة والجماعة يقولون: إنه عليّ بذاته، كما أنه عليّ بصفاته.

وأهل البدع انقسموا في ذلك إلى قسمين:

قسم قال: إنه بذاته في كل مكان، إن كنت في المسجد فهو في المسجد وإن كنت في المرحاض فهو في المرحاض، والعياذ
بالله، بذاته -انتبه- بذاته.

وقسم آخر على العكس من ذلك، قال: لا يوصف بأن الله فوق ولا تحت، ولا متصل بالعالم ولا منفصل عن العالم، ولا
داخل العالم ولا خارج العالم، فيقول لا تقل إن الله فوق ولا تحت، ولا داخل العالم ولا خارج العالم، ولا متصل بالعالم
ولا منفصل عن العالم، إذًا أين الله؟ عدم!!، حتى قال بعض العلماء: (لو قيل لك صف عدم لم تصفه بأكثر من هذا)،
ولما حضر محمد من فورك وهو من أئمة المتكلمين إلى محمود بن سبكتكين رحمه الله -القائد المشهور- تناظر معه في
هذه المسألة، وقال له ابن فورك: (أنا لا أقول أن الله فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال)، قال له: (إن ربك عدم)، إذا لم
يكن كذلك فهو عدم، فصار عندنا الآن أهل الزيغ في علو الله بذاته انقسموا إلى قسمين.

الشيخ: إلى كم انقسمت الأمة في علو الله بذاته؟

الطالب: إلى ثلاثة أقسام.

الشيخ: كيف؟

²⁸⁷ سورة البقرة، آية (١٥٥).

²⁸⁸ سورة الأنعام، آية (١٨).

الطالب: أهل السنة والجماعة يقولون إن الله فوق السماء.

الشيخ: نعم، إن الله فوق السماء بذاته بائن من خلقه.

الطالب: قسم يقول: "إن الله في كل مكان".

الشيخ: نعم.

الطالب: وقسم يقول: "إن الله لا متصل ولا منفصل".

الشيخ: يعني لا يوصف الله بعلو ولا نزول ولا اتصال ولا انفصال ولا شيء. بارك الله فيك، هذه أقسام الناس في العلو الذاتي.

أما العلو المعنوي وهو علو الصفات فإنهم مطبقون عليه ما عدا الممثلة وهؤلاء نرى أنهم كفار؛ لأن كل إنسان يقول إن الله مثل الخلق فهو مكذب لقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ²⁸⁹ وتكذيب القرآن كفر.

لماذا ذكر المؤلف أن علو الله بذاته وصفاته؟

الجواب: لئلا يُورد مورد على الطالب يقول هل العلو بالذات ولا بالصفات، لأنه من المعلوم إن ترك (بذاته) أحسن لأنه قال: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}، {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} ولا قال (بذاته)، لكن نظراً إلى هذا المعنى (إنه عالٍ بصفاته فقط) يجادل فيه من يجادل؛ فلا بد أن يذكر.

سؤال: التعبير بأن القرآن خرج من الله، هل هذا جائز؟

الجواب: لو قيل (كلام الله) فقط واقتصرنا عليه لكان أفضل، والحقيقة أنا الآن أرى أن الأولى بنا ألا نتكلم في شيء لم يتكلم فيه السلف، هذا أسلم وأحسن، هذا هو الأفضل، ومن ذلك ما كنا نقول في مسألة الحديث القدسي هل هو كلام الله أو رواه الرسول ﷺ بالمعنى، ينبغي أن لا نقول هكذا، بل نقول: الحديث القدسي ما رواه النبي ﷺ عن ربه، ونسكت، لكن إذا سئنا هل تُلحقون الحديث القدسي بالقرآن في الأحكام أو لا؟ نقول: لا نلحقه بالقرآن لأنه لا يُتعبد بتلاوته ولا يشترط له الطهارة وكل الأحكام التي تنطبق على القرآن ما تنطبق عليه، فأنا أرى أخيراً -وهو الذي أدعو إليه الآن- أن لا نتكلم في مثل هذه المسائل إلا بما قال السلف، لكن إذا اضطررنا لا بد أن نتكلم، فمثلاً القائلين: هل الله جسم أو غير

²⁸⁹ سورة الشورى، آية (١١).

جسم؟ فعلينا أن لا نتكلم، لكن نؤمن بأن الله سبحانه و تعالى بائن من خلقه وأن له وجهها وأن له يدا وأن له عينا وأنه ينزل ويستوي، وأما أن نقول جسم أو غير جسم هذا ما ورد، لكن يجب أن نستفصل في المعنى نقول: إن أردت بالجسم الشيء المركب من أجزاء يفتقر بعضها إلى بعض وينقص بفقد بعضها مثلا فالله تعالى بهذا المعنى ليس بجسم، وإن أردت بالجسم ما هو موصوف بالصفات اللائقة به فهذا جسم، ولكن لا نطلق لفظ الجسم وبذلك نسلم من إيرادات كثيرة سواء أوردتها الشيطان على قلوبنا أو أوردتها أولياء الشيطان علينا.

سؤال: ما الضابط في معرفة وتمييز الأوصاف التي تُضاف إلى الله أنها أسماء أو صفات أو أفعال؟

الجواب: إذا كان الشيء مشتقاً فهو دائر بين أن يكون اسماً أو يكون صفة، مجرد أن يوصف بهذا الوصف.

أما إن كان صفة فإنه لا يمكن أن يكون اسماً مثل (إرادة الله)، (مشيئة الله)، هذه لا يمكن أن تكون اسماً لأنها وصف، ومن ذلك قوله تعالى: {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ} ²⁹⁰، (ذو الرحمة) أي صاحب الرحمة.

فالفرق بين الاسم والصفة إذا كان المضاف إلى الله صفةً فإنه لا يكون اسماً، وإذا كان مشتقاً فقد يكون اسماً وقد يكون مجرد خبر، فلو قلت (إن الله متكلم) ما نقول (متكلم) هذا اسم الله من أسماء الله، لكن نقول هو خبر ووصف لله عز وجل.

أما علوه بصفاته فقد أجمع كل مسلم ولو كان مبتدعا على أنه عليٌ بصفاته، وأن صفاته فوق كل شيء، ما عدا أهل التمثيل الذين يمثلون الله بخلقه فإنهم قد انتقصوا صفات الخالق لكن المعركة الدائرة بين أهل التعطيل وأهل السنة -الذين يقودهم الرسول عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح- هو العلو بذاته. هل الله عاليٌ بذاته أو لا؟ نقول إن الله عليٌ بذاته جل وعلا، وقد دل على ذلك القرآن والسنة والإجماع والعقل والفطرة، أنواع الأدلة كلها دلت على علو الله بذاته:

أما الكتاب: فما أكثر ما يصف الله نفسه بأنه علي، وأنه الأعلى، وأنه فوق عباده، وأن الأشياء تنزل من عنده، وتصعد إليه، وترفع إليه، وما أشبه ذلك. وهذا يدل دلالة قاطعة على أن الله تعالى عالٍ بذاته.

أما السنة: فقد اشتملت أنواع الدلالة من السنة اتفقت على علو الله بذاته، بالسنة القولية وال فعلية والإقرارية:

أما القولية: فإن النبي ﷺ كان يقول في سجوده: "سبحان ربي الأعلى"، ووجه الدلالة أنه وصف الله بأنه الأعلى حين كان الإنسان الساجد هو الأسفل. فأعلى شيء في الإنسان الرأس -والذي منه الجهة- يضعه الساجد في الأرض موازيا لقدميه،

ففي هذه الحال التي وضع الإنسان نفسه في أسفل شيء يتذكر الرب الأعلى الذي هو فوق كل شيء، والرسول ﷺ [كان يقول في سجوده: **سبحان ربي الأعلى**]²⁹¹.

أما الفعلية: فإنه خطب الناس في يوم عرفة وقال: **[ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد، يرفع إصبعه إلى السمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ]**²⁹² يعني عليهم، فيشير إلى الله، وهذه دلالة سنة فعلية تدل على أن الله تعالى فوق كل شيء.

أما الإقرارية: فإن جارية معاذ بن الحكم سألها النبي عليه الصلاة والسلام: **[أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: أَعْتَقْتَهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ]**²⁹³ فأقرها على قولها في السماء وقال: **[أَعْتَقْتَهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ]** وهذه سنة إقرارية. هذه دلالة الكتاب والسنة على علو الله.

أما دلالة الإجماع فما أحد من السلف الصحابة والتابعين وأئمة الأمة بعدهم ما قال منهم أحد أن الله تعالى ليس في السماء، أبداً، وكونهم يقرؤون هذه النصوص ولا يعارضونها ولا يفسرونها بما ينافيها يدل على أنه على أنهم قالوا به وأن هذه عقيدتهم فيكون في هذا إجماع من السلف على أن الله تعالى عالٍ بذاته، وطريق إثبات الإجماع بهذا الوجه يعتبر من أحسن ما يكون، يعني لو قال قائل أرونا حرفاً واحداً عن الصحابة والتابعين أنهم أثبتوا علو الله بذاته. نقول: لا حاجة إلى النقل، هم يقرؤون القرآن ويسمعون السنة، هل أحد منهم قال إن الله ليس فوق سماواته؟ لا، وهذا كما قال شيخ الإسلام أن كل آثار السلف ما فيها أثر واحد عن السلف يقول أن الله ليس فوق السماء، وحينئذ يكونون مجمعين على مقتضى هذه الأدلة وهو أن الله بذاته في السماء.

أما العقل، فيقال ماذا تقول أيها المنكر لعلو الله؟ هل العلو صفة كمال أو صفة نقص؟ بالطبع صفة كمال، كلٌ يعرف أن العلو صفة كمال، إذا كان صفة كمال فهل الرب موصوف بالكمال؟ نعم هو أصلاً لم ينكر علو الله بذاته إلا طلباً لكمال كما يدعي، إذا ثبت له صفات العلو لأن العلو صفة كمال بإجماع العقلاء.

أما الفطرة، تجد العجوز التي لم تدرس (العقيدة الواسطية) ولا (عقيدة الطحاوي) ولا (الإبانة) ولا غيرها إذا دعت ربها عز وجل أين تذهب؟ هل تقول: يا رب، وترفع يديها إلى فوق؟، نعم لأن هذا دليل فطري لا يحتاج إلى تدريس ولا إلى تعليم، ولهذا لما كان أبو المعالي الجويني -عفا الله عنا وعنه- يقرر أن الله لم يستو على العرش ينكر الاستواء على العرش لأنه من الأشعرية، قال له أبو الأعلى الهمداني: (يا أستاذ دعنا من ذكر العرش والاستواء على العرش، ما تقول في هذه الفطرة؟ ما قال عارف قط يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو)، (عارف) أي: عابد، ما قال يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة

²⁹¹ صححه الألباني في صحيح النسائي، (١١٤٤).

²⁹² أخرجه مسلم في صحيحه، بمعناه، (١٢١٨).

²⁹³ أخرجه مسلم في صحيحه باختلاف يسير، (٥٣٧).

بطلب العلو، فقد جعل يضرب على رأسه ويقول حيرني الهمداني حيرني، يعني ليس عندي الجواب عليه، ما في جواب كل إنسان يقول يا الله، حتى من ينكر العلو يقول والله يقول يرتفع قلبه إلى السماء.

وفي مرة من المرات كنا في يوم العيد في منى فجاءنا طائفة من الإخوان -ولا أحب أن أذكر نسبتهم- جاءوا وهم طلبية علم وكنت لا أعرف لغتهم فجاءني بعض الإخوة من السعوديين وقال إن الإخوان حضروا وأحب أن تتكلم في شيء من العقيدة لا سيما في العلو، قلت خير إن شاء الله، المهم حضرت وتكلمنا بأشياء ما هي من العقيدة تأنيسا لهم وتأليفا لهم، لأنك لو باشرتهم بالكلام في العقيدة لنفروا، وقالوا هذا جاء يصحح عقيدتنا لماذا؟ فكلمناهم بما تيسر ثم انتقلنا إلى ذكر العلو وبدأت أقول لهم مثل ما قلت لكم الآن العلو دل عليه الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة فبدأوا يتراطنون وبعضهم وقف، فقلت في نفسي هم الآن وقفوا إجلالا وإعظاما لهذا المعنى أم أرادوا يقتلونني، نعم وقفوا وبدأوا يتراطنون يرد بعضهم على بعض الكلام فأمسكت من الكلام، لأنني أخشى من الفتنة، هدأتهم وقلت لهم المقصود الوصول للحق وسكتناهم، فقلت لهم: بالأمس كنتم بعرفة تدعون الله عز وجل كيف ترفعون أيديكم عند الدعاء؟ قالوا: نقول هكذا؟ قلت: توجهون الخطاب لمن؟، قال: لله، كيف لله؟ كيف توجهون الخطاب إلى شيء ليس الله فيه؟ قالوا: لأن السماء قبله الداعي!!، نقول: السماء قبله الداعي!!؟!! إذا كانت قبله الداعي فالداعي لا بد أن يستقبل القبلة بجميع بدنه وعلى هذا فلا تدعو الله إلا وأنتم مستلقين على ظهوركم حتى يكون البدن كله موجه للقبلة.

كلام سخييف نسأل الله العاقية و لكن من لم يجعل الله له نورا فما له من نور. والله لو تُرك هؤلاء وفطرتهم ما ضلوا عن سواء السبيل في مسألة العلو أبدا، على كل حال هذه أدلة خمسة تدل على علو الله بذاته فوق سماواته.

-الدرس الرابع عشر-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

يُورِدُونَ عَلَى هَذَا إِشْكَالًا:

أولاً: يقولون: (إنكم إذا قررتم ذلك فقد خالفتم القرآن -لا بأس من البسط في هذا الأمر؛ لأنه ربما تواجهون من يجادلکم- قال الله عز وجل: {أَأَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ} ²⁹⁴، {أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} ²⁹⁵،

²⁹⁴ سورة الملك، آية (١٦).

²⁹⁵ سورة الملك، آية (١٧).

{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ} ²⁹⁶، {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ} ²⁹⁷ هذه أربع آيات، كلها تدل على عدم العلو.

وقالوا: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} إن قلتم (في) تفيد الظرفية فقد حصرتم الله في السماء؛ لأن الظرف أكبر من المظروف، فتكون السماء محيطاً به وأنتم لا تقولون بأن السماء تحيط به، فإما أن تقولوا إن السماء تحيط به وهو فيها، وإما أن تنكروا أن يكون في السماء).

الجواب عن الآية الأولى والآية الثانية:

نقول في الجواب عن هذا بأحد وجهين:

1- إما أن يكون قوله: {فِي السَّمَاءِ} بمعنى (على السماء)، و(في) تأتي بمعنى (على)، كما في قوله تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ} ²⁹⁸ يعني (على الأرض)، وليس معناه أن الإنسان يحفر خنادق في الأرض يمشي فيها، بل معناه: سيروا على الأرض.

وقوله تعالى: {وَأَلْصَقْنَا بَنَاتِكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} ²⁹⁹ يعني (عليها)، وإذا جعلت (في) بمعنى (على) زال الإشكال، فهل يكون الله في جوف السماء أم فوقها؟ الجواب: فوقها.

2- أو نقول جواب آخر، أن المراد بالسماء (العلو)، لأن السماء في اللغة العربية: (كل ما علاك فهو سماء)، حتى السقف هذا سماء بالنسبة لنا، فيكون {مَنْ فِي السَّمَاءِ} أي (من في العلو).

فإذا قال قائل: أرونا شاهداً على أن السماء بمعنى العلو، قلنا: مرحباً. قال الله تعالى: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} ³⁰⁰ والماء نازل من السحاب، وهل السحاب هو السماء؟ أو مسخر بين السماء والأرض؟ الجواب: مسخر بين السماء والأرض، كما قال تعالى: {وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} ³⁰¹، فتبين أن السماء في الآية الأولى {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} ³⁰² بمعنى (العلو) وعلى هذا فنقول: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} أي: من في العلو المطلق الذي لا يكون معه أحد، فهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء. انتهينا من الجواب على هاتين الآيتين.

الجواب عن الآية الثالثة:

أما قوله: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ} فمن المعلوم أن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في آنٍ واحد، فهذا مستحيل، لكن معنى قوله: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ} هو كقولك: فلان أميرٌ في مكة، وأميرٌ في المدينة، يعني أن إمرته في هذا وفي هذا، وأما مكانه ففي واحدة منهما، إما مكة وإما المدينة. {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ} كذلك هو إله من في السماء وإله من في الأرض، وهذا واضح، لذلك قال: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ} ما قال في السماء فقط، {وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ} ولم يقل في الأرض فقط.

²⁹⁶ سورة الزخرف، آية (٨٤).

²⁹⁷ سورة الأنعام، آية (٣).

²⁹⁸ سورة الأنعام، آية (١١).

²⁹⁹ سورة طه، آية (٧١).

³⁰⁰ سورة الرعد، آية (١٧).

³⁰¹ سورة البقرة، آية (١٦٤).

³⁰² سورة الرعد، آية (١٧).

الجواب عن الآية الرابعة:

{وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ}³⁰³ نقول الجواب فيها من وجهين:

- 1- إما أن نجعل (الله) متعلق بها في السموات وفي الأرض، فتكون كقوله: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} أي: أنه مألوه في السموات، ومألوه في الأرض، وعلى هذا يكون جار ومجرور ومعطوف متعلق بلفظ الجلالة.
 - 2- أو نقول: {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ} ونقف، ثم نستأنف ونقول: {وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ} فيكون قوله: {فِي الْأَرْضِ} متعلقا بقوله: {يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ}، ويكون جلال الآية وعظمتها أنه مع كونه في السموات فإنه يعلم سرركم وجهركم في الأرض، فليس علوه في السموات بمانع من علمه بسرركم وجهركم في الأرض.
- وبهذا تلتئم الأدلة ويبقى العلو الذاتي ثابتاً بخمسة أدلة، جنساً لا فرداً؛ لأن دلائل القرآن والسنة لا تحصى.

خالف العلو الذاتي طائفتان، طائفة قالوا: إنه في كل مكان بذاته -والعياذ بالله-، فهو في المسجد في السوق وفي البر وفي البحر وفي الجو وفي الأماكن المحترمة، والأماكن القذرة، وفي كل مكان، كيف؟! هل هو يتجزأ؟! أم هو متعدد؟! لأنه يلزم على قولهم في كل مكان إما أن يكون متجزئاً بعضه هنا وبعضه هنا، أو يكون متعددًا، أو يكون متمزقًا في الواقع. فإذا قلنا الآن أنه هنا في المسجد، وهناك في السوق، وبيننا وبين السوق جدران معناه أنها مزقته، أو تقول أنه حالٌّ في الجدار أيضا في الطين واللبن والحديد، وما أشبه ذلك!!

ولهذا، فالقول بأنه (في كل مكان) مقدمة للقول بأنه حالٌّ في كل شيء.

ولهذا قال ابن القيم عن هذا القول: أنه أخبت من قول النصارى، فالنصارى خصّوا الحلول بعيسى ابن مريم، فلم يجعلوه في كل مكان، ثم خصّوه بمكان طاهر من أولي العزم، وهؤلاء قالوا: إنه في كل مكان وفي كل شيء، فأيهما أخبت حلول هؤلاء أم حلول النصارى؟ الجواب: حلول هؤلاء أخبت؛ لأنهم لم ينزهوه عن أي شيء، ولم يخصّوه بالطاهر. أقول هؤلاء القوم يقولون: إن الله بذاته في كل مكان.

وقول آخر قالوا: (لا يجوز أن تصف الله بأنه في مكان إطلاقاً، لا تقل لا في السماء ولا في الأرض، ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه، ولا مُجانب ولا مُحايث، ولا يمين ولا شمال، ولا فوق لا تحت)!!، قالوا: (لا تصفه بأي وصف من هذا). فلهذا جعل الله تعالى عدماً، حتى قال بعض العلماء: لو قال لك قائل صف لي العدم ما وجدت أشمل ولا أشد إحاطة من هذا الوصف. فالحمد لله الذي هدانا، نحن نؤمن بأن الله تعالى فوقنا معيٌّ وذاتاً.

فإن قال قائل: تنطعتم حينما قلت (إن الله علي بذاته)، فقولكم: (بذاته)! هذا تنطع، وقد قال النبي ﷺ: **[هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ]**³⁰⁴.

قلنا: إننا لم نتنطع، ولكننا أردنا أن ندفع قول سوء، وهم الذين يقولون: إن الله ليس عليا بذاته، نقول: بل هو علي بذاته، ولولا أنهم أحوجونا إلى هذا القول ما قلناه، ولاقتصرنا على قراءة القرآن والحديث ولم نزد حرفاً واحداً، لكن ماذا نقول في دفع هذا العدوان على الشريعة وعلى الخالق عز وجل!.

³⁰³ سورة الأنعام، آية (3).

³⁰⁴ أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٦٧٠).

فنحن نقول (بذاته) ضرورة، كما قلنا {**اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**}³⁰⁵ بعض السلف قال (بذاته)، وبعضهم أنكروا هذا وقال لماذا تقول (بذاته)، فأقول: أنا ما قلت (بذاته) تنطعاً، بل قلت (بذاته) ردّاً لقول من يقول: (استوى استواء معنويًا لا ذاتيًا، وأن معناه: الملك والقهر والاستيلاء).

وكذلك النزول إلى السماء الدنيا؛ بعض العلماء قال: (ينزل بذاته)، فقال آخرون: هذا تنطع، لماذا تقول (بذاته)؟! ما قال الرسول ﷺ ينزل (بذاته)، قلنا: نعم الرسول ﷺ ما قال ينزل (بذاته) صلوات الله وسلامه عليه؛ لأنه يخاطب قومًا يفهمون أن الفعل إذا أضيف إلى الفاعل فهو مضاف إلى ذات الفاعل، فالصحابه لما قال لهم رسول الله: [ينزل ربنا إلى السماء الدنيا]³⁰⁶ فهموا أن الله هو الذي ينزل، فلم يحتج إلى أن يقول: (بذاته)، لكن لما جاءنا قومٌ يقولون: (أن نزوله معنويٌ وليس ذاتيًا، أو إن نزوله يتعلق بغيره لا بذاته)، اضطررنا إلى أن نقول (بذاته) دفعا لهذا القول الجائر وليس تعنتًا، وقد قال الشاعر الحكيم:

البس لكل حالة لبوسها

فكل إنسان تخاطبه بما يعرف.

المهم الآن تبين أن الله تعالى عال في ذاته وصفاته على جميع الخلق، والأدلة كثيرة، وقد ذكرنا لكم مجملها، وأنها تنقسم إلى خمسة أنواع لا خمسة آحاد: القرآن، السنة، الإجماع، العقل، الفطرة.

ثم استدل بقوله تعالى: {**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**}³⁰⁷.

{**الْعَلِيُّ**} صفة مشبهة، والصفة المشبهة تدل على الثبوت والاستمرار، فهو العلي علوًا لازمًا ذاتيًا، ولهذا كان علوه على جميع الخلق من صفاته الذاتية اللازمة حتى لو قلنا إنه ينزل إلى السماء الدنيا فإن ذلك لا ينافي علوه؛ لأن الله {**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**}³⁰⁸ في جميع صفاته. {**الْعَظِيمُ**} يعني ذو العظمة التي لا أعظم منها فهو لا أعظم منه في سلطانه وملكه وقهره وغير ذلك.

وقوله: {**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**؛ **وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**}³⁰⁹.

{**الْقَاهِرُ**}: الغالب، {**فَوْقَ عِبَادِهِ**}: فوقية معنوية أم ذاتية؟ الجواب: كلاهما، معنوية وذاتية.

{**وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**}، {**الْحَكِيمُ**}: ذو الحكم والحكمة.

أما قولنا (ذو الحكم): فمعناه: أن الله له الحكم، كما قال تعالى: {**لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**}³¹⁰.

³⁰⁵ سورة يونس، آية (٣).

³⁰⁶ صححه الألباني في تخريج كتاب السنة.

³⁰⁷ سورة البقرة، آية (٢٥٥).

³⁰⁸ سورة الشورى، آية (١١).

³⁰⁹ سورة الأنعام، آية (١٨).

³¹⁰ سورة البقرة، آية (٨٨).

وأى حكمٍ حُكِمَ الله؟ حكم الله نوعان: كوني وشرعي.

مثال الكوني: قول الله تبارك وتعالى عن أخي يوسف: {فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتَنِي لِى أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لى وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} ³¹¹ {يَحْكُمَ} هنا (حكم كوني)، أي: يقدر لي ذلك.

وأما الحكم الشرعي فمثاله قوله تعالى في سورة الممتحنة: {ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} ³¹² أي حكمه الشرعي.

قوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} ³¹³ {بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} كونًا وشرعًا.

وقوله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا} ³¹⁴ شرعًا.

على كل حال الحكم كوني وشرعي.

(الحكمة): تكون في الحكم الكوني وتكون في الحكم الشرعي، ما من حكم يحكم الله به إلا وهو مطابق للحكمة تمامًا، سواء كان هذا الحكم كونيًا أو كان شرعيًا.

فما هي الحكمة؟

الحكمة وضع الشيء في موضعه اللائق به، بحيث لا يقول العقل ليته لم يضعه هنا، هذه هي الحكمة.

ثم اعلم أن الحكمة نوعان:

النوع الأول: كون الشيء على هذا الوجه، والنوع الثاني: الغاية من هذا الشيء.

فكون الشيء على هذا الوجه يعني: صورة الشيء، فمعناه: لماذا كان الأدمي قائمًا على قدميه ورأسه فوق، وكانت اليهائم بالعكس، لماذا كان الليل مظلمًا والنهار مبصرًا، وهلمَّ جراً، هو موافق تمامًا للحكمة.

ثم الغاية منه: معناه: ما هي الثمرة من ذلك؟ وأضرب مثلا بالصلاة، الصلاة كونها على هذا الوجه حكمة: قيام ثم ركوع ثم خروج للسجود، هذه حكمة، فينتصب الإنسان أولاً، ثم يكون بين القعود والانتصاب في الركوع، ثم يسجد، ولماذا كانت تقطع على وتر؛ لأن الله تعالى وتر، ما الغاية من هذه الصلاة؟ تكفير الخطايا.

إذاً فالحكمة لها متعلقان: المتعلق الأول: كون الشيء على هذا الوجه، والثاني: الغاية منه.

³¹¹ سورة يوسف، آية (٨٠).

³¹² سورة الممتحنة، آية (١٠).

³¹³ سورة التين، آية (٨).

³¹⁴ سورة المائدة، آية (٥٠).

انظر إلى المطر، المطر الآن يروي الأرض، فكونه يأتي من فوق، وكونه يأتي رذاذًا هذا حكمة لا شك، لو كان يأتي على الأرض ماشيًا لم يستفد أعلى الجبال منه، أليس كذلك؟! ولو كان يصب صَبًّا كأفواه القرب لتهدم البناء، وتضرر الناس، لكنه جاء رذاذًا ومن فوق؛ من أجل أن يشمل كل الأرض، وجاء رذاذًا لئلا يضر.

ثم ما الغاية من إنزال المطر؟ الغاية عظيمة، ليس الإنبات فقط، بل والشرب، قال تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَنَّنُمُّ أَنْزَلْنَاهُ مِنَّمَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ} ³¹⁵ نبات الأرض والشرب وزوال الغبرة، إلى غير ذلك من الفوائد الكبيرة.

فصار الآن (الحكيم) مشتق من الحكم والحكمة، والحكم إما كوني وإما شرعي، والحكمة إما في الغاية وإما في الصورة، في الغاية أي: الثمرات، وفي الصورة: كون الشيء على هذا الوجه، هذا هو معنى الحكيم.

وقوله تعالى: {الْحَيِيرُ} ³¹⁶ يعني العليم. لكن (الخبير) أخص من (العليم)، لكونها تتعلق ببواطن الأمور وخفاياها فهي أخص من العلم، والله أعلم.

الأسئلة

الطالب: شيخ بارك الله فيكم، تقسيم الحكمة إلى غائية وصورية، ألا يكفي مثلًا أن نقول (حكمة) وندخل فيها الصورة والغاية فيها واحد؟

الشيخ: لا، لأن الثمرات قد تحصل بغير هذه الصورة، لكن كون الله جعل هذه الثمرة المعينة بهذه الصورة المعينة هذه حكمة.

الطالب: يا شيخ هل يُلتمس لنا دليل؟

الشيخ: الدليل هو الواقع، حكمة الله في كون الشيء على هذا الوجه حكمة، وكون ثمراته هي حكمة أخرى.

الطالب: يا شيخ ما فائدة التقسيم هذا؟

الشيخ: الفائدة لكي نعرف أن حكمة الله واسعة، وليس أن تحصل الغاية على أي صفة كانت، بل على صفة مبروطة مناسبة، انظر الآن إلى الوضوء مكفر للخطايا، لكن تكفيره للخطايا في حال السبرات أشد وأكثر، إذًا هذا تناسب.

الطالب: شيخ مرة ناقشت في المدينة النبوية شخصًا قال لي أنتم تقولون (أن الله تعالى أعلى من كل شيء)، وتقولون (استوى على العرش)، وتقولون: (إن الله في الثلث الباقي من الليل ينزل إلى السماء الدنيا)، إذًا عندما ينزل سبحانه وتعالى،

فأين يكون العرش؟

الشيخ: العرش فوق.

الطالب: كيف ينزل الله ويبقى فوق العرش؟

³¹⁵ سورة الواقعة، آيات (٦٨ - ٦٩).

³¹⁶ سورة الأنعام، آية (١٨).

الشيخ: لا نقول: يبقى على العرش، أو يخلو منه العرش هذه مسألة لا نبحث فيها، لأن الله قال في كتابه {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} والرسول ﷺ قال: [إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ]³¹⁷، فكيف ينزل من العرش ما نتكلم، هل يخلو منه العرش لا نتكلم، مع أن الصحيح أن العرش لا يخلو منه وهو نازل، لأن الله أخبرنا أنه {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} ولم يستثن حالة من الحالات، والرسول ﷺ أخبرنا أنه ينزل إلى السماء الدنيا ولم يقل يخلو منه العرش.

ولهذا ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في (الرسالة العرشية): أن علماء السلف اختلفوا في ذلك على أقوال ثلاثة: منهم من قال يخلو، ومنهم من قال لا يخلو، ومنهم من قال نسكت، وعندني أن السكوت أسلم لكن إذا كان لا بد لنا أن نقول فنقول: إن الله أخبرنا أنه استوى على العرش ولم يستثن حالة من الأحوال، وأخبرنا الرسول ﷺ أنه ينزل، ويمكن أن يجمع بين الاستواء على العرش والنزول؛ لأن الله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}.

وهؤلاء القوم الذين يجادلون في مثل هذه الأمور ما ضرهم إلا كونهم يحكمون العقل فيما يتعلق بصفات الله، وإلا لو سلموا للنقل لسلموا من العناء، لكن تورطوا وجعلوا مدار الإثبات والنفي هو العقل، حتى قال عنهم شيخ الإسلام رحمه الله: إنهم اتفقوا على أن ما أثبتته العقل لله وجب إثباته سواء كان موجوداً في القرآن والسنة أو لا، واتفقوا على نفي ما اقتضى العقل نفيه ولو كان موجوداً في القرآن!

ثم اختلفوا فيما لم يقتض العقل إثباته ولا نفيه، فمنهم من قال: يجب نفيه لأن العقل لم يثبتته، ومنهم من قال: يجب التوقف لأن العقل لا يثبتته ولا ينفيه.

فصار الآن مدار إثبات الصفات عندهم هو العقل، ما أثبتته العقل وجب أن نثبتته وإن لم يوجد في القرآن والسنة، وما نفاه العقل وجب أن ينفي ولو وجد في الكتاب والسنة، وما لم يقتض العقل إثباته ولا نفيه فأكثرهم نفاه، وقال: يجب أن ننفيه لأن العقل لم يثبتته. ومنهم من توقف وقال: ليس لنا أن نثبتته لأن العقل لم يثبتته، وليس لنا أن ننفيه لأن العقل لم ينفه، هذه هي طريقة المتكلمين من معتزلة وأشعرية وغيرهم.

الطالب: في قولنا بالاستدلال على علو الذات بقول الساجد (سبحان ربي الأعلى)، يقول البدعي: هذا يراد به علو الصفة وليس علو الذات، ولا دليل عندكم على تعيينه أنه علو ذات. ويقول أيضاً: إشارة النبي ﷺ بإصبعه هذه إشارة توحيد وليس إشارة إلى جهة؛ لأن الإشارة يقتضي منها رؤية المشير للمشار عليه، ولم ير الله تعالى في ذلك الوقت فكيف يشير إليه؟

الشيخ: أما الأول فنقول: من قال لكم أن المراد به علو الصفة؟ فقلوه: (سبحان ربي الأعلى) مطلق، ويناسب نزول الإنسان الحسي العلو الحسي لا شك، هذه المناسبة.

وأما إشارة التوحيد: فأين التوحيد؟ هل قال لا إله إلا الله حتى يوحد؟ لا أبداً ما قال، بل قال: [اللهم اشهد].
وأما كون المشار إليه لا يشار إليه إلا إذا رُئي فهذا غير صحيح، فالله تعالى يشير للقرآن ب(ذلك) كثيراً، ويشير إلى جزاء المؤمنين ب(ذلك) كثيراً، وإلى أشياء كثيرة تفهم وهي لا ترى.

الطالب: عندما قال فرعون لهامان {ابن لي صرحاً لعلِّي أبلغُ الأسباب}، هل كان يعتقد بأن الله إله؟!

³¹⁷ هذا اللفظ لا يصح، والصحيح سبق تخريجه، ولفظه عند البخاري (٧٤٩٤): {يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا}.

الشيخ: لا يا أخ عبد الله، هذا تهكم؛ ليموه على قومه، ولهذا قال: {فَأَطَّلِعْ إِلَىٰ آلِهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا} ³¹⁸ تمويهه، مثل ما نقول: نتزل مع الخصم، لكن مع ذلك فرعون مُقِرٌّ بالله عز وجل، قال له موسى: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لِأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا} ³¹⁹ ماذا قال في مقام المناظرة؟!، لو كان عنده رد لرد عليه، وفي المناظرة الأخرى في سورة الشعراء وهي أطول، آخر ما قال: {لَئِنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} ³²⁰ ما في إلا التوعد والإبهار، لا دليل عنده.

الشيخ: معنى (في ظله) أي في الظل الذي يخلقه الله عز وجل، مثل ناقة الله يتعين هذا المعنى، وذلك أن يوم القيامة لا يوجد بناء صنعه الأدمي ليستظل به، ولا يوجد شجر يستظل به، ولا جبال يستظل بظلمها، ولا شيء، لا يوجد إلا ظل يَمُنُّ الله به على من يشاء من عباده، يخلق الله ظلا لأنه لا يمكن أن نقول أنه ظل لله؛ لأن عز وجل لا يمكن أن يحول بين الشمس وبين الناس.

السائل: وظل العرش؟

الشيخ: ولا حتى ظل العرش، وإن كان ظل العرش أقرب لأنه ربما يكون جزء من العرش يظل، ولكن هذا ليس بصحيح، لأن العرش فوق المخلوقات، فتعين أن يكون المراد ظل يخلقه الله؛ لأنه ليس هناك ظل مصنوع، وجاء في الحديث: [كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صِدْقَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ³²¹.

وحدثني من أثق به: أن رجلا كان يمنع زوجته من أن تتصدق على مسكين يطرق الباب، فطرق الباب مسكين ذات يوم وقال إنه ليس عليه ثياب تقيه من البرد، وليس له طعام وهو جائع عارٍ، فأخذت ثوبا من البيت وأعطته، رقت لحاله فأعطته، -كما رق أبو هريرة لحال الشيطان- أعطته ثوبا وأعطته ثلاث تمرات، وكان زوجها نائما في المسجد فرأى أن القيامة قد قامت وأن الناس في موج عظيم وحر شديد وشمس لاهبة، وإذا بكساء يعلو رأسه وفيه ثلاث خروق، فرأى ثلاث تمرات جاءت فسدت هذه الخروق، فتعجب وانتبه من نومه منذعرا، وقص على زوجته هذه الرؤيا، ففهمت الزوجة أن هذه الرؤيا بسبب الكساء الذي تصدقت به والتمرات، فقالت له: القضية كذا وكذا، جاءني رجل بعد الظهر وشكا حاله وفقره ومسكنته فأعطيته ثوبا وتمرًا، فقال لها: لا تردي مسكينا بعد اليوم، الله أكبر! نبيه الله، وهذا مصداق الحديث [كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صِدْقَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ].

الطالب: قلنا أن الله سبحانه ما يفعل شيء إلا لحكمة وغاية، فهل هذه الحكمة والغاية ترجع للمخلوق فقط أم للخالق أيضًا؟

³¹⁸ سورة غافر، آية (٣٧).

³¹⁹ سورة الإسراء، آية (١٠٢).

³²⁰ سورة الشعراء، آية (٢٩).

³²¹ صحيح، أخرجه أحمد في مسنده بدون (يوم القيامة).

الشيخ: ترجع للمخلوق والخالق، أما رجوعها للمخلوق، فلكونها من مصلحته، وأما رجوعها للخالق فليبين كمال صفته وأنه سبحانه وتعالى لا يفعل شيئاً عبثاً، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْبِينَ} ³²²، وفي آية أخرى {وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} ³²³، وفي آية ثالثة {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا} ³²⁴ فالحكمة تعود للخالق والمخلوق.

الطالب: الدليل العقلي يقول أن العلو إنها صفة كمال لا نقص، لكن هم يقولون: أن العلو صفة نقص لله عز وجل لأنكم جعلتوه في جهة واحدة؟

الشيخ: لا أبداً، نحن نقول أنه في جهة ومحيط بكل الجهات، لأن السماوات السبع والأرضين السبع في كفه جل وعلا كخردلة في كف أحدنا، والعلو المطلق فضاء لا شيء يساويه ولا يحاذيه، والفضاء -كما قال شيخ الإسلام- هو حقيقة، الفضاء عدم ما فيه شيء موجود إلا الله عز وجل.

الطالب: شخص كان ينكر العلو، وبعد أن أقر به قال: إن الله عز وجل في السماء لكن في كل مكان في السماء! الشيخ: ليس في السماء في نفس السماوات هذه السبع، أبداً، هو فوقها، ولهذا قد قلنا لكم قبل قليل إن (في السماء) بمعنى (على السماء)، أو (في السماء) أي: في العلو، العلو الذي ليس في السماوات الأجرام، وإلا معلوم ما يجوز أن نعتقد أن الله تحيط به السماء، بل وهو على العرش لا يجوز أن نعتقد بأنه مفتقر للعرش بحيث لو زال العرش لسقط كما لو زال الكرسي من تحت الإنسان لسقط.

الطالب: أحسن الله إليك، رددنا على الذين يقولون: أن الله في السماء بذاته وفي الأرض بذاته، وعلى الأشعرية الذين يقولون: بأن الله حالٌّ في كل مكان، وبأن الله إما أن يكون متعدداً، أو يكون متجزئاً.

فلماذا لا نقول أيضاً بهذا القول وبهذا اللازم أنه على العرش بذاته وينزل إلى السماء الدنيا بذاته؟

الشيخ: لولا أن الرسول ﷺ قال (ينزل) ما قلناها، لكن هل قال الرسول ﷺ يوماً من الأيام (بذاته في كل مكان)، لو قالها نوقن أن الله على كل شيء قدير، ولا ننكر.

ولأن الله قيّد فقال: (إله)، في قوله: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ} فألوهيته في السماء ولم يطلق، وقوله: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ} لا يلزم أن يكون مخالطاً لنا. -تأتي المعية إن شاء الله لكن لا بأس من ذكرها الآن- كما يقال (القمر معنا) وهو في السماء، هذا التعبير سائغ في اللغة العربية.

الطالب: قال النبي ﷺ: (في ظل عرشه)؟

³²² سورة الزخرف، آية (٣٨).

³²³ سورة الحجر، آية (٨٥).

³²⁴ سورة ص، آية (٢٧).

الشيخ: أولاً هذه اللفظة في ثبوتها نظر، ما ثبتت عن الرسول ﷺ.

-الدرس الخامس عشر-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المؤلف: (ونؤمن بأنه {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ}³²⁵، واستواؤه على العرش: علوه عليه بذاته، علوًا خاصًا يليق بجلاله وعظمته لا يعلم كيفيته إلا هو جل وعلا).

بسم الله الرحمن الرحيم

لمَّا ذكر المؤلف آيات (العلو العام) ذكر (العلو الخاص).

والعلو العام: من الصفات الذاتية التي لم يزل الله ولا يزال متصفاً بها، والعلو الخاص هو: الاستواء على العرش.

ودليله قوله: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ}.

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ}: أولها الأحد وآخرها الجمعة، وهي هذه الأيام المعروفة.

فإن قال قائل: كيف تكون هذه الأيام المعروفة، وهذه الأيام المعروفة مترتبة على الشمس، وحين خلق السموات والأرض

ليس هناك شمس؟

قلنا: إنه بالتقدير؛ لأن الله خلق الأرض في يومين سابقين على خلق السموات، وهذان اليومان ليس فيهما شمس، فيقال

إن هذا بالتقدير؛ أي: بمقدار يوم، ويوم، ويوم، ويوم، ويوم، وفي ستة أيام.

{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}

(ثُمَّ) أي: بعد خلق السموات والأرض استوى على العرش، فهل هو قبل ذلك مستويًا على العرش، أم لا؟

³²⁵ سورة يونس، آية (3).

الجواب: إن قلنا: "لا" أخطأنا، وإن قلنا: "نعم" أخطأنا. لأن الله أخبرنا أنه استوى بعد خلق السماوات والأرض على العرش وسكت عما قبل ذلك، فالواجب علينا السكوت.

إذا قيل: هل الله كان مستويًا على العرش قبل خلق السماوات والأرض؟ فالجواب: الله أعلم. لكن بعد خلقها استوى سبحانه وتعالى، أما قبل خلقها فالله أعلم.

وقوله: {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}؛ أي علا عليه. واعلم أن (استوى) تأتي في اللغة العربية على أوجه:

1- مُطْلَقَةً. 2- مُقَيَّدَةً بِ(على). 3- مُقَيَّدَةً بِ(إلى). 4- مَقْرُونَةً بِ(الواو).

فإذا جاءت مطلقة صار معناها: الكمال. ومنها قوله تعالى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى} ³²⁶، أي كَمُلَ في خلقته وعقله.

والمقيدة ب(على) تكون بمعنى: العلو، ومنه قوله تعالى: {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ} ³²⁷، أي: علوت. وقوله تعالى: {لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ} ³²⁸، أي علوتم عليه.

والمقيدة ب(إلى)؛ فتكون بمعنى القصد، ومنه قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ} ³²⁹، على أحد القولين.

والمقرونة ب(الواو)؛ فتكون بمعنى التساوي، كقولهم: (استوى الماء والخشبة)، وقد ذكرها النحويون في التمثيل ل(واو المعية)، أي: تساوى الماء والخشبة، والخشبة هي التي تكون في أعلى البئر.

فهذه أربعة أوجه تردُّ عليها (استوى). ولم ترد (استوى) مقترنة ب(على) بمعنى غير (العلو)، لكن ورد عن السلف أن:

- بعضهم عبّر بقوله: {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} أي: ارتفع، وارتفع بمعنى (علا).

- وبعضهم قال: {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}؛ صَعِدَ عليه، وصَعِدَ على الشيء يعني: علا عليه. فهذه ثلاث كلمات بمعنى واحد.

- وبعضهم قال: استوى على كذا أي: استقر، كما في قوله: {لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ}، أي استقرتم.

فهذه أربعة ألفاظ كلها وردت عن السلف في تفسير قوله تعالى: {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، وقد ذكرها ابن القيم رحمه الله في النونية وقال أنها وردت عن السلف، لكن المعنى الواضح الظاهر أنها بمعنى (علا)، والاستقرار شيء آخر زائد على العلو. فلو أننا اقتصرنا على أنها بمعنى (علا) لكان جيدًا، وإن قلنا (علا واستقر) فلا مانع إن شاء الله.

³²⁶ سورة القصص، آية (١٤).

³²⁷ سورة المؤمنون، آية (٢٨).

³²⁸ سورة الزخرف، آية (١٣).

³²⁹ سورة فصلت، آية (١١).

(واستواؤه على العرش: علوه عليه بذاته، علوًا خاصًا يليق بجلاله وعظمته لا يعلم كيفيته إلا هو).

قال: (علوًا خاصًا)، لأن لدينا علوَيْن: عام وخاص. فالعام: علو الله على كل شيء من السماوات والأرض والجبال والآدمي وغير ذلك، وقد دلت عليه آيات العلو - كما سبق -.

والعلو الخاص: هو علوه على العرش، وهو استواؤه عليه.

ويظهر ذلك بالمثل: إنسان على كرسي في السطح. فهناك علو عام وهناك علو خاص؛ فكونه على الكرسي هذا خاص بالكرسي. وكونه عالٍ على البيت كله فهذا هو العلو العام.

علو الله عز وجل على كل المخلوقات عام، وعلوه على العرش خاص؛ ولهذا لا يحل أن نقول: (إن الله استوى على السماء)، ولا (أنه استوى على المخلوقات)، بل نقول: (استوى على العرش خاصة)؛ ولهذا قُيِّدَ بقوله: (علو خاص).

(لا يعلم كيفيته إلا هو جل وعلا).

ثم هل نحن نعلم كيفيته؟ الجواب: لا نعلم كيفيته؛ لأن هذا من أمور الغيب، وقد أخبرنا الله عنه، ولم يخبرنا عن كيفيته، فوجب علينا الوقوف على ما ورد ولا نتعداه.

ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله: (يا أبا عبد الله {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} ³³⁰، كيف استوى؟) فماذا حصل للإمام مالك، الرواية تقول إنه أطرق برأسه حياءً وخجلًا، وقام يتصبب عرقًا من شدة ما ورد على قلبه، فأنطقه الله تعالى بهذه الكلمات التي تناقلها العلماء وارتضوها وجعلوها أساسًا لبقية الصفات فقال: (يا هذا! الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وما أراك إلا مبتدعًا) أي: ما أظنك، أو (ما أراك إلا مبتدعًا) أي: ما أعلمك إلا مبتدعًا، ثم أمر به فأخرج من المسجد؛ لأنه سأل عن كيفية الاستواء.

وقد رُوِيَ هذا النقل بلفظ: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"، وهذا نقل للنص بالمعنى، وإلا فإن المنقول بالسند "الاستواء غير مجهول"، والمعنى:

"الاستواء غير مجهول": أنه معلوم في اللغة العربية، فمعنى استوى على كذا: علا عليه.

"والكيف غير معقول": أي لا يدركه العقل، فإذا لم يدركه العقل صار مرجعه إلى السمع، وإذا لم يرد به السمع فالعقل يوجب التوقف، فمهما أردنا أن نتصور كيف استوى لا نستطيع، أبدًا. والله قيل لك أن فلانًا مستوٍ على سريره في بيته الآن. أتستطيع أن تتصور كيفيته؟ لن نستطيع أبدًا فلا تدري إن كان متكئًا كذا، أو كذا، وهو بشر، عندك في الأرض، فكيف بالخالق عز وجل؟! هل أحد يستطيع أن يكيف استواءه على عرشه؟ والله من ادعى ذلك فهو كاذبٌ، راجمٌ بالغيب.

"والإيمان به واجب": (به) أي: بالاستواء، الإيمان بالاستواء على أنه غير مجهول، وأنه العلو.

"والسؤال عنه بدعة": أي عن الاستواء، والمراد: عن كفيته، بدعة.

لماذا كان بدعة؟ لوجهين: الوجه الأول: أن السؤال عنه سؤال دين، سؤال عن عقيدة، ولم يرد ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم، ما منهم أحد سأل النبي ﷺ عن كيفية الاستواء مع شدة حرصهم عما يتعلق برهيم عز وجل، ومع وجود المجيب بالتأكيد وهو الرسول عليه الصلاة والسلام. فإذا كان السبب موجوداً والمانع مفقوداً؛ لزم منه وجود الشيء، لكن لم يسألوا عنه، ما قالوا يا رسول الله كيف استوى؟ وذلك لأدبهم مع الله ورسوله، وعلمهم بأن هذا أمرٌ لا يمكن الوصول إليه، ولم يأت مثل هذه الإيرادات إلا من الخلف الخالفين.

فعلى هذا نقول: إن السؤال عنه بدعة؛ لأنه لم يرد عن الصحابة رضي الله عنهم، مع قوة الداعي وعدم المانع.

أما الإيمان به واجب؛ فلأنه جاء في الكتاب والسنة وما جاء في الكتاب والسنة من أخبار الله ورسوله وجب الإيمان به.

الوجه الثاني: لكونه بدعة، وأن السؤال عنه من سمات أهل البدع، هم الذين يقولون كيف استوى؟ كيف ينزل؟ كيف يأتي؟ كيف يده؟ كيف وجهه؟ وما أشبه ذلك. فلا أحد يسأل عن الكيفية إلا وهو مبتدع.

هل نقول مثل ذلك في جميع الصفات؟ نعم، كل الصفات نقول فيها مثل ذلك: ينزل إلى السماء الدنيا كيف ينزل؟ نقول: (النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة). كيف وجه الله؟ نقول كذلك: (الوجه معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)، فهذه قاعدة عظيمة ألهمها الله تعالى الإمام مالك رحمه الله، فصارت نبراساً يسير عليه الناس.

وأهل البدع يقولون في الاستواء: استوى بمعنى (استولى، ومَلَكَ، وقَهَرَ). وهذه صفة معنوية وليست صفة حسية، فيقولون: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} أي: مَلَكَه وقَهَرَهُ!!، ولا شك أن قولهم باطل.

ووجه البطلان -سأقوله لكم من أجل أن تبناوا عليه بقية ما يكون من الصفات:-

الوجه الأول: أن هذا خلاف ظاهر اللفظ.

وما كان (خلاف ظاهر اللفظ) فإنه لا يجوز العدول إليه إلا بدليل، وما كان (ظاهر اللفظ) فإنه لا يجوز العدول عنه إلا بدليل، لاسيما في الأمور الغيبية المحضة، أما الأمور العقلية ربما يصف الإنسان اللفظ عن ظاهره لدلالة عقلية، لكن الأمور السمعية التي لا تدرك إلا بالسمع هذه لا يجوز مخالفة ظاهرها، إطلاقاً.

الوجه الثاني: أنه خلاف إجماع السلف.

فما من أحد من السلف قال: {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} أي ملكه أو قهره، إطلاقاً.

الوجه الثالث: أنه يلزم عليه لوازم باطلّة، منها:

1- أن يكون العرش مُلكاً لغير الله، ثم ملكه بالمغالبة.

وجه هذا اللازم: أنه قال {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، (ثم) تفيد الترتيب، وأن هذا الاستيلاء لم يكن إلا بعد خلق السموات والأرض، ومن المعلوم أن العرش مملوك لله قبل خلق السموات والأرض.

2- أننا إذا قلنا "استوى" بمعنى "استولى"، جاز لنا أن نقول إن الله استوى على الأرض؛ لأنه مستولٍ عليها!!، ولا أحد من علماء الأمة يقول إنه يجوز أن تقول إن الله استوى على الأرض، أبداً.

الوجه الرابع: هذا مخالف للغة العربية، فلم تأتِ "استوى" في اللغة العربية بمعنى "استولى" أبداً، ارجع للقواميس كلها تجد أن "استوى" لم تكن بمعنى "استولى"، هكذا نقول، لكن قد زعم بعضهم أن "استوى" بمعنى "استولى" جاءت في اللغة العربية، واستدل بقول الشاعر:

قد استوى بشرٌ على العراق من غير سيفٍ أو دمٍ مُهراق

قال هنا "استوى" بمعنى "استولى"؛ لأنه لا يمكن أن يستوي على العراق أي يعلو عليها، فما جوابنا على هذا؟

أولاً: أن هذا البيت لا يُعرف قائله، وإذا كان الحديث النبوي إذا كان راويه مجهولاً لا يُقبل، فهذا مثله أو أولى، فقائل هذا البيت غير معروف، ولو قبلنا كل بيتٍ مصنوع شاهداً على اللغة العربية وحَاكِمًا عليها، لكان كل واحد يستطيع أن ينظم ما يشاء من الأبيات ويقول هذا معناه كذا لقول الشاعر العربي الفصيح، ثم يأتينا من عنده بأبيات كلها هراء.

ثانياً: لو فُرض أن قائله معروف فمتى قاله؟ أليس اللسان العربي قد تغير منذ انتشرت الفتوحات؟ بلى، فيجوز أن يكون هذا من بعد ما تغير اللسان.

ثالثاً: على فَرَض أن قائله معروف، وأنه قبل أن يتغير اللسان، فإننا نقول "استوى" هنا بمعنى "علا علواً معنوياً"؛ لأنه صارت الكلمة العليا في هذا العراق له، فالاستواء هنا بمعنى: العلو علواً معنوياً.

فإن سَلِمَ الأمر فهذا واضح، وإن لم يُسَلِّمْ وقال: لا تأتي (استوى) بمعنى (العلو المعنوي)، قلنا: إن (استوى) هنا³³¹ بمعنى (استولى)؛ لوجود المانع من العلو الحسي فيُحْمَل على الاستيلاء.

وبهذا عُرف أنه لا دليل لمن فسر استواء الله على عرشه بأنه استيلاؤه عليه.

³³¹ أي: في هذا البيت.

توجيه من الشيخ رحمه الله:

هذه المسائل مسائل دحض ومزلة يجب على الإنسان أن يسلك ما سلكه السلف فيها، وهو الأخذ بـ(ظاهر اللفظ)، مع العلم أن هذا الظاهر لا يمكن أن يُحمل على مماثلة الله للخلق لقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ³³²، ولا يمكن أن يُكَيَّف لقوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} ³³³. فخذوا بظاهر النصوص، واحذروا التمثيل والتكييف، خذوا بالظاهر: هذا معناه لا تحريف، لكن احذروا التمثيل واحذروا التكييف، أما التمثيل فلقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ولقوله: {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} ³³⁴، ولقوله: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا} ³³⁵ والآيات في هذا كثيرة.

وأما التكييف فلقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ} ³³⁶ إلى قوله: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ³³⁷، ولقوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}. ابنوا عقيدتكم على هذا، وخذوا بالظاهر، في كل شيء خذوا بالظاهر.

فإذا قال قائل: أليس الله تعالى قد قال: [عبدى جُعتُ فلم تُطعمني] ³³⁸، [عبدى مرضتُ فلم تُعدني] ³³⁹، نقول: بلى قالها، لكن هل سكت الله؟ لا، بل بيّن. قال: [أما علمتُ أنّ عبدى فلانًا جاع فلم تُطعمه، ومريضٌ ولم تُعده] ³⁴⁰ فبيّن الله ما أراد، فإذا أراد الله خلاف الظاهر لا بد أن يبينه الله أو رسوله، فإذا لم يبينه الله ولا رسوله عُلم أن الظاهر مقصود. وفقني الله وإياكم لما يحب.

سؤال: السلام عليكم، لماذا لا نقول في الصفات التي تتعلق بذات الله عز وجل أنها ثابتة وكيفية مجهولة، لكن لأننا إذا قلنا أنها معلومة وكيفية مجهولة فقد يمكن تمثيلها، مثلًا اليد، فإذا قلنا (اليد معلومة) فمعناه: مثل هذه اليد!، فهل هذا صحيح؟

الجواب: لا، غير صحيح، اليد معلومة والكيف مجهول.

لو قلنا أن للجمل يدًا، فهل نقول: مثل هذه اليد؟ لا. وهل نقول: لله يد، هل مثل هذه اليد؟ لا. وهل نقول: للأسد يد، هل هي مثل هذه اليد؟، فلا يلزم من إثبات الحقيقة التمثيل أبدًا، إطلاقًا.

³³² سورة الشورى، آية (١١).

³³³ سورة الإسراء، آية (٣٦).

³³⁴ سورة النحل، آية (٧٤).

³³⁵ سورة البقرة، آية (٢٢).

³³⁶ سورة الأعراف، آية (٣٣).

³³⁷ سورة الأعراف، آية (٣٣).

³³⁸ صححه ابن تيمية في الجواب الصحيح.

³³⁹ المصدر السابق.

³⁴⁰ المصدر السابق، بمعناه.

وهذا الذي أوجب التمثيل والتعطيل، فالآن (إثبات الحقيقة) أوجب لبعض الناس التحريف والتعطيل، ولبعض الناس التمثيل. فالممثلة قالوا: (لا نعقل يدًا حقيقية إلا مثل يد المخلوق)، وأهل التحريف قالوا: (إذا كنا لا نعقل إلا مثل يد المخلوق لزم من إثباتها التمثيل، والتمثيل ممنوع؛ إذًا يجب أن ننفي اليد الحقيقية).

لأنك لو أردت أن تجعل اليد يدًا معنوية أخرجتها عن الظاهر، فلا بد أن تقول اليد معلومة، على أن نظيرها بالنسبة لنا أبعاض.

ولهذا صفات الله عز وجل منها صفات معانٍ، ومنها صفات نظيرها بالنسبة لنا أبعاض، مثل: الوجه والعين واليد والقدم، لكننا لا نقول إنها بالنسبة لله أبعاض؛ لأن البعض في اللغة: هو ما يمكن وجود الأصل دونه وما ينقص الأصل بفقده. فلهذا يتحاشى العلماء أن يقولوا إنها أبعاض. لكن نظيرها بالنسبة لنا أبعاض، ولهذا تُسمى (الصفات الخبرية)، ولا يُقال (صفات معنوية)؛ لأنها مقصورة على الخبر.

-الدرس السادس عشر-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

طالب يسأل: بالنسبة لقولك علو الله عز وجل لا يجوز أن يقال (علا على السماء)؟

الشيخ: لا، ما قلنا هذا. هل قلنا هذا يا جماعة؟. ما هذا الكلام؟! تقول علي ما لم أقل وأنا حاضر في المكان!! لا نقول (استوى على السماء).

الطالب: إذا كان (استوى) بمعنى (علا)، فما الفرق؟

الشيخ: لا، بل قلنا علوًا خاصًا، اقرأ بارك الله فيك، ثم طهر لسانك من قولك للمعلم: (قولك كذا وكذا) لأن هذا يعني عدم موافقتك على ما أقول، وإن كنت موافق لكن هذا التعبير بالنسبة للطالب سيئ، قل: (قولنا مثلًا كذا وكذا)؛ لأن المفروض أن التلميذ يقول بما قال معلمه ولو على الأقل في مجلس التعلم، أما ان تقول (قولك) وكأنك مناظرٌ لي فهذا يعتبر من سوء أدب المتعلم، ونحن نعذر بعض الإخوان لأنهم ما قرؤوا مع الأسف [آداب طالب العلم]، فمثل هذا بارك الله فيك تقول: (قولنا)، ثم إذا نقلت فحرر النقل.

فنحن لم نقل إنه (علا على السماء) أبدًا، ولو قلنا ذلك فإننا كاذبون، لكن قلنا: (لا نقول استوى على السماء)؛ لأن الاستواء علوٌ خاص كما أقرّه شي الإسلام في (الرسالة العرشية) وغيره من العلماء، وهو أيضا واضح.

ولا تلمني إذا غضبت فإن الإمام مالك قال للرجل: (السؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا)، ثم أمر به فأخرج. أما أنا فأعذرك وأقول حرر النقل، بارك الله فيك، لا سيما في أمر العقيدة.

سؤال الطالب: ما الإشكال؟

الشيخ: لا يوجد إشكال، وقد ضربت لكم مثالاً لتقريب المعنى برجل كان على كرسي فوق السطح، فهناك علوٌ عام على جميع البيت بما فيه ما تحت السقف، وهناك علوٌ خاص وهو الاستواء على هذا السيرير المباشر، وهذا لا يختص به إلا ما استوى عليه.

سؤال الطالب: ورد في النص أنه (استوى إلى السماء)؟

الشيخ: استوى (إلى).

الطالب: فهي بمعنى (علا).

الشيخ: لا، قلنا لكم أن (استوى) إذا تقيدت ب(إلى) فهي بمعنى (القصد).

سؤال الطالب: (وهو الذي في السماء)!

الشيخ: هذه ليست (على) ولا (إلى)، المهم أنه (استوى على كذا) هذا خاص به، لا يتناوله غيره، لكن إذا كان العرش فوق

المخلوقات كلها لزم من استواء الله على العرش أن يكون عاليًا لا مستويًا، بل عاليًا على جميع المخلوقات.

سؤال الطالب: إذا كان عاليًا على جميع المخلوقات وقد قلنا أنه قبل الاستواء على العرش لا نقول استوى عليه ولا نقول لم

يستوى عليه؟

الشيخ: نعم، لكنه عالي عليه؛ لأن العلو من الصفات الذاتية ما يمكن ينفك الله عنه أبدًا.

الطالب: والاستواء؟!

الشيخ: من الصفات الفعلية.

الطالب: انتهى الوقت يا شيخ.

الشيخ: لا مشكلة يا أخي، هذه عقيدة، ويلزمنا أن نصحح عقيدة إخواننا، لا بد.

الشيخ: هل اتضح الآن؟

سؤال الطالب: يعني تقريبًا اتضح جوابك، لكن بقي التصور؟!

الشيخ: تصور تصور بارك الله فيك، (استوى على العرش) الاستواء على العرش علوٌ خاص، أنا لا أستطيع أن أقول

(استوى عليه) أي علوًا مباشرًا، لأنني أتحاشى من كلمة (مباشر) لكن بالنسبة لي أنا على هذا السيرير هذا علوٌ مباشر، لكن

هل علوي على الأرض الآن مباشر أم غير مباشر؟ الجواب: غير مباشر، هذا يُقرب لك هذا الشيء، ولا حرج أن نقرب

المثال للمعاني لا للممثلة، كما قال الرسول ﷺ: **[إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ]**³⁴¹.

المهم بارك الله فيك (استوى على الشيء) أي: (علا عليه علوًا خاصًا)، وبالنسبة لي ولك نقول (مباشر)، لكن بالنسبة لله

لا نقول مباشر ولا غير مباشر، ولهذا غَلَطُوا ابن الجوزي في قوله: (أن الله خلق آدم بيده وما مسّه)، ليس لك حق تقول

(ما مسّه)، كذلك إذا قلت: (استوى على العرش وما مسّه) أو (استوى عليه وما مسّه) ليس لك حق، فالله أعلم.

³⁴¹ أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٥٤)، باختلاف يسير.

سؤال طالب: شيخ، ما مدى صحة قول بعضهم أن الحكمة في خلق الله عز وجل للسماوات والأرض في ستة أيام أنه يُعَلِّم عباده المؤمنين التدرج في الأحكام؟

الشيخ: نعم، هذا ربما يكون من الحكمة؛ لأن الإنسان قد استنبط الحكمة بما يظهر. لأن الله قادر على أن يخلقها بلحظة، بكلمة واحدة، لكن قال العلماء: إن الله تعالى علّم عباده التأني والإحكام، وأن الإحكام أهم من العجلة. وقال الطبائعيون أيضاً إن هذه المخلوقات لها أسباب تُنشئ كما ينشأ الحمل في البطن، هذه الأسباب تفاعلت وتفاعلت حتى تكونت سماءً وأرضاً، وهذه المدة تحتاج إلى طول، ولهذا يفسر الطبائعيون الأيام بأنها ليست أيامنا هذه، يقولون أيام طويلة إما خمسين ألف سنة أو غيرها؛ لأنهم يرون أن هذا التدرج بناءً على التفاعل وترتب المسببات على أسبابها. أما نحن فنقول إن الله لو شاء لخلقها بلحظة، كما أن الجنين في البطن لو شاء الله خلقه بلحظة، وخرج بلحظة، لكن الله قدره حسب النمو وتدرج الأسباب.

سؤال طالب: أريد أن أسألك يا شيخ هل من السلف من يفسر الاستواء بـ(القعود)، أو (الجلوس)؟

الشيخ: أي نعم، بعض العلماء لكن ما رأيته. قال: (استوى على العرش يعني جلس عليه)، لكن هذه لا يجوز أن نطلقها إلا إذا جاءت عن الله ورسوله، ما نقول هكذا، وبعضهم تجاوز -الله المستعان-.

لكن نحن نقول لا نتعدى القرآن والحديث، كما قال الإمام أحمد رحمه الله، هذه أمور غيبية، وهذه أمور ما ندرکہا، الشجر الأخضر تخرج منه النار بضرب الزند، وهو شجر أخضر رطب وبارد تخرج منه النار، وهي حارة يابسة، كما قال تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا} ³⁴²، فقدره الله فوق قدرتنا، ولا أحد يتصور ما لله عز وجل من الكمال والقدرة أبداً، فلا تتجاوز القرآن والحديث في الصفات إطلاقاً، لا تتجاوزها ولا تقصر عنها، اجعل نفسك تابعاً لنصوص الكتاب والسنة حتى تستريح، وحتى لا يلعب عليك الشيطان.

(ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقة وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ³⁴³.)

ولا نقول كما تقول الحلولية -من الجهمية وغيرهم- أنه مع خلقه في الأرض، ونرى أن من قال ذلك فهو كافر أو ضال؛ لأنه وصف الله بما لا يليق به من النقائص).

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، قال المؤلف رحمه الله تعالى في سياق صفات الله عز وجل:

(ونؤمن بأنه تعالى مع خلقه)

لما ذكر علوه سبحانه وتعالى الذاتي والوصفي، وذكر استواءه على العرش، وهو علوه على عرشه عز وجل على صفة لا يعلمها إلا الله، ذكر (المعية)؛ وذلك لأن الإنسان قد يشكل عليه الجمع بين العلو والمعية، وكذلك القرب.

³⁴² سورة يس، آية (٨٠).

³⁴³ سورة الشورى، آية (١١).

فقال: (ونؤمن بأنه تعالى مع خلقه، وهو على عرشه) هو مع خلقه وهو على عرشه (الجملة هذه حالية) وهو على عرشه فما معنى ذلك؟

(المعينة) في اللغة العربية كلمة تقتضي المصاحبة، (مع كذا أي: مصاحبٌ له)، وهذه المصاحبة تختلف باختلاف مواردها، وبحسب القرائن، والسياق، فتفسر في كل موضع بحسبه. فمثلاً إذا قلت: (خلطت الماء مع اللبن) فهذه معية امتزاج، يمتزج أحدهما بالآخر ويختلط حتى لا يتميز واحدٌ عن ثانٍ، وإذا قلت: (الزوجة مع زوجها) فهذه مصاحبة ومقارنة، لكن لا يلزم الاختلاط ولا الاتصال ولا الحلول في مكان واحد، بل ربما تكون الزوجة في المشرق والزوج في المغرب. ويقال: (القائد مع الجند) مع أنه في غرفة العمليات يُوجّه، والجند في ميدان القتال، فبينهم مسافة، ومع هذا يقال: (معهم).

أبلغ من ذلك أن العرب يقولون: (مازلنا نسير والقمر معنا) نسير في الأرض، والقمر في السماء، ومع ذلك يقولون إنه معنا. فتبين الآن أن المعية لا تستلزم الاختلاط ولا الحلول في مكان، وإنما تفسر بحسب ما يقتضيه السياق والقرائن، فنحن نؤمن بأن الله معنا، بأن الله نفسه معنا حقيقة، لكن أين هو؟ الجواب: على عرشه في السماء، ولا يلزم من إيماننا بأنه معنا حقيقة لا يلزم أن يكون مشاركاً لنا في المكان، أبداً، وإذا كانت المعية بين المخلوقات لا تقتضي المشاركة في المكان فالمعية بين الخالق والمخلوق من باب أولى.

فنؤمن بأن الله معنا، والدليل على ذلك قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۗ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} 344 ، خذ هذه الضمائر كلها وانظر إلى من تعود:

{هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} من؟ الله نفسه أم غيره؟ الجواب: الله نفسه.

{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، الله نفسه.

{يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ}، يعلم الله نفسه.

{وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ} من؟ الله.

{أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} إذا كل الضمائر تعود إلى الله عز وجل.

وإذا عرفنا أن المعية لا تستلزم الاختلاط والامتزاج ولا تستلزم الحلول في المكان علمنا أن معية الله لخلقه معية حقيقية، ولا تحتاج إلى أن تفسر بشيء آخر، هي معية حقيقية لكنه لا يلزم منها أن يكون الله معنا في المكان، كما قالت الجهمية بل هو معنا وهو على عرشه.

وقد عرفتم قبل قليل أن العرب من أسلوبها أن تقول: (القمر معنا) وهو في السماء. ولا يعدّون هذا تناقضاً، ولا يعدّونه

خروجاً عن مقتضى المعنى الذي تفيده المعية فلا حاجة إلى أن تُحرّف. كما قال ابن تيمية رحمه الله في (العقيدة

الواسطية) قال: (إنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف) 345، ومراد الشيخ ب(التحريف): إخراج الكلام عن ظاهره،

344 سورة الحديد، آية (٤).

345 العقيدة الواسطية (صفحة 840).

ولا دليل على وجوب إخراجه عن ظاهره، بل نقول: (يجب أن يصاب عن المعنى الباطل الذي لا يدل عليه)، ما هو المعنى الباطل الذي لا يدل عليه؟ الجواب: أنه مخالط لنا في المكان، أو ممتزج بنا، هذه مستحيل، وإذا آمنت بهذا فإنه يقوى خوفك من الله عز وجل، إذا آمنت بأن الله معك ويعلمك ويشاهدك ولا يخفى عليه شيء من أحوالك حينئذٍ يتم لك مراقبة الله عز وجل، لأنك لو كنت في حجرة مظلمة ليس عندك أحد تقول: (الله عز وجل معي وهو على عرشه)، فتخشاه وتخافه ولا تفعل شيئاً يغضبه.

ولنستمر في شرحها فنقول:

(هو مع خلقه وهو على عرشه)، (مع خلقه): حقيقة أو مجازاً؟ الجواب: (هو على عرشه) حقيقة.

ولا تناقض لأن هذا جائز في حق المخلوق، ففي حق الخالق من باب أولى. ولأنه على فرض أنه لا يجوز في حق المخلوق أن يكون الشيء عالياً شاهقاً في العلو وهو معك، فإنه جائز في حق الله لأن الله تعالى لا يقاس بخلقه.

(يعلم أحوالهم)

هذه من مقتضيات المعية ومستلزماتها.

(يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر أمورهم، يرزق الفقير، ويجبر الكسير، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعزُّ من يشاء، وينزل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير).

ثم قال: (ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقة، وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة)

ولا مانع، وليس في هذا أي تناقض ولا أي وصف لا يليق بالله.

الذي لا يليق بالله أن نفهم من المعية الاختلاط والحلول في المكان، كما قالت الجهمية.

ولهذا لما ظهر هذا القول المبتدع الضال صار السلف يقولون: (هو معنا بعلمه)، ففسروا المعية بلازمها: وهو العلم،

على أن لازم المعية ليس العلم فقط، كما صرح بذلك ابن كثير في (التفسير)، وصرح به أيضاً ابن رجب في (جامع العلوم

والحكم)، بل هو معنا بعلمه وسمعه وبصره وسلطانه وقدرته وربوبيته وغير ذلك من معاني الربوبية، لكن فسرها من

فسرها من السلف ب(العلم) ردّاً على الجهمية الذين قالوا: هو معنا بذاته في مكاننا. فقالوا (بعلمه).

ولهذا في عبارة بعضهم -أظنه عبد الله بن المبارك- قال: (ولا نقول كما يقول هؤلاء الجهمية "إنه معنا هاهنا"، وأشار إلى

الأرض). وهذا هو الذي حذره السلف وفسروها بالعلم وهو تفسير ببعض اللوازم وليس باللوازم كلها، القصد منه الرد على

الجهمية الحلولية.

كما أن بعض السلف قال: (هو مستوٍ على العرش بذاته) مع أن (بذاته) غير وارد، لكنه قال (بذاته) ردّاً لقول من قال إن

الاستواء هو الاستيلاء، فهو استواء معنوي لا ذاتي.

وكما عبر بعضهم بقوله: (أنه ينزل إلى السماء الدنيا بذاته) ردّاً على قول من يقول: إن الذي ينزل أمره أو رحمته أو ملك من

ملائكته.

فيجب أن نعرف أن السلف قد يفسرون الشيء بالمعنى أي بلازمه حذراً من معنئ باطل اتخذته الناس في ذلك الوقت، أما

نحن فنؤمن كما قلنا.

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}³⁴⁶

إشارة إلى أن "المعية مع الفوقية" لو قدر أنها ممتنعة في حق المخلوق فليست ممتنعة في حق الخالق؛ لأن الله تعالى ليس كمثل شئ.

(ولا نقول كما تقول الحلولية من الجهمية وغيرهم إنه مع خلقه في الأرض).

الجهمية يقولون إن الله مع خلقه في الأرض، حالاً في الأرض.

(ونرى أن من قال ذلك فهو كافر أو ضال).

كافر إن بلغته الحجة وأن هذا مستحيل على الله وأنه نقص في حقه، أو ضال إن لم يكن كذلك.

على كل حال هذا القول مرفوض لكن قائله إما أن يكون كافرًا وإما أن يكون ضالاً حسب ما تقتضيه حاله، (لأنه وصف الله بما لا يليق به من النقص).

ثم اعلم: أن مقتضى المعية عام وخاص.

فإذا كان المقصود بذلك بيان إحاطة الله سبحانه وتعالى بالخلق فهي معية عامة، كقوله تبارك وتعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}³⁴⁷، {وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ}³⁴⁸، هذه يسميها العلماء معية عامة، المقصود بها بيان إحاطة الله عز وجل.

وتكون المعية للتهديد كما في قوله تعالى: {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ}³⁴⁹، المقصود بذلك تهديد هؤلاء ووعيدهم.

وقد يكون المراد بها النصر والتأييد وهذه قد تُقيد بوصف، وقد تُقيد بشخص، قد تقيد بوصف مثل: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}³⁵⁰، {وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}³⁵¹، هنا لم تقيد بشخص بل قُيدت بوصف، فمن كان متقياً محسناً كان الله معه، ومن كان صابراً كان الله معه.

وقد تقيد بشخص كقول الله تبارك وتعالى: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}³⁵²، وكقول الله تعالى لموسى وهارون: {قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ}³⁵³.

فهذه أربعة أنواع:

الأول: أن يكون المقصود بيان الإحاطة.

³⁴⁶ سورة الشورى، آية (١١).

³⁴⁷ سورة الحديد، آية (4).

³⁴⁸ سورة المجادلة، آية (٧).

³⁴⁹ سورة النساء، آية (١٠٨).

³⁵⁰ سورة النحل، آية (١٢٨).

³⁵¹ سورة الأنفال، آية (٤٦).

³⁵² سورة التوبة، آية (٤٠).

³⁵³ سورة طه، آية (٤٦).

الثاني: أن يكون المقصود التهديد.

الثالث: أن يكون المقصود النصر والتأييد ولكن مقيداً بوصف.

الرابع: أن يكون المقصود النصر والتأييد ولكن مقيداً بشخص.

وكلها لا تنافي علو الله عز وجل، فإن هذه المعية ثابتة على وجه الحقيقة لكن لا تنافي علو الله فهو مع خلقه وهو على عرشه.

قال: (ونؤمن بما أخبر عنه رسول الله ﷺ أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفربي فأغفر له).

ينزل إلى السماء الدنيا، كيف ينزل؟ الجواب: الله أعلم.

إذا سألنا سائل قال: كيف ينزل؟ قلنا له: أنت مبتدع، كما قال مالك في من قال: كيف استوى؟، قال: ما أراك إلا مبتدعاً. فنقول: أنت مبتدع، قل: ينزل، ولا تقل: كيف ينزل؟ لأن الرسول ﷺ أخبرنا أنه ينزل ولم يخبرنا كيف ينزل، ولو كان ذلك خيراً لنا لأخبرنا.

(حين يبقى ثلث الليل الآخر)

ومن أين يبتدئ الليل وإلى أين ينتهي؟ يبتدئ الليل بالإجماع من غروب الشمس لقول الله تعالى:

{ثُمَّ أَتَمُّوا الصَّبَّامَ إِلَى اللَّيْلِ} ³⁵⁴، وقال النبي ﷺ: [إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا -يعني من المشرق- وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا -يعني من المغرب- وَغَرِبَتِ الشَّمْسُ] ³⁵⁵.

إذا الليل يبتدئ مع غروب الشمس بالإجماع، وبالدليل أيضاً {أَتَمُّوا الصَّبَّامَ إِلَى اللَّيْلِ} أي إلى غروب الشمس كما فسره الحديث.

وإلى أين ينتهي؟ فيها قولان لأهل اللغة: -قيل: طلوع الفجر. -وقيل: بطلوع الشمس.

ونحن نقول: أما فلكياً فإنه ينتهي بطلوع الشمس، لأن طلوع الشمس وغروبها هو الفاصل بين الليل والنهار، وليس الضوء الذي يكون من الشمس، ولو كان الضوء الذي يكون من الشمس لقلنا أن الليل لا يدخل إلا إذا غاب الشفق. فنحن نقول: إن أريد الليل الفلكي فإنه ينتهي بطلوع الشمس.

وإن قلنا الليل الشرعي فإنه ينتهي بطلوع الفجر، لقول النبي ﷺ: [اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ فِي اللَّيْلِ وَتُرّاً] ³⁵⁶. وقوله [إِذَا خَشِيَ

أَحَدُكُمْ الصَّبْحَ صَلَّى وَاحِدَةً فَأَوْتَرَتْ مَا صَلَّى] ³⁵⁷ فدل ذلك على أن آخر الليل طلوع الفجر. ويدل لهذا أيضاً أن الصائم يبتدئ صومه بطلوع الفجر.

³⁵⁴ سورة البقرة، آية (١٨٧).

³⁵⁵ صحيح، أخرجه البزار في البحر الزخار، بلفظ (غابت) بدلاً من (غربت).

³⁵⁶ أخرجه البخاري في صحيحه، (٤٧٢)، بدون (في الليل).

³⁵⁷ صحيح، عارضه الأحوذى، باختلاف يسير.

وعلى هذا فالليل شرعاً: من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ، وملكاً: من غروب الشمس إلى طلوع الليل.

فما الذي يحمل عليه كلام الرسول ﷺ؟ الجواب: يحمل على الليل الشرعي.

وعلى هذا فنقول ثلث الليل الذي يبتدئ ليله من الغروب وينتهي بطلوع الفجر. هذا هو الأقرب.

سؤال طالب: أحسن الله إليك قلنا أن الله مستوٍ على عرشه بذاته وهو معنا بذاته، لماذا لا نقول يا شيخ هكذا "بذاته"؟

الشيخ: نعم نحن نعتقد هذا، لكننا لا نقول (بذاته) لأنه يفهم من (بذاته) الحلول حيث قال به من قال، فلذلك نتحاشا

هذا، أما الذي أدين الله به فهو سبحانه وتعالى معنا هو نفسه، ونفسه معنا، ولكنه في السماء على عرشه، إنما نحن لا

ننطق بها حتى لا يتوهم واهم ما ذهب إليه الجهمية المعطلة، وإلا ما المعنى أن نقول: أن كل الضمائر في قوله: {هُوَ الَّذِي

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا

يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} كلها تعود على الله إلا هذه تعود على العلم!

ثم إنه عند الحقيقة معنا بعلمه. العلم وصف لا ينفصل، فإن كان الذي معنا العلم فإنه لا يمكن أن يكون معنا العلم

والعالم فوق.

وإن كان المقصود: معلومه في الأرض، فأين علمه؟. علمه بذاته فوق، وحينئذٍ يكون كلام السلف في تفسيرها بالعلم

تقريباً، وتفسيرهم باللازم ودفع لإيهام الحلول الذي ظهر في وقتهم.

سؤال طالب: أحسن الله إليك، المعطلة الجهمية والمعتزلة برزوا في تعطيل الصفات، والممثلة من هم؟ وهل هؤلاء لهم

أتباع في وقتنا الحاضر؟

الشيخ: المعطلة مأخوذ من التعطيل، والتعطيل هو التخلية، والتعطيل يفسر بتفسيرين:

أولاً: تعطيل النصوص عن معناها. ثانياً: تعطيل الخالق عن صفاته.

وكل هذا وقع فيه أهل التعطيل، عطلوا النصوص عن معناها التي أرادها الله بها ورسوله، وعطلوا الخالق من أوصافه التي

ثبتت له بالكتاب والسنة.

ولكنه ينقسم إلى أقسام تعطيل كلي، وتعطيل جزئي، وتعطيل عام، وتعطيل خاص. لأن بعض المعطلة قد يعطلون بعض

الصفات دون بعض. فالأشاعرة مثلاً أثبتوا سبع صفات وعطلوا الباقي، بعض أتباعهم أثبتوا كل الصفات إلا الصفات

الفعلية يعني قالوا جميع الصفات المعنوية ثابتة إلا الصفات الفعلية والخبرية، فمنعوا أفعاله الاختيارية وقالوا إن الله لا

ينزل ولا يستوي ولا يضحك ولا يفرح وما أشبه ذلك.

وعلى كل حال تعرف أن الأمة ملايين الملايين وهناك أهواء وآراء تختلف.

أما الممثلة: يقولون إن أول من قال بالتمثيل هشام بن الحكم الرافضي هذا الأصل، وأن بعضهم والعياذ بالله يصف الله

بصفة الإنسان، يقول مثلاً: إنه شخص له شعر وجهه أبيض مستدير، وكذا، ويذكر من صفات الجمال إلى ما لا نهاية له.

حتى قال بعضهم: (اسألوني عن كل شيء، وأعفوني عن الفرج واللحية)!!، هذا ورع!! يقول هذا من الورع!!، يقول الفرج

واللحية لا تسألوني عنه!! غيره اسألوني عن كل شيء!!- نسأل الله العافية مما ابتلاهم به.-

وحقيقة أن الأمر كما قال شيخ الإسلام يقول: (كل ممثل معطل، وكل معطل ممثل).

كيف كان المعطل ممثل وهو ينفي؟ لأنه اعتقد أن الإثبات يستلزم التمثيل، فمثل أولاً بمفهومه، ثم عطلّ ثانيًا بمنطوقه، لأن المعطلة لو قيل لماذا عطلوا؟ قالوا لأن إثبات هذا يستلزم التمثيل فمثل أولاً بمفهومه حيث فهم من النص التمثيل، ثم عطلّ ثانيًا بمنطوقه وقال: ما دام يقتضي التمثيل أنا لا أثبته.

الممثل معطل؛ لأنه عطل الله من كماله حيث مثله بالناقص، ومن مثل الكامل بالناقص فقد انتقصه، حتى قيل:
ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل أن السيف أمضى من العصا.
وقال الشاعر:

إذا وصف الطائي بالبخل مادر وعير قساً بالفهاهة باقل
وقال السُّهّا للشمس أنت ضئيلة وقال الدجى للصبح لونك حائل
فيا موت زر، إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل .

انظر الآن (مادر) من أبخل الناس يقول لحاتم إنه بخيل. و(السُّهّا) خفي لا يرى ويقول للشمس أنت ضئيلة، والفجر يقول للدجى للظلام لونك حائل. وعيّر قيس بالفهاهة باقل، قس هو من أفصح الناس وأبلغهم يعيّر بالفهاهة رجل يسمي باقل لا يعرف أن يتكلم، وبعد هذا ما في الحياة خير. يا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل.
كل ممثل معطل وكل معطل ممثل.

سؤال طالب: بارك الله فيك قسمنا (المعيّة) إلى معيّة خاصة ومعيّة عامة، فهل (القرب) يُقسّم كذلك؟
الشيخ: القرب الصحيح أنه لا ينقسم، وأنه خاص بمن يعبد الله أو يدعو فقط. فليس الله قريبًا من الكافر لأن القرب وصف أخص من المعية ويدل على عناية تامة؛ ولهذا لم يرد القرب موصوفًا به الله عز وجل إلا:
- في حال الدعاء، {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} ³⁵⁸
- وفي حال العبادة، كقول رسول الله ﷺ: {أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثَرُوا الدُّعَاءَ} ³⁵⁹.

فإن قال قائل: القرب خاص، أليس الله يقول: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ} ³⁶⁰ والإنسان هنا يشمل المؤمن والكافر، والعابد وغير العابد، والداعي وغير الداعي؟ قلنا: إن شيخ الإسلام رحمه الله يقول: (نحن أقرب إليه بملائكتنا) لأنه قيّد القرب بقوله: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ}.

³⁵⁸ سورة البقرة، آية (١٨٦).

³⁵⁹ أخرجه مسلم في صحيحه، (٤٨٢).

³⁶⁰ سورة ق، آيات (١٦-١٧).

ولكن يرد على هذا أن يقال كيف يُضيف الله القرب إلى والمراد قرب ملائكته؟ قلنا: لا غرابة، كما أضاف القراءة إليه والمراد قراءة ملائكته، فقال تعالى للرسول ﷺ: **{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}**³⁶¹

(فَإِذَا قَرَأْتَهِ) من يقرأه؟ جبريل عليه السلام. (فَإِذَا قَرَأْتَهِ) من القارئ؟ جبريل عليه السلام. فالله تعالى يضيف الشيء لنفسه والمراد ملائكته عزوجل؛ لأن ملائكته يفعلون بأمره فأضيف فعلهم إليه، لأنه الأمر لهم جل وعلا. والحاصل أن القرب كما قال شيخ الإسلام إن القرب خاص ولا يكون عامًا.

-الدرس السابع عشر-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

(ونؤمن بما أخبر عنه ﷺ أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: [من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفري فأغفر له].

ونؤمن بأنه سبحانه وتعالى يأتي يوم المعاد للفصل بين العباد لقوله تعالى: **{كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى}**³⁶².
ونؤمن بأنه تعالى **{فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ}**³⁶³.

ونؤمن بأن إرادته تعالى نوعان:

كونية: يقع بها مرادُه، ولا يلزم أن يكون محبوبًا له، وهي التي بمعنى المشيئة كقوله تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ**

مَا أَفْتَنَّاكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}³⁶⁴، **{إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ}**³⁶⁵.

وشريعة: لا يلزم بها وقوع المراد، ولا يكون المراد فيها إلا محبوبًا له، كقوله تعالى: **{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ}**³⁶⁶

³⁶¹ سورة القيامة، آيات (١٦ - ١٨).

³⁶² سورة الفجر آيات (21 - 23).

³⁶³ سورة هود، الآية (107).

³⁶⁴ سورة البقرة آية (253).

³⁶⁵ سورة هود آية (34).

³⁶⁶ سورة النساء آية (27).

ونؤمن بأن مراده الكوني والشرعي تابع لحكمته، فكل ما قضاه كوناً أو تعبد به خلقه شرعاً فإنه لحكمة، وعلى وفق الحكمة، سواء علمنا منها ما نعلم أو تقاصرت عقولنا عن ذلك، {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} ³⁶⁷، {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} ³⁶⁸.

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص ما سبق

سبق لنا ما يتعلق باستواء الله على العرش، وبيناً أن استواء الله على عرشه يعني العلو، (علا): صعد واستقر، لكن هل هذا العلو هو العلو المطلق العام، أو هو علو خاص؟ الجواب: علو خاص.

وسبق لنا أن بعض العلماء قال: (استوى على العرش بذاته)، فهل نحن نحتاج إلى ذلك؟، الجواب: نعم، نحتاج إلى ذلك للرد على من أنكر حقيقة الاستواء، وإلا فالأصل أن ما أضافه الله من الأفعال إلى نفسه فهو قائم به هو، هذا هو الأصل، مثلاً: خلق السماوات لا يحتاج أن نقول: (بذاته)، استوى على العرش لا يحتاج أن نقول (بذاته) لأن الله أضاف الفعل إلى نفسه، فيكون متعلقاً (بذاته) سواء ذكرت أم لم تذكر، لكن عند الضرورة وفي مقابلة من يفسر الاستواء ب(استواء معنوي وهو الملك والقهر)، فنقول (بذاته).

سبق لنا أيضاً المعية، معية الله عز وجل، وأنها معية حقيقية أضافها الله إلى نفسه، فتكون كغيرها مما أضافه الله إلى نفسه، أنها تتعلق بذاته، وأن من فسرها من السلف ب(العلم) فقد فسرها ببعض لوازمها؛ ردًا لقول الجهمية الذين قالوا: إنه معنا بذاته -أي في الأرض- وهذا كما ذكرنا في الأصل إما كفر وإما ضلال، إما كفر إن قاله الإنسان عن عناد، وإما ضلال إن قاله عن جهل.

فإن قال قائل: ما الجمع بين العلو والمعية؟

إذا قلت: (إن الله فوق كل شيء)، ثم تقول: (إن الله معنا)، يجمع بينهما من وجوه ثلاثة:

الوجه الأول: أن الله تعالى وصف نفسه بهما: بأنه عالي، وبأنه معنا، ولا يمكن أن يجمع الله لنفسه بين شيئين متناقضين أبداً، فالجمع بينهما يدل على إمكان اجتماعهما، لأن المتناقضين لا يمكن اجتماعهما، والله تعالى قد وصف نفسه بهذا، وهذا، فقال: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} ³⁶⁹ وفي آخرها: {وَهُوَ مَعَكُمْ} ³⁷⁰، فإذا كان الله قد جمع بينهما لنفسه دل على عدم التناقض؛ لأنه لا يمكن الجمع بين النقيضين.

الوجه الثاني: أن العلو لا ينافي المعية، ولهذا كان من أساليب العرب أنهم يقولون: (ما زلنا نسير والقمر معنا)، أو (ما زلنا نسير والنجم الفلاني معنا)، كما ذكره شيخ الإسلام في (العقيدة الواسطية)، وكما ذكره في (الفتوى الحموية)، وغيرها من كتبه.

³⁶⁷ سورة التين، الآية (8).

³⁶⁸ سورة المائدة آية (50).

⁸ سورة الحديد آية 4.

³⁷⁰ سورة الحديد آية 4.

الوجه الثالث: لو فرض أن بينهما تناقضًا في حق المخلوق، فإنه لا يلزم وجود التناقض في حق الخالق، لماذا؟ لأن الله ليس كمثلته شيء فلا يقاس بخلقه، فما كان ممتنعًا في حق المخلوق لا يلزم أن يكون ممتنعًا في حق الخالق، وما كان ممتنعًا في حق الخالق لا يلزم أن يكون ممتنعًا في حق المخلوق، ألستم تعلمون أن الله لا تأخذه سنةٌ ولا نوم، والمخلوق تأخذه السنّة والنوم. وما أكثر ما تأخذه السنّة في مكان الدرس، أما الله فلا.

تعلمون أن الإنسان لا يليق أن يتصف بالتكبر، والله تعالى موصوف به وهو من كماله، فالحاصل أنه لا يلزم مما يكون ممتنعًا شرعًا أو قدرًا في حق المخلوق أن يكون ممتنعًا في حق الخالق، وكذلك بالعكس. وسبق لنا أن المعية عامة وخاصة بوصف، وخاصة بشخص، وتكون أيضًا للتهديد.

ثم قال: **(ونؤمن بما أخبر به عنه رسوله ﷺ أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر) أو الأخير. (نؤمن) بقلوبنا، ونعتقد ذلك، وأنه حق على حقيقته؛ لأن نبيه محمد ﷺ وهو أعلم الناس به، وأصدق الناس خبرًا، وأحسن الناس حديثًا.**

(أخبر به) عن ربه بأنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر.

(ينزل) الفعل مضاف إلى الله، فيكون ينزل هو (بنفسه)، ولا حاجة إلى أن نقول (بذاته) - كما قلت لكم قبل قليل - لأن كل فعل أضافه الله إلى نفسه فهو منسوبٌ إليه نفسه، ينزل إلى السماء الدنيا. (الدنيا) يعني القربى من الناس، وهي أسفل السماوات. ينزل جل وعلا نزولًا يليق به سبحانه وتعالى، لا يمكن أن نتصور كلفيته، ولو حاول الإنسان أن يتصور كلفيته لأنكره، ولهذا الذين حاولوا أن يتصوروا الكيفية أنكروه، وقالوا: (كيف نؤمن بأنه عالٍ ثم ينزل إلى السماء الدنيا؟ هذا مستحيل).

فنقول: لا تحاول أن تتصور الكيفية؛ لأنه نزول يليق به ولا ينافي كماله، والصحابة رضي الله عنهم لما حدثهم الرسول ﷺ بأنه ينزل إلى السماء الدنيا هل قالوا: كيف ينزل يا رسول الله؟ ما قالوا هذا، هل هم أغبياء لا يعرفون؟! بل يعرفون، لكن عندهم من الأدب مع الله ورسوله ما منعهم أن يسألوا كيف ينزل، عندهم أدب يؤمنون بأنه عز وجل ينزل، وبذلك يكون أقرب إلى العباد حين يبقى ثلث الليل الآخر.

(فيقول: من يدعوني فأستجيب له) بعض المتحذلقين المتعلمين قالوا: إنه يلزم من هذا أن يكون الله دائمًا نازلًا في السماء الدنيا؛ لأن ثلث الليل الأخير دائمًا موجود، يدور على الأرض، أليس كذلك؟ فيلزم أن يكون دائمًا في السماء الدنيا!! نقول: ما أجهلكم بالله وصفاته عز وجل!!، هل تعتقدون أن الله يخفى عليه ذلك حينما أخبر نبيُّه عنه بأنه يقول: كذا وأقره الله عليه!؟،

إن قالوا: نعم، فقد كفروا، وهؤلاء لا كلام معهم.

وإن قالوا: بلى نقول: آمنوا بالنص كما جاء، وقل: متى كان ثلث الليل الآخر على وجه الأرض فالنزول الإلهي موجود، ومتى طلع الفجر فهو معدوم.

أنا مثلًا في هذه الجهة من الأرض أعرف متى يكون ثلث الليل الآخر، ومتى يطلع الفجر، أو من بأنه في هذا الوقت النزول الإلهي بالنسبة لهذا الوجه من الأرض ثابت، وبالنسبة للذين عندهم نهار أو عندهم ليل لم يصل إلى الثلث معدوم. والرب عز وجل لا يقاس بالخلق، آمن بأمور الغيب على ما جاءت ولا تكلف نفسك في شيء يُوجب لك أن تُنكر ما ثبت.

ينزل ربنا فيقول: -استمع تعرض الرب عز وجل للكرم والعتاء والنعمة والفضل- (من يدعوني فأستجيب له؟).

(مَنْ): اسم استفهام يدلُّ على التشجيع والتشويق، (من يدعوني فأستجيب له؟) يدعوني يقول: (يا رب)، هذا الدعاء. (من يسألني فأعطيته؟) مثل: (أسألك الجنة).

(من يستغفربي) فيقول: يا رب اغفر لي، (فأغفر له).

فذكر الله سبحانه وتعالى ما يزُول به السوء وما يحصل به المطلوب:

ما يزُول به السوء في قوله: (من يستغفربي)؛ لأن الذنوب سبب للسوء، فإذا غُفرت زال الأثر.

وما يحصل به المطلوب في قوله: [من يسألني فأعطيته]³⁷¹.

أما (يا رب) فهو دعاء الرب عز وجل لظهور الافتقار إليه قبل أن يقول: يا رب اغفر لي، أو يا رب أعطني، هكذا جاء الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام.

وكان في الثلث الأخير من الليل لأنه ألدُّ ما يكون من النوم، فيهجر المرء فراشه، ويقوم إلى ربه، يتعرض لفضله وكرمه، ولهذا كان هذا الجزاء أن الله تعالى يستجيب له إذا دعاه، ويعطيته إذا سأله، ويغفر له إذا استغفره.

وقول السلف وأئمة أهل السنة: أن هذا النزول حقيقي، وأن هذا القول حقيقي، وأن الاستجابة والإعطاء والمغفرة كلها حقيقة، موصوف بها الرب عز وجل.

وانحرف من انحرف من الناس وقال: إن الذي ينزل هو أمر الله إلى السماء!، وتحذلق آخر وقال: الذي تنزل الرحمة!،

وتحذلق ثالث وقال: الذي ينزل ملك من الملائكة ولكن الله أضافه إلى نفسه؛ لأن هذا ملك نزل بأمره وهو كقوله: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} ³⁷²!!

وسبب ذلك أنهم ظنوا أن نزول الرب عز وجل كنزول المخلوق، فقالوا: (إذا نزل لزم أن لا يكون عالياً، ولزم أن السماء تقله، وأن الثانية فما فوقها تظله، وهذا مستحيل على الله)، فيقولون لنا: (يا جماعة لا تظنوا أن نعتقد بالله ما لا يليق به، اتقوا الله)، فيخوفوننا بالله إذا قلنا بأنه ينزل نفسه، ويقولون: (اتقوا ربكم، السماء الدنيا تقله، والثانية وما فوقها تظله، وعلوه المطلق العام في كل وقت وأن يفوت إذا نزل، فاتقوا ربكم)، فيأتون إلى العامي المسكين ويقول مثل هذا الكلام ثم يقول: (استغفر الله وأتوب إليه، الحق ما قلت أنه ينزل أمره أو رحمته أو ملكه!!).

هكذا أدى بهم التصور الفاسد إلى تحريف النص، لكن لو قالوا: نحن لا يمكن أن ندرك صفات ربنا عز وجل أي لا ندرك كيفيةها وكيفية ونقول كما قال الرسول عليه السلام، ونقول كما قال الصحابة: سمعنا وأمنا وصدقنا. ولا نتجاوز هذا، ما لنا أن نقول: كيف ينزل؟ وكيف السماء تقله أو تظله؟ هذا شي مستحيل.

نحن معكم أنه مستحيل، لكن هل هذا لازم بالنسبة لصفات الله؟ أبداً غير لازم.

ثم نقول: إذا قلت إن الذي ينزل (أمره) فقد كذبت القرآن؛ لأن الله يقول: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ} ³⁷³، فمنتهى الأمر هو الأرض، وأنتم جعلتم منتهى الأمر هو السماء الدنيا.

³⁷¹ أخرجه البخاري في صحيحه (1145، 6321، 7494)، ومسلم في صحيحه (758).

³⁷² سورة القيامة، آية (18).

³⁷³ سورة السجدة آية (5)

وإذا قلت: الذي ينزل (الرحمة)، فما فائدتنا نحن من رحمة لا تصل إلينا؟ بل تقف عند السماء الدنيا، ما الفائدة حتى يحثنا الرسول عليه الصلاة والسلام بهذا الأسلوب؟! وإذا قلت: إنه (مَلَك) فهل يمكن لأي أحد من المخلوقين أن يقول -وباسم الله-: (من يدعوني فأستجيب له)؟ هل يمكن أن ينطق الملك بهذا؟ أبدًا، لا يمكن، وأيضا في بعض ألفاظ الحديث: **[من ذا الذي يسأل عن عبادي غيري؟ من يدعوني فأستجيب له؟]**³⁷⁴ فهل هذا يمكن أن يقع من ملك؟!

إذا يا إخواني أنا أحذركم ثم أحذركم أن تخالفوا ظاهر النصوص، لكن إذا كانت عقولكم لا تدرك هذا بالنسبة لله، فصدقوا على ما أراد الله. نحن نعلم أن يوم القيامة تدنو الشمس من الخلائق قدر ميل، ويعرق الناس حتى يصل العرق في بعض الناس إلى رأسه، وهم في موقف واحد، هل هذا يعقل في الدنيا؟ لا يعقل في الدنيا، لكن أمور الآخرة وأمور الغيب فوق ما نتصور، ولم يخبرنا الله تعالى من أمور الغيب إلا بما يمكن أن نحيط به، أما ما لا يمكن فقد أخفاه، لا نعلمه نحن. خلاصة القول: أننا نؤمن بأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: **[من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفري فأغفر له؟]** إلى أن يطلع الفجر. هذه خلاصة هذه الجملة من العقيدة.

قال: **(ونؤمن أن الله سبحانه وتعالى يأتي يوم المعاد للفصل بين العباد).** نؤمن بذلك، نصدق ونجزم به وكأننا نشاهده رأي العين؛ لأن الله تعالى أخبرنا بذلك، وثقتنا بما أخبر الله أبليغ من ثقتنا بما نراه لأن أعيننا قد ترى المتحرك ساكنا، والساكن متحركًا، والأسود أبيضًا أو بالعكس، لكن ما أخبر الله به فإنه حق. يأتي يوم المعاد للفصل بين العباد، فما الدليل على هذه الصفة؟ الدليل: قول الله تعالى: **{كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا}**³⁷⁵، تُدك حتى لا يبقى عليها حجر ولا جبال ولا أودية، تدك فيذرها قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا.

{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}³⁷⁶، الخطاب للرسول ﷺ أو لكل من يتأتى خطابه، **{وَجَاءَ رَبُّكَ}** -يعني بعد دك الأرض- فما المراد بقوله: **{وَجَاءَ رَبُّكَ}**؟ القاعدة أننا نؤمن بالنصوص على ظاهرها ونقول: **{جَاءَ رَبُّكَ}** أي: جاء الله نفسه، **{وَالْمَلَكُ}**: المراد به الجنس، فيشمل جميع الملائكة؛ لأن الذي ورد أن ملائكة السماء الدنيا تنزل وتحيط بالخلق، ثم ملائكة السماء الثانية تحيط بالجميع، ثم الثالثة، وكلما اتسعت الدائرة كان العدد أكثر، وهكذا السماوات الآن أهل السماوات الثانية أكثر من الأولى، والثالثة أكثر من الثانية، وهلم جرا، وذلك لأن السماوات كلما ارتفعت اتسعت. **{وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}**، هذه حال من (الملك) يعني الملائكة تأتي صفوفًا صفوفًا، أهل السماء الدنيا ثم الثانية ثم الثالثة، فتكون الصفوف سبعة.

³⁷⁴ أخرجه ابن في سننه (1133)، قال الألباني بأنه صحيح.

³⁷⁵ سورة الفجر آية (21).

³⁷⁶ سورة الفجر آية (22).

{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} ³⁷⁷ يعني بالنار، -أعاذني الله وإياكم منها- ومن الذي يجيء بها؟ يُجاء بها تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام يقوده سبعون ألف ملك، وما أقوى الملائكة، لا يعلم مدى قوتهم إلا الله عز وجل، فتأتي هذه النار بسبعين ألف زمام، كل زمام يقوده سبعون ألف ملك، يؤتى بها وحينئذٍ تفر القلوب، تطلع على الأفئدة، تصل إلى قاع القلب: هيبتها وخوفها، وكل إنسان يخاف لأن الإنسان لا يدري ما مصيره؟ حتى الآن ما تبين الأمر.

{يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ} ³⁷⁸ لكن هل ينفعه التذکر ذلك اليوم؟! لا، ولهذا قال: {وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى}! ³⁷⁹ يعني ما أبعد الذکر له، انتهت الذکرى، الذکرى تنفع في الدنيا قبل حلول الأجل، أما بعد حلول الأجل لا توجد ذکرى يوم القيامة، لكن يتذکر الإنسان يوم القيامة يقول: صدق الله ورسوله، {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} ³⁸⁰ لكن لا تنفع.

في هذه الآيات الكريمة:

إثبات مجيء الله عز وجل، وكما قلنا قبل قليل، ونقوله وسنقوله إلى أن تلقى الله عز وجل: "أن كل ما أضافه الله إلى نفسه فهو ثابت له لا لغيره"، نقول: إن في هذه الآيات إثبات مجيء الله حقًا، ولكن على أي كيفية؟ الله أعلم، أخبرنا الله بأنه يجيء، ولم يخبرنا كيف يجيء؟ فعلينا بالسمع والطاعة والأدب مع الله، أن نقول: يجيء على وجه يليق بجلاله وعظمته، ولا نعرف عن كيفيته شيئًا.

إذن يجيء حقًا، نؤمن بذلك، هل يجيء مثلاً بسرعة أو ببطء؟ لا ندري.

في بعض الأحيان نعلم كيف يجيء، كما قال في الحديث: [من أتاني يمشي أتيته هرولة] ³⁸¹ لكن يوم القيامة ما ذكر هذا، لا ندري هل يأتي هرولة أو يأتي مشيًا أو يأتي على أي صفة، لا ندري. نؤمن بأنه يجيء عز وجل حقًا.

سؤال: الملائكة تجيء أو لا تجيء؟ الجواب: تجيء، كيف تجيء؟ الله أعلم، لكن نعلم أنها تأتي صفا صفاً. أما كيف؟ لا ندري، والله أعلم؛ لأن هذه أمور غيبية لا تدركها العقول، ولا يدخلها القياس، فعلينا أن نؤمن بها كما جاءت، ونقول: هذا ما قال الله ورسوله، وعلينا أن نصدق، وعلينا أن نتأدب مع الله، وأن لا نتكلم بما لم نكلف به.

وانظروا -يا إخواني- الصحابة رضي الله عنهم، والله ما نحن أشد منهم حبًا للعلم، ولا أشد تعظيمًا لله ورسوله، ومع ذلك لا يقولون للرسول ﷺ إذا حدث بشيء من هذا، لا يسألون عن كيفيته، ولا يقولون: هذا تستبعده عقولنا فلا نصدق به، بل يقولون: سمعنا وأطعنا.

الآن والله لو تقرأ مثل هذه الآيات والأحاديث عند عجوز من الناس تجدها ترتعد من خشية الله، تؤمن بأن هذا حق، وأن الله يجيء حقًا؛ ولهذا صرّح كثيرا من كبار المتكلمين: أنهم يموتون على دين العجائز، لماذا؟ لأنهم عرفوا أنهم يسيرون تائبين فيما يسيرون به فيما يدعونه عقلاً، وأن السلامة التصديق بدون التعرض لأي شيء.

³⁷⁷ سورة الفجر آية (23).

³⁷⁸ سورة الفجر آية (23).

³⁷⁹ سورة الفجر آية (23).

³⁸⁰ سورة يس آية (52).

³⁸¹ أخرجه البخاري في صحيحه (7537)، ومسلم في صحيحه (2675).

لو كانت عقولنا تدرك ما في هذه الآيات وغيرها من الحقائق لبينه الله لنا، ولكن برحمته أخفاه عنا حتى نكون مدعين تمامًا بالخبر، ولو كان الإنسان لا يصدق بالخبر إلا ما أدركه عقله لكان الحق تابعًا للأهواء {وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ} ³⁸²

أرجو-يا إخواني- من هنا وفي بلادكم أن تبصروا الناس بهذه الأمور، وأن تقولوا: أمور الغيب لا يوجد فيها قياس، وما يتعلق بالباري لا يمكن أن يقاس بخلقه أبدًا، آمنوا بهذا، مثلاً: جهنم يُؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام، هل نحن الآن نعرف كيف تقاد هذه الأزرمة؟ هل نعرف غلاظتها؟ قوتها؟ لا ندري. قد يكون الزمام أمتن من ألف متر لا ندري، لكن نؤمن أنها تُقاد بأزرمة، كل زمام ليس يقوده واحد، قد يقول قائل: كيف يُؤتى بها في الأرض وهي بهذه الصفة؟ نقول: يا أخي آمن بهذا، أولاً صدق، وإذا صدقت سهل عليك الأمر، أما أن تعرض النصوص على عقلك إن أقر بها صدقت وإلا أولت أو كذبت، هذا غير صحيح فأنت لست عبدًا لله!! أنت عبد لهواك، -ولا قياس في أمور الغيب-، أكرر عليكم هذا حتى تسلموا في عقيدتكم وتسلموا غيركم على أيديكم إن شاء الله تعالى.

وأهم شيء تمام الاستسلام لله، فعلاً للمطلوب وتصديقاً بالخبر، هذا أهم شيء، لو أردنا نفتح باب العقل لقال قائل: لماذا فرضت علينا خمس صلوات؟ لماذا لم تكن عشر أو ثلاث أو اثنتين في الصباح وتالي النهار؟ لا ينفذ ذلك؛ هذه أمور لا يمكن أن يدركها العقل فعلياً أن نسلم، حتى نكون مسلمين لله حقاً. أسأل الله لي ولكم السلامة.

-الدرس الثامن عشر-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

مسائل للفائدة

سؤال: يقول بعض العامة عبارة ليس فيها أدب مع الله: (إن الله موجود في كل موجود)؟!

الجواب: نقول لهؤلاء العامة: موجود في كل موجود يعني يعلم كل موجود، يجب أن نبليغ العامة ونقول: إن الله استوى على العرش فوق، لكنه موجود في كل وجود يعلم كل موجود.

أولاً: يجب أن نقلع هذه العبارة من ألسنتهم (موجود في كل موجود)، يجب أن نطهر ألسنتهم منها، وهذا يحتاج إلى وقت إذا كانوا معتادين عليها، عندنا -الحمد لله- في بلادنا لا يوجد هذا الكلام، لكن يمكن أن يوجد عندكم من بقايا صوفية وما أشبهه.

على كل حال يمكن يوجد، الصوفي يقول: إنك ترى الله في الشاب الجميل!، موجود هذا، ولذلك تجد بعض كبرائهم أكثر من حولهم المردان الجميلين، يقول لأن الله بهذه الصورة -أعوذ بالله-، فربما يكون عندهم هذه البقايا من الصوفية: (إن الله موجود في كل موجود)، هذه لا يجوز أن تقولها لكن قل: (إن الله بكل شيء عليم، وبكل شيء محيط) فقط.

سؤال: شيخنا في بعض الأحاديث يقول: إن النزول يكون في الثلث الأول من الليل، والبعض يقول: في الثلث الأخير، كيف نجتمع بينهما؟!

الجواب: في بعض الأحاديث الثلث الأوسط، وفي بعض الأحاديث الثلث الأخير، الثلث الأوسط هو الذي يطابق قول الرسول عليه الصلاة والسلام: [أفضل القيام قيام داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه]³⁸³، وكذلك النبي عليه الصلاة والسلام كثيراً ما ينام في آخر الليل، يقوم ثلث الليل، وينام السدس الأخير كما قالت عائشة: [ما ألفيته سحرًا إلا نائمًا]³⁸⁴، فهذا الذي يقول أوسط يكون ابتداء النزول من النصف فيحمل الحديثان -لأن كليهما صحيح- على أن النزول الإلهي إما أنه من النصف إلى آخر الليل للجمع بين الحديثين في المقدار، أو يقال: إن الرب عز وجل ينزل مرة في ثلث الليل الأوسط ومرة في ثلث الليل الأخير.

سؤال: هل يجوز أن يكون يا شيخ في أوسط الليل أن الله سبحانه وتعالى يرسل ملائكته أولًا؟
الجواب: لا، أبدًا، بل ينزل هو.

سؤال: يا شيخ في أنواع المعية أخذنا إما أن تكون إحاطة وتهديد، أو نصرًا وتأييد، والنصر والتأييد قلنا إما لوصف أو لشخص، لكن نحن أخذنا أن الله عز وجل أحكامه دائمًا ترتبط بالصفات لا ترتبط بشخص معين لذاته، فالنصر والتأييد عندما قسمناه وصف وشخص، قد يفهم البعض أن الله عز وجل نصر هذا لعينه.

الجواب: لا، نحن قيدها بالأمثلة، قلنا: مثل قوله تعالى لموسى وهارون، وقوله لنبيه، حتى أيضًا معيته الخاصة بالشخص في موسى وهارون ومحمد لصفته.

سؤال: إذا كلها وصف؟

الجواب: لا، فرق بين وصف في شخص معين، ووصف مطلق.

³⁸³ أخرجه البخاري في صحيحه (3420) بلفظ: (وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه).

³⁸⁴ إسناده صحيح على شرط الشيخين وجاء بلفظ: (ما ألفيته بالسحر الآخر إلا نائمًا عندي).

سؤال: هل إذا نزل الله إلى السماء الدنيا يخلو منه العرش أم لا؟

الجواب: نقول أما أدبيًا فلا تبحث عن هذا. وأنا أقول لمن سألتني: أنت مبتدع، ما أراك إلا مبتدعا، واحمد ربك أي أذنت لك أن تبقى في الدرس وإلا لطرديك كما طرد مالك من سأل عن كيفية الاستواء؛ لأن الصحابة لما حدثهم الرسول ﷺ بهذا، هل قالوا: يا رسول الله هل يخلو منه العرش أو لا؟! وأنا أعجب أن يتكلم شيخ الإسلام رحمه الله بمثل هذا ويبحث، لكن شيخ الإسلام مضطر إلى البحث في هذا؛ لأن الناس تكلموا فيه، والتبعية على من تكلم به أولاً، وإلا لا تجد حرفاً واحداً أن أحداً من الصحابة قال: هل يخلو منه العرش أو لا؟ وهل نحن مكلفون بعلم هذا؟!، لو كنا مكلفين به لعلمنا الله إياه أو رسوله، فالسكوت هذا هو الواجب، لكن إذا ابتلينا فنقول: إن للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال:

القول الأول: يخلو منه العرش.

والقول الثاني: لا يخلو منه.

والقول الثالث: التوقف، نقول الله أعلم.

وشيخ الإسلام يميل إلى أن العرش لا يخلو منه لأن الله ذكر الاستواء ولم يستثن وقتاً من الأوقات، وقال: إن الجمع بين الاستواء والنزول بالنسبة لله عز وجل ممكن، وإن كان بالنسبة للمخلوق غير ممكن؛ لأن المخلوق محدود إذا انشغلت به جهة خلت منه الجهة الأخرى، أما الرب عز وجل فلا يقاس بالخلق، لكنني أرى أصلاً أن يطهر الإنسان عن هذا الإيراد من الأصل.

سؤال: شيخنا هل صحيح أن صفات الله لا يطلق عليها كامل أو ناقص؟

الجواب: لا، هو من المعلوم أن كل وصف يتصف الله به هو كامل، بل ليس كاملاً، بل هو الأكمل؛ لأن الله قال: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ} ³⁸⁵، أي الوصف الأعلى، أما بالنسبة للمكر والخداع والاستهزاء والكيد فهذا في موضعه كمال؛ ولهذا لا يوصف الله به على الإطلاق، يوصف الله به في مقابلة من عامل الله به، يقول الله عز وجل: {وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ مَّا يَكُرُونَ} ³⁸⁶، فكون الله أشد مكرًا منهم هذه صفة كمال، الآن -ولله المثل الأعلى- لو مكر بك عدوك وكنت أنت أعظم منه مكرًا هل هذا كمال أم نقص؟!، كمال، ولهذا يقال "الحرب خدعة"، وذكروا أن علي بن أبي طالب لما أراد أن يبارزه عمرو بن وُد -المبارزة تعرفونها- إذا التقى الصفان نادى بعضهم بعضًا: من يبارز؟ من أجل أن تنكسر قلوب المهزومين في المبارزة قبل ابتداء الحرب، فبارزه عمرو بن ود، لما خرج عمرو بن ود من صفه صرخ علي بن أبي طالب: ما خرجت لأبارز رجلين، فظن عمرو بن ود أنه تبعه آخر من جنده، فالتفت وإذا السيف برقبتة، هذا مكر أم غير مكر؟! مكر، لكن مكر محمود؛ لأن عمرو بن ود ما خرج إلا ليقتل علي بن أبي طالب {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا} ³⁸⁷، في المقابل {إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ

³⁸⁵ سورة النحل، الآية (60).

³⁸⁶ سورة الأنفال، الآية (30).

³⁸⁷ سورة الطارق، الآيات (15 - 16).

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ...﴾³⁸⁸، لأنهم يستهزءون بالإيمان بالله، {يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ...}³⁸⁹، لكن انظر قوله تعالى: {أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا}³⁹⁰، ما قال فأنا أكيدهم؛ لأنه لم يذكر من يكيدون به، فهم يكيدون كيدًا بالرسول عليه الصلاة والسلام، {فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ}³⁹¹، ولم يقل أكيد بهم، فالحاصل أن من الصفات التي يتصف الله بها ما لا يوصف بها وصفًا مطلقًا، بل لا يوصف إلا مقيدًا بالمقابلة، حتى يتبين أن الله أعلى وأعظم من هؤلاء.

سؤال: هل تثبت لله عز وجل صفة الهرولة، أم يقال: أنها كناية عن سرعة الإجابة؟

الجواب: يا رجل، من الذي قال: [ومن أتاني يمشي أتيته هرولة]؟

الطالب: النبي ﷺ عن الله.

الشيخ: الذي قال عن نفسه: (أتيته هرولة)، تقول أنت: لا تأتي هرولة؟! أجب.

الطالب: لا، لا يقال.

الشيخ: لا يقال.

هل قال الصحابة: يا رسول الله الهرولة حقيقة أو كناية عن سرعة الإجابة!!

فإذا قال الله ورسوله شيئًا، فلا تكلف نفسك، قل آمنت بالله، ولا تقل: كيف يأتي هرولة؟ ولكن الحديث الذي أشرت إليه فيه للعلماء قولان:

القول الأول: أنه على ظاهره ونقول: هي هرولة يأتي الله عليها على ما أراد، ومن يأتي يوم القيامة فسيأتي على صفة ما: إما هرولة وإما مشي، أو على أي صفة، فكذلك إذا أخبرنا الرسول ﷺ بأنه يأتي هرولة فهو يأتي هرولة، والله أعلم.

القول الثاني: ومنهم من قال: إن هذا من باب بيان أن الله سبحانه وتعالى أسرع إلى عبده من عبده إليه، وقال: إن في الحديث ظاهرًا يدل على ذلك وهو قوله: [من أتاني يمشي]، فإن إتيان الإنسان لله يمشي ليس كل عبادة فيها مشي، يعني لو قدرنا مثلًا: أن الحج فيه مشي، يسعى الإنسان من بلده إلى مكة، وأن في بعض عبادات المناسك ما هو مشي: كالطواف والسعي، ممكن هذا، فإن الغالب أن العبادات ليس فيها مشي، الإنسان أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد، ومع ذلك هو ساجد، ما كثر، ففي الحديث قولان:

قول: أننا نجريه على ظاهره، ونقول كما قال الرسول ﷺ عن ربه، ونسكت.

والقول الثاني: نؤوله بناءً على أن فيه قرينةً تدل على هذا التأويل.

³⁸⁸ سورة البقرة، الآيات (14 - 15).

³⁸⁹ سورة النساء، الآية (142).

³⁹⁰ سورة الطور، الآية (42).

³⁹¹ سورة الطور، الآية (42).

سؤال: أحسن الله إليك، أولاً: قوله تعالى: {وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}³⁹²، ابن القيم في [الصواعق] رحمه الله تعالى يطلق صفة المكر لله تبارك وتعالى بهذه الآية: {وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}.

ثانياً: عندنا بعض المشايخ - أحسن الله إليك - في الجامعة لما ذكرنا الصفات المقيدة كالمكر والخداع، الله يقول: {..وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى}³⁹³، المثل هو الصفة، فلا بد أن يكون مثل: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}..³⁹⁴، لهذا ما قلنا (المتكلم) و(المريد) وغيرها، فقال بعض المشايخ نقول: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ}³⁹⁵، نقرأها ولكن لا نقول: إنها صفة لله لأنها فيها نص كما تفضلتم يا شيخ. فما الجواب على ذلك؟

الجواب: أما قوله: {وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} فإن هذه الصفة ليست وصف (المحال)، بل وصف شدة المحال في محله، يعني إذا كان المحال صفة كمال فهو شديدها عز وجل مثل قوله: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ}، وقوله: {قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا}³⁹⁶، فلا إشكال فيه؛ لأن هذه صفة لصفة، (شديد المحال) فهو وصف للصفة التي هي (المحال)، والمحال ذكرنا أنه لا يوصف به على الإطلاق.

الطالب: أحسن الله إليك ابن القيم ثرب على الذين قالوا أنتم أهل السنة تقولون نثبتها من جهة كمال فقط، فقال ابن القيم: قد ثبتت مطلقاً وذكر هذه الآية.

الشيخ: لا، فيه نظر، لأن نفس الكلمة التي قبلها في الآية: {وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}، مجادلتهم في الله، لا شك أنهم يتحيلون بكل ما يستطيعون من تحقيق قوله، ولا بد أن يكون فيه مكر، - وإن شاء الله تريني النص في هذا لابن القيم -.

الطالب: والقول الثاني يا شيخ؟ ينسبونه لابن تيمية؟!

الشيخ: أما القول الثاني فهذا ليس بصحيح، أبداً.

أولاً: من ادعى نسبة شيء إلى شيء فليأت بالدليل، نطالبه بصحة النقل، ثم إذا قالها شيخ الإسلام لا بد أن يكون هناك قرائن تدل على أنه قيدها بشيء؛ لأن المعروف من حال شيخ الإسلام أنه يتقيد بما جاءت به السنة أو القرآن، لكنه ليس بمعصوم فلا بد أن يكون قبل هذا كلام موطن لها أو كلام متأخر مؤيد لها.

الطالب: (الحسنى) و(الأعلى) يا شيخ كيف؟!

الشيخ: يعني معناها واضح، أن (الحسنى) اسم تفضيل.

³⁹² سورة الرعد، الآية (13).

³⁹³ سورة النحل، الآية (60).

³⁹⁴ سورة الأعراف، الآية (180).

³⁹⁵ سورة الأنفال، الآية (30).

³⁹⁶ سورة يونس، الآية (21).

الطالب: أنا فاهم، لكن لماذا (المتكلم) و(المريد) ما جعلناهما من أسماء الله و(المكر) مع أنها نفس الشبهة يا شيخ، (المتكلم) ما جعلناه من أسماء الله، و(المكر) جعلناه؟

الشيخ: المكر يظهر به الأعداء مظهر القوي، فيحتاج إلى أن يرد عليهم بما هو أقوى، والكلام مطلق - كما تعرف - ليس على كل حال، قد يكون الكلام قوي ورديء، بليغ أو غير بليغ، حسن أو غير حسن، فلذلك لم يوصف الله بالمتكلم على الإطلاق لكن يخبر عنه بأنه متكلم.

تحقيق العقيدة أهم عندي من كل شيء، يعني لو لم تستفيدوا من هذه الإجازة إلا بعض الأشياء التي في قلوب بعض الناس لأنه يقرر عليهم أشياء خلاف مذهب أهل السنة، وكما قلت لكم وأنا أحرص بقدر ما أستطيع أن يكون تقريرتي أيضاً في باب العقيدة لقواعد؛ لأن الكلام على كل صفة بمفردها يطول، لكن أحب أن يكون لدينا قواعد مهمة، وأن نعرف أن طريق الصحابة رضي الله عنهم وأئمة الأمة بعدهم هو الأدب مع الله ومع رسوله.

سؤال: أحسن الله إليك، هل يصح أن يقال: إن صفة النزول مثل الكلام، أنها صفة فعلية؟

الجواب: هو أولاً: لا بد أن نعلم أن كل شيء يتعلق بإرادته ومشيئته فهو صفة فعلية، وأن الفعل جنس يدخل تحته أنواع، والأنواع يدخل تحتها آحاد، فمثلاً الفعل جنس يدخل فيه: الكلام، النزول، الاستواء، الرزق، الإحياء، الإمامة، هو جنس يشمل كل فعل يصدر من الله عز وجل، هذا الجنس يكون فيه أنواع: الكلام أنواع: خبر، استخبار، أمر، نهي. هذه الأنواع أيضاً لها آحاد: (أقيموا الصلاة) هذا واحد، (آتوا الزكاة) هذا واحد، وكله أمر. فصفت الأفعال واسعة لا نحصرها.

سؤال: شيخ هل يصح أن نقول: الصفة التي يسمى بها الله عز وجل هي صفة ذاتية، يعني كل الصفات المستخرجة من الأسماء هي صفات ذاتية، هل يمكن هذا؟

الجواب: الآن ما أستطيع أن أجيب عن هذا يحتاج إلى تأمل؛ لأن الخالق منه صفة الخلق، والخلق صفة فعلية.

سؤال: هل يرد على الذين أنكروا بعض الصفات بأمور عقلية مثل الذين أنكروا النزول وقالوا: أنه يلزم من هذا خلو الله من العرش يقال لهم: أنكم لا تستطيعون أن تدركوا بعض الأمور الواقعة الآن، فلو حدثوا قبل -مثلاً- حصول هذه الأجهزة مثل التليفونات قبل حصولها لأنكروها؛ لأنهم لم يدركوها، فيقال: ما دام إن هذه الأمور ما أدركتموها قبل وقوعها فكذلك الله عز وجل لا يمكن أن تدركوا صفاته على الحقيقة.

الجواب: هو ما في شك يعني كون الإنسان لا يدرك ما كان خبراً سواءً حاضراً أو مستقبلاً، هذا أمر واقع، يعني لو قيل لنا: إن إنسانا يكتب كتاب في أمريكا مثلاً ويرسل كتاب بلحظة إلى هنا في القصيم، هذا ما يصير، ما الذي يحضره؟! كيف يطير؟!!

أمامه جبال وأمامه دور وأمامه أشجار كيف يجيء؟! هذا ما يصير، ما يصدق، كذلك أيضاً لما قالها بعض الناس: {قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ} يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٠﴾ أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥١﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٢﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ {قربنه رءاه في سواء الجحيم}، يعني من يصدق أن هذا في أعلى عليين، وهذا في أسفل السافلين ويخاطبه؟! الآن وقع من صنع الأدمي توجد تليفونات الآن يرى المتكلم فيها صاحبه ويخاطبه، بل يعقدون مؤتمرات وندوات على هذا، يضعون شاشة كبيرة وتخرج الناس فيها، هذا في ألمانيا وهذا في أمريكا وهذا في باريس وهذا في لندن، من يصدق؟!

على كل حال أهم شيء أنا نقول: الرب عز وجل شأنه عظيم، كبير فوق ما نتصور، لا يمكن أن نقيس صفاته بصفاتنا بوجه من الوجوه، الرب يجب أن يكون في القلب تعظيم له لا يساوي أي تعظيم، ولا يساويه أي تعظيم.

ليست المسألة قياسية حتى تقول مثلاً: هكذا وهكذا كأنما -نسأل الله العافية- تُشْرَحُ الله عز وجل، ما لون أصابعه؟ وهل له أظفار؟ هل له شعر؟! أعوذ بالله نسأل الله العافية، المسألة ليست هينة يا إخوان في جانب الربوبية ليست هينة، هل أحد يخلق مثل نجم من النجوم أو شمس من الشمس؟! أرسلوا أقماراً صناعية إلى ما لا نهاية له، وعجزت أن تمكث ولا خمسين سنة، لا تحاولوا أن تقيسوا الخالق بالمخلوق بأي حال من الأحوال، من نحن؟! خلق الإنسان ضعيفاً، عليه أن يصدق بما بلغه وأن يعرض عما لم يبلغه، هذا الواجب يا إخوان ولو حاولتم سوى ذلك ستضلون.

نقول إن دل عليه دليل صحيح فهو متعين ومحمود، أما التحريف فمذموم مطلقاً فما هو الفرق؟

إذا استند التأويل إلى دليل صحيح شرعاً فهو حق، ولكننا نقول: ليس هذا تأويلاً في الواقع، بل هو تفسير، وأن ما زعم أن الظاهر فيه خلافه فهو كذب، وأما إذا لم يدل عليه دليل فلا يصح أن نسميه تأويلاً؛ ولهذا نرى أن من سمو أنفسهم أهل التأويل أنه غير صحيح لكن تسموا بأهل التأويل لتطبيقاً للمنهج الذي يسلكونه، وأحق ما يوصفون به أن يقال: هم أهل تحريف.

مثلاً: قال قائل: إن قوله تعالى: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} ³⁹⁸ إذا قلنا المعنى: أنها تجري ونحن نراها بأعيننا فهذا تأويل، نقول: ما هو تأويل؛ لأن هذا التأويل بناءً على أنك فهمت أن السفينة تجري في جوف العين، وهذا فهم خاطئ، وليس هذا مثل الآية ولا تفيده الآية بأي حال من الأحوال، فأنت ادعيت أن هذا تأويل بناءً على فهمك، والباء في قوله: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} للمصاحبة، يعني تجري وأعيننا تصحبها، ومثل أيضاً أشياء كثيرة من هذا النوع ذكرنا منها طرفاً في كتابنا: (القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى).

³⁹⁷ سورة الصافات، الآيات (51-57).

³⁹⁸ سورة القمر، الآية (14).

-الدرس التاسع عشر-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

(وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ تَعَالَى **{فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ}**³⁹⁹).

ونؤمن بأن إرادته تعالى نوعان:

كونية: يقع بها مراده، ولا يلزم أن يكون محبوباً له، وهي التي بمعنى المشيئة كقوله تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}**⁴⁰⁰، **{إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ}**⁴⁰¹.

وشرعية: لا يلزم بها وقوع المراد، ولا يكون المراد فيها إلا محبوباً له، كقوله تعالى: **{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ}**⁴⁰².

ونؤمن بأن مراده الكوني والشرعي تابع لحكمته، فكل ما قضاه كوناً أو تعبد به خلقه شرعاً فإنه لحكمة، وعلى وفق الحكمة، سواء علمنا منها ما نعلم أو تقاصرت عقولنا عن ذلك **{أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}**⁴⁰³، **{وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}**⁴⁰⁴.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الآيات في الإرادة يقول: (ونؤمن بأنه تعالى **{فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ}**).

فكل ما أراده فعله عز وجل، لا يمتنع عليه شيء.

والمخلوق هل هو فعّال لما يريد؟ الجواب: لا، فقد يريد الشيء ويعجز عنه، وقد يريده مع القدرة ثم يحال بينه وبينه، فالمخلوق ليس فعّالاً لما يريد.

والرب عز وجل فعّالٌ لما يريد، كل ما أراده فعله.

³⁹⁹ سورة البروج، آية (16).

⁴⁰⁰ سورة البقرة، آية (253).

⁴⁰¹ سورة هود، آية (34).

⁴⁰² سورة النساء، آية (27).

⁴⁰³ سورة التين، آية (8).

⁴⁰⁴ سورة المائدة، آية (50).

وهل يُسأل عما فعل؟، قال الله تعالى: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} 405، ومعنى {لَا يُسْأَلُ}: أن كل ما فعله فهو لحكمة، فلا يحتاج أن تقول: أنت فعلته عبثاً، بل هو لحكمة، ولذلك لا يسأل عما يفعل، أما غيره من الفاعلين فإنه يُسأل لمَ فعلت هذا؟! قال: فعلته لكذا وكذا، وقد تكون هذه الغاية مذمومة.

إذا قال قائل: هذا بالنسبة لما لم يكن فيكون، هذا واضح، أي: يريد الشيء المعدوم فيكون، لكن إذا أراد أن يُعَدِم شيئاً فهل يصح أن نقول إنه فعال لما يريد؟! نقول: نعم، لأن الإعدام داخل في الفعل.

(ونؤمن بأن إرادته تعالى نوعان)، وهنا يقول قائل: ما الذي دلنا على أنها نوعان؟

الجواب: أن كثيراً من مثل هذا التعبير يدل عليه التتبع والاستقراء، يعني أننا تتبعنا آيات الإرادة فوجدناها لا تخرج عن هذين النوعين:

أولاً: إرادة كونية: يعني أراد هذا الشيء كوناً.

(يقع بها مراده، ولا يلزم أن يكون محبوباً) هذه الإرادة الكونية، فالإرادة الكونية يقع بها المراد ولا بد.

وهل يلزم أن يكون محبوباً؟ الجواب: لا، قد تكون فيما يحب وفيما لا يحب.

مثلاً:

-معاصي الإنسان، هل هي مرادةٌ لله كوناً؟ نعم، مرادةٌ كوناً. هل هي محبوبة؟ لا.

-الطاعات إذا فعلها العبد، هل هي مرادةٌ لله كوناً؟ نعم، وهل هي محبوبة؟ نعم محبوبة.

إذا الإرادة الكونية يقع بها المراد، ولا يمكن أن يتخلف؛ لأنه (فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ).

الإرادة الكونية لا يلزم أن يكون المراد بها محبوباً إلى الله عز وجل، فقد يريد ما لا يحب.

فإذا قال قائل: كيف يريد ما لا يحب، هل أحد يجبره؟! لأننا لا نرى أحداً يريد ما لا يحب إلا مع الإكراه؟

الجواب: قلنا: لا مُكْرَهَ له، لكن يريد ما لا يحب لمصلحة فوق كراهته لما يكره، يريد ما لا يحب لمصلحة تربو على مفسدة كونه يكرهه الله عز وجل.

مثلاً: كفر الكافرين مرادٌ لله عز وجل، ولولا ذلك لانتفت الحكمة من الخلق كله، قال الله تعالى: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ}**⁴⁰⁶، ولولا هذا الاختلاف لبطل الأمر والنهي، ولا يمكن أن يكون الأمر والنهي ساري المفعول مفيداً إلا باختلاف الناس إلى مؤمن وكافر وعاصٍ ومطيع، انظر إلى قول الله تبارك وتعالى: **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}**⁴⁰⁷، أي ولهذا الاختلاف خلقهم: **{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمَلَانٍ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}**⁴⁰⁸، ولولا أن الله خلقهم مختلفين ما تمت كلمة الله بملء جهنم من الجنة والناس أجمعين؛ لأنه لا يمكن أن يدخل النار من ليس من أهلها.

الإرادة الكونية يلزم بها وقوع المراد، ولا يلزم أن يكون محبوباً لله عز وجل؛ ولذلك نرى المعاصي تقع من بني آدم، الكفر يقع من بني آدم، وهو ليس محبوباً إلى الله، لكن هل وقع بإرادته أو بغير إرادته؟ الجواب: بإرادته.

أوردنا على هذا إشكالاً، وقلنا كيف يريد الله ما لا يحبه؟ هل لله مُكره؟ لا، إذًا كيف يريد ما لا يحبه؟!

الجواب: قلنا أنه يريد لمصلحة تزيد على كراهته له، أو على مفسدة كراهته له، ومن أعظم المصلحة ألا تفوت الحكمة في خلق الخلق، لولا هذا الاختلاف ما كان للخلق فائدة؛ لأنه لو كان الناس كلهم أمة واحدة هل يتميز المؤمن من الكافر؟ لا، لا يتميز، إذا كانوا كلهم مؤمنين إذًا كلهم مؤمنين، وإذا كانوا كلهم كافرين إذًا كلهم كافرين، لا يتميز المؤمن من الكافر إلا إذا كان أحدهم مؤمناً والآخر كافرًا. ثم لو كانوا على أمة واحدة وهي الدين، فأين أهل جهنم؟! يكون خلق جهنم عبثاً! بل وخلق الجنة عبثاً! لأنه إذا كانوا كلهم على منزلة واحدة فإنه ليس من المعقول أن يشذ واحد ويعصي. على كل حال، إرادة الله الكونية تكون فيما أحب وفيما كره.

ولما قال رجل من المعتزلة: (سبحان من تنزه عن الفحشاء)، ردًا على قول من يقول: إن المعاصي تقع بإرادة الله. والصحاب أن يقول: (سبحان من لا يأمر بالفحشاء)؛ لأن الله يقول: **{قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ}**⁴⁰⁹، أما (لا يريد) فهذا غلط، قال: سبحان من تنزه عن الفحشاء، يريد أن المعاصي تقع بغير إرادة الله.

قال له السني: (سبحان من لا يكون في ملكه إلا ما يشاء)!! وهذا رد دامغ عليه، ما دام الناس في ملك الله عز وجل فتقول إن المعاصي تقع بغير إرادته؛ إذن كان في ملكه ما لا يشاء!!

فقال المعتزلي: (أرأيت إن جنّبي الهدى، وقضى علي بالردى -أي بالهلاك- أحسن إلي أم أساء؟) هذا إيراد مفحم، يعني إذا منعني الله الهدى ولم أهتدي، وقضى علي الردى بالهلاك، أحسن إلي أم أساء؟ فهل يكون الجواب أنه أحسن إلي؟ هذا غير صحيح، فهل يقضي علي بالردى ويمنعني عن الهدى ويقال أحسن إلي؟!.

⁴⁰⁶ سورة التغابن، آية (2).

⁴⁰⁷ سورة هود، آية (119).

⁴⁰⁸ سورة هود، آية (119).

⁴⁰⁹ سورة الأعراف، آية (28).

فقال له السني: (إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو فضله فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)، والهداية فضل من الله يؤتيه من يشاء.

أرأيت لو كان -مثلاً- عشرة فقراء يريدون النوال منك، فأعطيت خمسة وتركت خمسة، هل أسأت إلى الخمسة الآخرين الذين لم تعطهم؟! ولكنك خصصت الآخرين الذين أعطيتهم بفضلك. فأفحم الرجل، وألقم حجرًا، ما عاد يستطيع يقول شيئًا.

إذا عقيدتنا أن نقول: إن إرادة الله الكونية يلزم وقوع المراد بها، ولا يلزم أن يكون محبوبًا إلى الله، وانظر إلى أمثلتها.

(وهي التي بمعنى المشيئة)

فالإرادة الكونية مرادفة تمامًا للمشيئة، فمعنى (أراد) أي: (شاء).

مثال ذلك (قوله تعالى: **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**).

لاحظ هنا: **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا**، ثم قال: **يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**، أي يفعل ما يشاء، والإرادة هنا كونية؛ لأن اقتتالهم ليس محبوبًا إلى الله، وكل ما ليس محبوبًا إلى الله فإنه مرادٌ بالإرادة الكونية.

(وقال تعالى: **إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ**).

هذه إرادة كونية، لأن الله لا يريد شرعًا أن يغوي عباده، بل قال الله تعالى: **{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ}**⁴¹⁰.

(وشرعية: لا يلزم بها وقوع المراد، ولا يكون المراد فيها إلا محبوبًا له أي لله).

ثانيًا: إرادة شرعية، إذا عكس الكونية، عكسها تمامًا، لا يلزمه بها وقوع المراد، بل قد يريد الله الشيء شرعًا ولا يقع، ولا يكون فيها إلا محبوبًا لله، لا يمكن أن يريد الله من عباده شرعًا ما يكرهه أبدًا، بل ما كرهه الله حرمة الله عليهم.

مثال ذلك: (كقوله تعالى: **{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ}**).

⁴¹⁰ سورة النساء، آية (26).

الإرادة هنا شرعية، **{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ}**؛ لأنها لو كانت كونية لزم أن يتوب على كل الناس؛ إذ أن الإرادة الكونية لا بد من وقوع المراد بها، ولو كانت هذه كونية لكان الناس كلهم قد تاب الله عليهم، لكن: **{يُرِيدُ}** أي: يحب أن يتوب عليكم، وهذا أيضًا هو الميزان للإرادة الشرعية أن يحل محلها المحبة، يعني تكون بمعنى المحبة.

(فالمحبة والإرادة الشرعية بمعنى واحد، والمشينة والإرادة الكونية بمعنى واحد).

أمثلة على هذا:

-الشيخ: هل كفر أبي لهب مراد، أم غير مراد؟

الطالب: مراد.

الشيخ: بأي الإرادتين؟

الجواب: مراد بالإرادة الكونية؛ لأنه يبغضه، وكل ما وقع وهو مبغوض إلى الله فهو مراد الإرادة الكونية.

الشيخ: هل إيمان أبي بكر مراد؟

الطالب: مراد.

الشيخ: مراد لله لا شك.

الشيخ: بأي الإرادتين؟

الطالب: كلاهما.

الشيخ: خطأ!

الطالب: يا شيخ هذا مراد كونًا وشرعًا، مراد كونًا لأنه وقع، ومراد شرعًا لأن الله يحبه.

الشيخ: صحيح يا جماعة؟

الطلاب: نعم صحيح.

لفتة لغوية من الشيخ:

الشيخ: ولماذا قلت له في الأول خطأ؟ لأنه قال "كلاهما"، والصواب (كلتاها) وليس (كلاهما)، يقول بعض الناس إن الغراب أراد أن يقتدي أو يقلد الحمامة في مشيتها -تعرفون الفرق بين مشية الحمام ومشية الغراب- فأراد أن يقلدها، حاول وحاول لكنه عجز أن يكون مثلها، فأراد أن يعود إلى مشيته الأولى فإذا هو قد نسها، فقليل في المثل: "ضيع مشيته ومشية الحمامة".
إذًا إيمان أبي بكر مرادًا بالإرادتين جميعًا: الكونية والشرعية.

-الشيخ: وكفر الكافر؟

الطالب: مراد.

الشيخ: بأي الإرادتين؟

الطالب: بالإرادة الكونية.

الشيخ: وإيمان الكافر؟! أي: أراد الله من الكافر أن يؤمن؟

الطالب: الإرادة الشرعية.

الشيخ: إيمان الكافر مرادٌ بالإرادة الشرعية وليس مرادًا بالإرادة الكونية؛ لأنه لم يؤمن، نحن نقول (إيمان الكافر) وهو لم يؤمن ما زال على كفره، نقول: مرادٌ بالإرادة الشرعية؛ لأن الله يُحب منه أن يؤمن، ولكنه لم يكن مرادًا بالإرادة الكونية؛ لأنه لم يقع.

■ الخلاصة: الإرادة تنقسم إلى قسمين، -ودليله التبع-:

١- إرادة كونية: وهي التي يقع بها المراد، وتكون فيما يحب الله وما لا يحب، وترادف لفظ (المشيئة).

٢- إرادة شرعية: وهي التي لا يلزم وقوع المراد بها، ولا تكون إلا في ما كان محبوبًا لله، وهي ترادف (المحبة)، مثاله: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ}، هذه إرادة شرعية لا كونية؛ لأنها لو كانت كونية لتاب الله على جميع الناس.

(ونؤمن بأن مراده الكوني والشرعي تابع لحكمته).

وهذا أيضًا مهم، ما أراد الله تعالى كونًا أو شرعًا فإن الحكمة تقتضيه؛ لأن مراده تابعٌ لحكمته، ودليل ذلك قول الله عز وجل: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} ⁴¹¹، ففي هذا إشارة إلى أن مشيئة الله تابعة لحكمته، فإذا نزل المطر، وصار فيه فيضان عظيم، هدم الدور وأغرق الزروع، فهذا ظاهرًا لا شك أنه ضرر علينا، لكن نعلم أن الله لم يقدره إلا لحكمة.

إذا حصلت حروب طاحنة أفنت الرجال، وأيتمت الأطفال وأرملت النساء، فإننا نعلم أن هذا بقضاء الله وقدره ولا شك، ولكنه صار وقدره الله لحكمة، حكمة قد تظهر لنا سريعًا أو لا تظهر، لكن نعلم أنها لحكمة.

إذا أوجب الله علينا شيئًا، كقوله: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ} ⁴¹²، فإننا نعلم -وإن كان القتال كره لنا- أن فيه المصلحة؛ ولهذا قال: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ}، والمهم أن تعلم أن كل شيء قضاه الله وقدره أو شرعه فهو لحكمة، ولا يمكن أن يقع سفهاً إطلاقًا، ولا لغواً، ولا لعبًا.

⁴¹¹ سورة الإنسان، آية (30).

⁴¹² سورة البقرة، آية (216).

قال الله تبارك وتعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ} ⁴¹³، وقال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَا هُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} ⁴¹⁴، وقال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} ⁴¹⁵، فكل شيء خلقه الله من دقيق وجليل، من العالم العلوي أو السفلي، من الناطق وغير الناطق، من المتحرك وغير المتحرك، من النامي وغير النامي فإنه لحكمة.

لكن هل يلزم أن نعلم تلك الحكمة؟

الجواب: لا يلزم، نعم لا يلزم؛ لأن عقولنا أقصر من أن تدرك حكمة الله عز وجل؛ ولهذا لما سُئل الرسول ﷺ عن الروح - التي بين جنبينا، والتي نموت بفقدائها، وهي أخص شيء بنا، وأدنى شيء إلينا- لما سُئل عن الروح ماذا قيل له؟ {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} ⁴¹⁶ كأنه يقول: ما بقي عليكم أن تسألوا إلا عن الروح؟! ما أكثر العلوم التي فاتتكم! وهذا صحيح.

فإذاً يجب يا إخواني أن نعلم علم اليقين أن الله جل وعلا لا يقدر شيئاً إلا لحكمة، حتى وإن كان ظاهره أنه ضرر علينا فهو لحكمة، فمثلاً: الفيضانات التي دمرت البلاد، أغرقت الزروع، هدمت البناء، أهلكت المواشي، أهلكت بعض الناس، مكروهةٌ لنا، لكن لحكمة، والذين قتلوا في هذا شهداء، الغريق شهيد، أليس كذلك؟ الذي يموت بهدم شهيد، وما أعظم الشهادة! الشهادة تساوي الدنيا كلها، يود الإنسان أن يموت شهيداً، ولا أن يعيش ألف سنة إلا أن يكون في زيادة الخير.

الأموال التي فقدت قد تكون لحكمة، ألم يقل الرسول ﷺ: [والله ما الفقر أخشى عليكم، وإنما أخشى أن تفتح عليكم الدنيا] ⁴¹⁷، ربما تبقى هذه الزروع وهذه القصور وتكون فتنة تعيننا على المعاصي وتصدنا عن الطاعات، ويفقدنا نلجأ إلى الله ونعرف قدر أنفسنا، أهذا خير؟ أم بقاء هذا خير؟! أيهما أشد خيراً؟ الأولى أنفع للمرء في دينه ودنياه.

الذين قتلوا في الحروب وهم يدافعون عن أنفسهم شهداء، حتى وإن كان الإنسان يدافع عن نفسه لنفسه فهو شهيد، رأيت الرجل الذي قال: [يا رسول الله جاءني رجل يطلب مالي؟ قال: لا تعطه، قال: إن قاتلني؟ قال: قاتله، قال: إن قتلته؟ قال: هو في النار، قال: إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد] ⁴¹⁸، مع أن هذا يدافع عن ماله فكان شهيداً، هؤلاء الذين قتلوا شهداء، ولا نقول لكل واحد شهيد؛ لأننا ما نشهد لكل واحد بعينه، لكن على سبيل العموم: (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد)، وهل الشهادة هينة؟! مرتبة عظيمة عالية {وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ} ⁴¹⁹.

⁴¹³ سورة المؤمنون، آية (115-116).

⁴¹⁴ سورة الدخان، آية (38-39).

⁴¹⁵ سورة ص، آية (27).

⁴¹⁶ سورة الإسراء، آية (85).

⁴¹⁷ أخرجه البخاري في صحيحه (6425).

⁴¹⁸ أخرجه مسلم في صحيحه (140).

⁴¹⁹ سورة الحديد، آية (19).

إذًا هذا الذي هو في ظاهر الحال مضرة علينا، ومكروه لنا عاقبته حميدة، هذه حكمة، أما ما ينفعنا فالحكمة فيه ظاهرة أنه إحسان من الرب عز وجل يعيننا إذا كنا صادقين على البر والتقوى، وخير الناس من استعان بنعم الله على طاعة الله، فالحاصل أننا نعلم ونؤمن ونشهد بالله أن كل ما قدره الله عز وجل من خير أو شر أو فتنة أو حرب أو سلم أو غير ذلك فهو لحكمة، لكن قد نعلمها وقد لا نعلمها، وما أحلى أن يصاب الإنسان بمصيبة ثم يتصبر ويصبر فيجد حلاوة عجيبة: حلاوة، طمأنينة في القلب، راحة في النفس، لا يجدها في أعظم وعظ.

لو يأتي إنسان يعظك من الصباح إلى الصباح لا يؤثر فيك تأثير بعض المصائب، حتى المعاصي الإنسان إذا فعلها ثم استحضر عظمة الله وخجل من الله واستحيا من الله ورجع إلى الله يجد لذة عظيمة للطاعة التي كان في الأول يفعلها كأنها عادة، فهذه مصالح عظيمة إذا تأملها الإنسان يجد أن فيما يكرهه الإنسان خير، قد يعلمه وقد لا يعلمه.

يقول: (فكل ما قضاه كونًا أو تعبد به خلقه شرعًا فإنه لحكمة) وهذه الحكمة الغائية.

(وعلى وفق الحكمة) هذه الحكمة الصورية.

هو (لحكمة): الغاية منه حميدة، (وعلى وفق الحكمة): يعني الصورة التي هو عليها موافقة للحكمة تمامًا.

يقول: (سواء علمنا منها ما نعلم أو تقاصرت عقولنا عن ذلك فإنه لحكمة).

ثم استدل المؤلف لذلك بقوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} ⁴²⁰، الجواب: بلى.

{وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} ⁴²¹، الجواب: لا، فلا أحد أحسن من الله حكمًا لا الكوني ولا الشرعي، ولا أحد أحكم من الله عز وجل {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}، فإذا عرفت أن الله أحكم الحاكمين علمت أن ما قدره فهو لحكمة عظيمة إن أدركتها فذاك، وإن لم تدركها فسلّم الأمر إلى من يعلمها عز وجل، والله أعلم.

سؤال: ذكر بعض العلماء الفرق بين الإرادتين الكونية والشرعية، قال: الكونية ملازمة للخير والشر، وأما الشرعية لا تأتي إلا في النفع والخير؟

الجواب: هذا معنى قولنا: أنه يكون محبوبًا له أو مكروهًا له.

سؤال: هل تغني عن الكره والمحبة؟

⁴²⁰ سورة التين، آية (8).

⁴²¹ سورة المائدة، آية (50).

الجواب: لا، حتى الخير مثلاً بالنسبة للإنسان قد يكون ليس بخير، لكنه مراد بالإرادة الكونية، نقول أن الشرعية بمعنى المحبة، (يريد شرعاً) كقولك: (يحب)، (يريد كوناً) كقولك: (يشاء).

سؤال: ما الفرق بين الحكمة الغائية والصورية؟

الجواب: الحكمة الغائية: هي غاية الشيء والفائدة منه وثمراته، كالطاعات مثلاً الحكمة منها أن يثاب العبد على فعلها، الصورية: يعني كونه على هذا الوجه المعين هذه حكمة.

مثلاً: كم الواجب في الذهب والفضة في الزكاة؟، الجواب: ربع العشر.

الواجب في الزرع الذي يسقى بلا مؤونة؟، الجواب: العشر.

الواجب في الذي يسقى بمؤونة؟، الجواب: نصف العشر.

هذه اختلافات تقدير، لكنها على وفق الحكمة.

والغاية من الجميع حكمة غائية: هو الثواب على أداء الزكاة، ونفع الفقراء، وتنمية المال، ودفع السوء عنه وما أشبه ذلك.

سؤال: هل يشترط يا شيخ للشهادة أن ينوي الإنسان أنه سيقتل شهيداً؟

الجواب: لا، ليس شرطاً، قد لا يعلم الإنسان بذلك، ربما يدافع الإنسان عن نفسه بمقتضى الطبيعة والفطرة ويكون شهيداً وهو لا يدري.

سؤال: أحسن الله إليكم، في هذه الآية: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}، بعضهم في الصلاة يقول بعدها (بلى)، فما حكم ذلك؟

الجواب: نعم، تقول في الصلاة: (سبحانك! بلى)، أو في غير الصلاة؛ لأن الله يستفهم منك {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}، فماذا تقول؟ الجواب: تقول (بلى)، {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} 422، (بلى)، {أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ} 423، (بلى)، وأشبه ذلك.

سؤال: يا شيخ بعضهم يزيدون: (بلى، ونحن على ذلك من الشاهدين)؟

الجواب: ليس بالازم، لو قلت: (بلى)، لكفى.

422 سورة الزمر، آية (36).

423 سورة الزمر، آية (37).

-الدرس العشرون-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

(ونؤمن بأن مراده الكوني والشرعي تابع لحكمته، فكل ما قضاه كوناً أو تعبد به خلقه شرعاً فإنه لحكمة، وعلى وفق الحكمة، سواء علمنا منها ما نعلم أو تقاصرت عقولنا عن ذلك، {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} 424، {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} 425).

ونؤمن بأن الله تعالى يحب أوليائه وهم يحبونه: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} 426، {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} 427، {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} 428، {وَاقْسُطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} 429، {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} 430).

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى ما شرعه من الأعمال والأقوال، ويكره ما نهى عنه منها، {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} 431، {وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاتِهِمْ فَتَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} 432).

الحمد لله رب العالمين، سبق لنا أنؤمن بأن لله تعالى إرادة، وأن إرادته تعالى تنقسم إلى قسمين:

١- كونية. ٢- شرعية.

والفرق بينهما من وجهين:

الوجه الأول: أن الكونية تكون فيما يحب وما لا يحب 433.

الوجه الثاني: الإرادة الكونية: لا بد فيها من وقوع المراد، لا بد أن يقع. والشرعية: قد يقع وقد لا يقع.

424 سورة التين، الآية (8).

425 سورة المائدة، الآية (50).

426 سورة آل عمران، الآية (31).

427 سورة المائدة، الآية (54).

428 سورة آل عمران، الآية (146).

429 سورة الحجرات، الآية (9).

430 سورة البقرة، الآية (195).

431 سورة الزمر، الآية (7).

432 سورة التوبة، الآية (46).

433 والإرادة الشرعية: لا تكون إلا فيما كان محبوباً لله، وهي ترادف لفظ "المحبة". من كتاب (شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله، الصفحة (222)).

وهذا الفرق بينهما، وإنما قسم العلماء الإرادة إلى ذلك؛ لئلا يقال: إن الذي يكرهه الله لا يريده، كما قال بذلك بعض المعتزلة، فيقال: إن أردتم (لا يريده شرعاً) فحق، وإن أردتم (لا يريده قدرًا) فباطل. وقد شرحنا ما قرأه الأخ من أن هذه الإرادة تابعة للحكمة، فلا حاجة لإعادتها.

قال: (ونؤمن بأن الله تعالى يحب أوليائه، وهم يحبونه).

أي نؤمن بأن الله تعالى يُحِبُّ وَيُحَبُّ، فهو محبوب لأوليائه وأوليأؤه محبوبون لديه، فالمحبة متبادلة.

دليل ذلك: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ}، ففي هذه الآية إثبات المحبة لله وإثبات المحبة منه. إثبات المحبة له، لقوله: {إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ}، ومنه، لقوله: {يُحِبُّكُمْ اللَّهُ}.

وهذه الآية يسميها السلف (آية المحنة) أي الامتحان؛ لأنها نزلت في قوم يدعون أنهم يحبون الله، فأنزل الله ذلك، وجعل هذا هو الميزان إن كانوا صادقين في محبتهم لله فليتبعوا الرسول ﷺ، وإذا اتبعوا الرسول ﷺ كان الجزاء أعظم مما يدعون، هم يدعون أنهم يحبون الله وهذا شرف لهم، لكن الجزاء إذا اتبعوا الرسول ﷺ أن الله يحبهم، وهذا هو الشأن العظيم، وهذا هو المقصود العظيم أن يحبك الله، فليس الشأن أن تحب الله، فقد تصدق وقد لا تصدق، ولكن الشأن كله أن يحبك الله، [إذا أحبك الله عز وجل نادى جبريل: "يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه"، فينادي جبريل في السماء: "إن الله يحب فلانا فأحبوه"⁴³⁴، فيحبه جبريل، ويحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، فيحبه أهل الأرض ويقبلونه].

هذه المحبة أهي محبة حقيقية، أو هي مجاز عن الإثابة؟

الجواب: محبة حقيقية، وليست مجازًا عن الإثابة، لأن الإثابة شيء والمحبة شيء آخر، بل الإثابة دليل المحبة؛ لأن الله تعالى لا يثيب أحدًا إلا حيث يحبه الله عز وجل.

وقد انقسم الناس في المحبة إلى ثلاثة أقسام:

- قسم قالوا: إن الله يُحِبُّ وَيُحَبُّ.
- وقسم بالعكس قالوا: إن الله لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ.
- وقسم قالوا إن الله يُحَبُّ ولا يُحِبُّ.

فالأقوال إذاً ثلاثة، والقسمة العقلية تقتضي رابعًا، لكني لا أعلم به قائلًا.

الرابع: أن الله يُحِبُّ ولا يُحَبُّ، لكني لا أعلم بهذا قائل.

⁴³⁴ صحيح مسلم (2637).

فالأقوال إذاً ثلاثة، ولا شك أن القول المتعين (أن الله يُحِبُّ وَيُحَبُّ) كما في هذه الآية والآيات التي بعدها: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ - فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**، ولا يجد أحد طعم المحبة إلا إذا فعل ما يكون سبباً لها وهو اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام، وكلما كان الإنسان للرسول ﷺ أتبع كانت محبة الله له أعظم، ومحبة الله يجد الإنسان فيها لذة عظيمة لا يقارنها أكبر لذة في الدنيا، لذة عظيمة وأنساً بالله عز وجل، وفرحاً به، ونوراً في القلب، ونوراً في الوجه لا يماثله شيء.

الذين قالوا (إن الله لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ) شُبِّهَ عليهم، وقالوا: (المحبة لا تكون إلا بين نظيرين، كالرجل والمرأة، الرجل والرجل، المرأة والمرأة، ولا تكون بين شيئين مختلفين، فلا محبة بين الإنسان والجمل، وإذا كان هذا في المخلوقات المتباينة فامتناعه في الخالق من باب أولى؛ لأن الخالق عز وجل مبين للمخلوق أعظم مباينة) هذه شبهتهم. وهذه الشبهة منقوضة:

- أولاً: بالنص الصريح على ثبوت المحبة من الله ولله، والقياسات العقلية إذا عارضتها النصوص الشرعية كانت باطلة، ولهذا قالوا: لا قياس مع النص، والقياس المبطل للنص فاسد الاعتبار.
- ثانياً: ادعواؤهم أن المحبة لا تكون إلا بين شيئين متجانسين خطأ، بل قد تكون محبة بين شيئين بينهما أعظم التباين، فالمحبة بين الإنسان وبين بعيره الذي يركبه، ثابتة أم غير ثابتة؟ وأسألوا الجمالين، هي ثابتة، حتى إن الجمل يعرف صاحبه من بين الرجال، ولا يجلس إلا عنده إذا دعت الحاجة إلى قربه منه، في أيام الشتاء يقول الجمالون: إذا نزلنا وأضرمت النار دنت الجمال منهم، وكل جمل يأوي إلى صاحبه ويجلس إلى جنبه.

أقول إن المحبة ثابتة بين شيئين غير متجانسين، بل إن الإنسان قد يحب جماداً، قد يكون مثلاً اعتاد أن يكتب بقلم معين، تكون كتابته به جميلة واضحة، فتجده يحب هذا القلم عن القلم الآخر الذي لم يعتد عليه، أو له سيارة يألفها قد بورك له فيها فيحبها أكثر، فالحاصل أن شبهتهم التي اعتلوا بها شبهة يكذبها الواقع.

أما الذين قالوا: (إن الله لا يُحِبُّ ولكنه يُحَبُّ)، فقالوا: (إن محبة الإنسان لربه لا تُنكر ولا يمكن لأحد أن ينكرها؛ لأنها أمر فطري غريزي، لكن محبة الله للعبد هي المنكرة؛ لأن المحبة فيها رخاوة، وفيها شيء من الليونة، والرب عز وجل منزّه عن ذلك، فالله لا يحب، ولكن كلما أتى آية أو حديث ثبت أن الله يحب فالمراد به الإثابة أو إرادة الثواب).

وهؤلاء هم الأشاعرة، وقولهم باطل؛ لأننا نقول:

- أن الله أثبت في القرآن، وكذلك السنة أثبتت بأن الله تعالى يُحِبُّ، ومعلوم أنه لا قياس ولا نظر مع وجود النص. - ومحبة الله للعبد أثرها ظاهر يجد الإنسان أن الله يشرح صدره للإسلام، وينور قلبه ويحب العبد الطاعة، وهذا يدل على محبة الله له وأنه عز وجل اعتنى به.

فالصواب إذاً أن المحبة ثابتة من الجانبين، ثابتة من الله للعبد، ومن العبد لله.

فما هو السبب الوحيد لكون الله يحبك؟

الجواب: اتباع الرسول ﷺ، {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي}، وهذا نعرف أن كل من ابتدع في شريعة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام شيئاً من العبادات فإن محبته لله وللرسول ﷺ ناقصة وضعيفة، ونقصها وضعفها بحسب ما ابتدع من البدعة، عكس الذين يقولون: إننا نفعل ذلك محبة للرسول ﷺ، نقول: إذا كنتم صادقين فاتبعوا الرسول ﷺ، أما أن تبتدعوا في دينه فهذا من أكبر الطعن فيه وفي كتاب الله، البدعة في الدين طعن في الرسول ﷺ وطعن في كتاب الله.

- أما كونها طعن في كتاب الله: فلأن الله قال: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} ⁴³⁵، والبدعة يراها مبتدعها ديناً!! وهي لم توجد في القرآن ولا في السنة، إذا الآية غير صادقة!! ما كمل الدين، لم يكمل إلا بهذه البدعة على زعمهم!!
- أما كونها طعن في الرسول ﷺ: فنقول: إما أن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام عالمًا بهذه الشريعة أو جاهلاً، لأنه لم يعمل بها قطعاً، فإما أن يكون عالمًا بأنها مشروعة وإما أن يكون جاهلاً، ولا بد، فإن قلت: إنه جاهل فقد وصمتموه بالجهل، وإن قلت: إنه عالم فقد وصمتموه بالخيانة؛ لأنه لم يبينها للناس لا بقوله ولا بفعله ولا بإقراره، فمسائل البدع عظيمة ليست هينة، حتى وإن كانت البدعة في ذاتها هينة فأثرها عظيم، نسأل الله العافية.

ولهذا تجد هؤلاء المبتدعين من أبعد الناس عن اتباع الرسول ﷺ، تجدهم يجتهدون جهدهم في هذه البدعة لكنهم مفرطون كثيراً في أمور مشروعة أهم منها، وتأمل أحوالهم تجد أنه ربما يخرج من هذا المولد إلى القبر يدعو ويعبده، أليس كذلك؟! وربما لا يصل إلى هذه الحال لكنه عنده فتور في الطاعات، نوافله قليلة، صومه قليل، صدقته قليلة، كثير النظر المحرم إلى النساء والمردان وغير ذلك، أليس هكذا؟! هذا هو الواقع، إذاً كيف تقول: إنك ابتدعت هذا محبة لله ورسوله ﷺ؟!!

قال: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} هذا جواب لشرط محذوف، والتقدير ⁴³⁶: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ - فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ..}، يعني: فالله غني عنكم، إذا ارتددتم عن الدين لم تضروا الله شيئاً، يأتي الله بقوم غيركم، كما قال تعالى: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ} ⁴³⁷.

{وَقَالَ تَعَالَى: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}}، الصابرين على شريعة الله، والصابرين على أقدار الله. وشريعة الله: أوامر، ونواهٍ، فهم صابرون على الأوامر، صابرون عن النواهي، صابرون على الأقدار، فمن كان هذه حاله فإن الله يحبه.

{وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ}، {وَأَقْسَطُوا}: اعدلوا، {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ}: اعدلوا في أنفسكم أو في أهليكم أو في معاملتكم، أو في الجميع، حتى في النفس اعدل. لما أراد عبد الله بن عمرو بن العاص أن يقوم الليل كله، ويصوم النهار كله، قال له النبي ﷺ: {إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا} ⁴³⁸، اعدل حتى في نفسك، ولهذا أوجب العلماء على من خاف

⁴³⁵ سورة المائدة، الآية (3).

⁴³⁶ التقدير: إذا ارتددتم عن الدين فالله غني عنكم، ولن تضره شيئاً.

⁴³⁷ سورة محمد، الآية (38).

⁴³⁸ أخرجه البخاري (1153)، ومسلم (1159).

الموت من الجوع أن يأكل، وعلى من خاف الموت من العطش أن يشرب، لا يقول: والله أنا حر إذا هلكت فإن لي أن أهلك نفسي، نقول: لا، ليس بصحيح، لا يمكن أن تُهلك نفسك، قال الله تعالى: **{وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}**⁴³⁹.

وهذا نعرف خطأ من يتبرع بشيء من أعضائه لأحد من الناس، بعض الناس يتبرع بكليته لواحد من الناس تعطلت كليته، فقال: أنا أريد أن أتبرع له بكليتي، من قال هذا!! كليتك هل هي لك؟! الجواب: لا، حقيقة ليست لك حتى تبرع بها لأحد أو تباعها أيضًا، وأنت حر، والحر لا يباع. ثم إذا قدرنا أنك تقول: إن شاء الله لن يضرني هذا، وهذا ينفعه، نقول: نفع هذا الرجل اجعله تسعا وتسعين في المئة، لكن أليس فيها واحد بالمئة أنها لا يقبلها الجسم، يرفضها، إذا ارتكبنا مفسدة لمصلحة موهومة غير محققة يقينًا، ارتكبنا مفسدة يقينًا لمصلحة ليست يقينية.

ثم هل تأمن أنت إذا تبرعت بكلية من كلاك هل تأمن أن تبقى هذه صالحة دائما -أي: الباقية-؟ ربما يأتيها مرض فإذا أتاه مرض معناها أنك أهلكت نفسك؛ لأنك لن تعيش بلا كلية، إذ أن هذه الكلية تمتص جميع السموم التي في الأطعمة والأشربة، ولو تخلى الجسم عنها لانتشرت فيه السموم وهلك، فأنت إذا أخرجت واحدة وبقيت عندك واحدة قد تفسد في يوم من الأيام.

ثم إن الظاهر لي -وأقول: ليس عن شرع ولا عن طب- الظاهر لي أن هاتين الثنتين -الكليتين- تتعاونان، وأنه إذا انفردت إحدهما ثقل الحمل عليها وصار هذا أقرب إلى تعيها وفسادها.

فالمهم، أننا نقول: أن الإنسان مأمور بالعدل حتى في نفسه وليس له أن يهلك أو يتلف شيئًا من أطرافه، كما ليس له أن يهلك أو يتلف شيئًا من حياته كلها.

وقد نص فقهاء الحنابلة رحمهم الله في كتبهم على أنه يحرم قطع عضو من الميت ولو أوصى به، ذكروا هذا في باب غسل الميت في كتاب الجنائز، يعني لو أن إنسانًا مثلاً قال: أنا أتبرع بعد موتي بعيني لفلان أو فلان -وبعد الموت ما هو منتفع بالعين- يقولون: يحرم أن يتبرع بها، لو قال أتبرع بكليتي، بقلبي، قلنا: حرام، نص على ذلك أهل العلم، ووجه ذلك قول النبي ﷺ: **{كسر عظم الميت ككسره حيًا}**⁴⁴⁰، يعني في الحرمة والتحريم، والمسألة ليست هي سيارات توظب!، والإنسان إذا أتاه مرض من عند الله واختار الله له أن يموت فهو إن لم يموت مات غدًا، وربما يكون موته خيرًا له، كم من إنسان يكون بقاءه في الحياة شرًا، كما في الحديث: **{شركم من طال عمره وساء عمله}**⁴⁴¹، والإنسان المؤمن إذا انتقل من الدنيا ليس ينتقل إلى دار أسوأ، بل ينتقل إلى دار خير من داره، ولذلك ندعو للميت ونحن نصلي عليه نقول: **{أبدله دارًا خيرًا من داره}**، ربما هذا الذي أصيب بمرض في كليته، ربما يحصل عنده من الإنابة إلى الله والرجوع إليه وتلقي الموت باستعداد تام، وهذا أفيد بكثير من أن تبقى حياته أيامًا ثم يموت.

⁴³⁹ سورة النساء، الآية (29).

⁴⁴⁰ أخرجه الإمام أحمد (58/6)، وأبو داود (3207)، وابن ماجه (1616).

⁴⁴¹ أخرجه الإمام أحمد (40/5)، والترمذي (2330).

ولهذا لما جاء ملك الموت إلى موسى ليقبض روحه لطمه موسى حتى فقا عينه فرجع ملك الموت إلى الله وقال: أرسلتني يا ربي إلى رجل لا يريد الموت، قال له الله عز وجل: اذهب إليه وقل له: يضع يده على جلد ثور وله من السنين بقدر ما تحت يده من هذه الشعرات، ماذا ستكون قليلة ولا كثيرة؟! الجواب: كثيرة.

أولاً: أننا لا نعلم الآن عن كيفية يد موسى عليه الصلاة والسلام هل هي كبيرة أو صغيرة؟ لكن لا شك أنها تكون أكبر من هذا، لأن الخلق يتناقص حتى وصل إلى هذه الأمة. وثانياً: الثور، تختلف الثيران بالنسبة لرصف الشعر كما تختلف رؤوس بني آدم، المهم أنها ستكون كثيرة.

قال موسى: ثم ماذا بعد ذلك؟، قال: ثم الموت، لا بد منه، قال: "فمن الآن". لأن عمرك ولو طال كأنما لبثت ساعة من نهار -الآن نحن متفاوتون في الأعمار، الكثير منا والقليل، كل الماضي سواء، ما كأنه صار- فقال: فمن الآن، ولكن أسأل ربي أن يكون موتي حول البلاد المقدسة، فانتقل إلى هناك ومات هناك عند الكثيب الأحمر، قال النبي ﷺ: **[لو كنتُ ثم لأريتكم قبره]**⁴⁴²، لكن الحمد لله أنه لا يُعلم الآن، ولا يُعلم قبر نبي من الأنبياء السابقين إلا قبر رسول الله ﷺ، حفظه الله عز وجل بهذا المكان.

فالحاصل إنني أقول: إن الإقساط واجب في كل شيء حتى في النفس حتى في الأهل حتى في الأولاد، حتى فعل السلف يعدلون بين أولادهم في التقبيل، إذا قبّل الصبي مرة قبّل الثاني مرة، إن قبّله مرتين -وذاك ينظر- قبّله مرتين، وهذا شيء مشاهد أن الصبيان يريدون العدل حتى في التقبيل، وإذا عوّد الإنسان نفسه العدل أعانه الله عليه، يجب العدل أيضاً بين الأولاد في العطفية، يجب العدل بين الزوجات، يجب العدل بين الخصمين، المهم في كل شيء.

قوله: **{يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}**، أو يحب القاسطين؟! الجواب: المقسطين، أما القاسط: **{وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا}**⁴⁴³، والفرق بين القاسط والمقسط:

- القاسط: هو الجائر.
- والمقسط: هو رافع الجور، يعني العادل.

{وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}، وهذا انتقال إلى ما هو أكمل، الإحسان أكمل من العدل، قال الله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ}**⁴⁴⁴، الإحسان في كل شيء، في معاملة الخالق، وفي معاملة المخلوق.

- الإحسان في معاملة الخالق: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.
- الإحسان في معاملة الخلق: حدده النبي ﷺ بحد لا جور فيه ولا إشكال فيه:

⁴⁴² أخرجه البخاري (3407)، ومسلم (2372).

⁴⁴³ سورة الجن، الآية (15).

⁴⁴⁴ سورة النحل، الآية (90).

فقال: [لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه]⁴⁴⁵، هذه قاعدة.

قاعدة أخرى: [من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه]⁴⁴⁶، الشاهد: (وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه)، هذا هو الميزان، أن تحسن إلى عباد الله تعالى في مالك، في بدنك، في جاهك، في كل معاملة، ففي البدن: تعين الرجل على حمل متاعه، على إناخة ذلوله، على أي شيء. في المال: تعطيه زكاة، صدقة، هبة، هدية، عطية، هذه خمسة أقسام: الزكاة: المال الواجب في الأموال.

الصدقة: ما قصد به الإنسان التقرب إلى الله عز وجل، بقطع النظر عن يكون الفقير ينتفع بها أو لا ينتفع. الهدية: ما قصد به التودد والإكرام.

الهبة: ما قصد به مجرد انتفاع المعطى، ما أراد المعطي التقرب إلى الله بهذا، ولا توددًا إلى المعطى بل أعطاه هكذا. العطية: التبرع بالمال بمرض الموت يسمى عطية. بقي سادس، النفقة: إحسان بالمال، واجب.

كذلك أيضًا تحسن إلى الخلق بجاهك: بالشفاعة، بالتوسط، لكن بالشفاعة الجائزة، أما الشفاعة المحرمة فلا تجوز، مثل أن تشفع بإسقاط واجب، فإذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمُشَفَّع له، والله أعلم.

سؤال: يا شيخ، التبرع بالدم هل يدخل في التصرف فيما لا حق لنا فيه؟
الجواب: لا، التبرع بالدم لا بأس به؛ لأنه يأتي خَلْفَهُ.

سؤال: يا شيخ بارك الله فيكم، جاء في الحديث في آخره: (يا رب، أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي)، ما المراد هنا بالأهل والمال؟

الجواب: المراد بالمال: ثواب المال، وأهله أهله، لأن الله تعالى يقول: {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} ⁴⁴⁷.

⁴⁴⁵ أخرجه البخاري (13)، ومسلم (45).

⁴⁴⁶ أخرجه مسلم (1844).

⁴⁴⁷ سورة الطور، الآية (21).

الطالب: لكن يا شيخ في سياق الحديث: بأنه يرى مكانه في الجنة، ويفتح له، فيأتيه من روحها وريحانها، فما المناسبة بين هذه وهذه؟!

الجواب: أهله ليسوا موجودين الآن، فيحب أن يتعجل الاجتماع بهم.

الطالب: قال: (يرجع)، كأنه يرجع إلى الدنيا؟!

الجواب: لا، هو مؤمن بيوم الحساب (أرجع إلى أهلي ومالي): يعني في الجنة.

سؤال: هل الله يعشق؟ الصوفيين يقولون هذا؟!

الجواب: الله يهديك! الصوفي صوفي بارك الله فيك، على كل حال هذه اختلف العارفون -كما يقولون-، والصحيح أنها لا تجوز وأنها حرام، لكن يوصف الله بالود: {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} ⁴⁴⁸، يوصف بالخلّة: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} ⁴⁴⁹، ولكني أسألك أيهما أعلى الخلّة أو المحبة؟!

الطالب: الخلّة.

الشيخ: الخلّة، لماذا؟

الطالب: لأن إبراهيم عليه السلام كان يحب الله، والله يحبه، لقول الله عز وجل: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}.

الشيخ: لكن أنا أقول هل الخلّة أكمل؟ أم المحبة؟

الطالب: الخلّة أعلى مراتب المحبة.

الشيخ: الذين يقولون: (إبراهيم خليل الله، ومحمد حبيب الله)، هل انتقصوا محمدًا؟!

الجواب: نعم، انتقصوا محمدًا؛ لأن النبي ﷺ قال: [إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا]، ولهذا المحبة يوصف بها كل مؤمن: إن الله يحب المؤمنين، يحب المتقين، يحب الصابرين، لكن الخلّة لا نعلم أن أحدًا يوصف بها إلا اثنان، وهما محمد وإبراهيم فقط، وكذلك لا يجوز أن نقول: موسى خليل الله، ولا أن نقول: عيسى خليل الله، ولا أن نقول: نوح خليل الله، هذه لا نعلم أنها كانت إلا لاثنين.

سؤال: أيهما أفضل النبي ﷺ أم نبي الله إبراهيم؟

الجواب: لا، محمد عليه الصلاة والسلام أفضل من الجميع، يقول الناظم:

⁴⁴⁸ سورة البروج، الآية (14).

⁴⁴⁹ سورة النساء، الآية (125).

سؤال: في الحديث: [إذا أحب الله سبحانه وتعالى أحداً أخبر جبريل أنه يحبه، فيحبه جبريل، ثم يعلن جبريل في السماوات: إن الله يحب فلان فأحبه، فيحبه، ثم يوضع له القبول في الأرض]، قوله (من في الأرض) هذا العموم من يدخل فيه الكفار أم المسلمين فقط؟

الجواب: الظاهر من المؤمنين الذين يحبون الله، لماذا أقول هكذا؟ -والإظهار الحديث العموم-، أقول هكذا لأن الكفار يبغضون الرسول عليه الصلاة والسلام لا شك، وهو أحب الناس إلى الله فيما نعلم، فالظاهر أن العبرة بمحبة المؤمنين، وقد يقال: إن قوله: (يوضع له القبول)، أعم من المحبة، وهذا أيضا يرد عليه مسألة أن الكفار لا يقبلونه، فالظاهر أن المراد بذلك (أولياء الله)، يعني الذين يحبون الله بهذا.

سؤال: عند ذكر العلو قال ب(ذاته)، وكذلك الاستواء قيده ب(ذاته)، لكن عند ذكر المعية والنزول والمجيء لم يقيدها ب(ذاته)؟

الجواب: إنما قيدنا هذا لأن الخلاف في نسبة العلو أنه علو الصفة وليس علو الذات واضح معلوم، وكذلك الاستواء، المعية أيضا الخلاف فيها واضح، لكن تجنبنا ب(ذاته)؛ لأن العامة ومن لا يستطيع الجمع بين العلو والمعية يظنون لو قلنا ب(ذاته) أن هذا هو مذهب الحلولية؛ فلماذا تجنبناه وإلا المعنى واحد، وقد ذكرت لكم قاعدة مفيدة هي من كلام ابن القيم ولكننا مقتنعين بها: (كل شيء أضافه الله إلى نفسه من المعاني والصفات فالمراد نفسه ب(ذاته)) حتى القرب والمعية والاستواء والخلق والتنزيل وغير ذلك. ولا حاجة أن يقال بذاته؛ لأنه معروف أن الفعل إذا أضيف إلى الفاعل أو الوصف إلى الموصوف فيعني الموصوف ذاته، كلها واحد لكن حتى لا يظن ظان أننا نريد الحلول؛ لأن كثيرا من الناس لو تقول له: (أن الله معنا بذاته) قال هذا مثل الجهمية، والكلمة إذا صارت توجب معنى باطلاً -ولو عند بعض الناس- تجنبها أحسن.

والحمد لله على ما كان، والحمد لله هو أهم شيء في العقيدة -يا إخوان- القواعد، القواعد أهم شيء، صحيح في مسائل ما تتعلق بالصفات كمسائل الإيمان بالبعث والإيمان بالقدر، لكن المهم بالنسبة لما يتعلق بالصفات (القواعد)، هذا أهم شيء، وأنا أوصيكم بمراجعة (القواعد المثلى)، لأنها فيها قواعد في الأسماء والصفات وقواعد في أدلة الأسماء والصفات.

-الدرس الواحد والعشرون-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

(ونؤمن بأن الله تعالى يرضى ما شرعه من الأعمال والأقوال، ويكره ما نهى عنه منها {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} 450، {وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} 451. ونؤمن بأن الله تعالى يرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} ذَلِكَ لِمَنْ حَثِيَ رَبُّهُ} 452. ونؤمن بأن الله تعالى يغضب على من يستحق الغضب من الكافرين وغيرهم {الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} 453، {وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} 454. ونؤمن بأن الله تعالى وجهًا موصوفًا بالجلال والإكرام {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} 455. ونؤمن بأن الله تعالى يدين كريمتين عظيمتين {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} 456، {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} 457).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. سبق لنا أن من أصول أهل السنة والجماعة إثبات المحبة لله، وأنه يُحِبُّ ويحَبُّ، وخالفهم في ذلك طائفتان: طائفة نفت أن يكون يُحِبُّ ويحَبُّ، وطائفة نفت أن يكون يُحِبُّ وأثبتت أنه يجب. وسبق أيضًا أن محبة الله تتعلق بالأشخاص: كالمتقين والمحسنين وما أشبه ذلك، وتتعلق بالأعمال: كحديث ابن مسعود: [أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟] 458، وتتعلق أيضًا بالأماكن، فإن [أَحَبُّ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا] 459، وكل ذلك حق على حقيقته.

(قال: ونؤمن بأن الله تعالى يرضى ما شرعه من الأعمال والأقوال، ويكره ما نهى عنه منها). فإذا ثبت أن الله يرضى، وأنه يكره، رضًا حقيقيًا، وكراهةً حقيقيةً، فيوصف جل وعلا بالرضا والكراهة.

450 سورة الزمر، آية (٧).
451 سورة التوبة، آية (٤٦).
452 سورة البينة، آية (٨).
453 سورة الفتح، آية (٦).
454 سورة النحل، آية (١٠٦).
455 سورة الرحمن، آية (٢٧).
456 سورة المائدة، آية (٦٤).
457 سورة الزمر، آية (٦٧).
458 أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٢٧).
459 أخرجه مسلم في صحيحه، (٦٧١).

وأنكر المعطلة أن يكون الله موصوفاً بهما، وقالوا: (ما جاء من النصوص بالرضا فالمراد به الثواب، أو إرادة الثواب، وما جاء بالكراهة فالمراد به العقاب، أو إرادة العقاب).

وهذا بناءً على مذهبهم الفاسد، وأنتم تعلمون أن هؤلاء المعطلة يبنون تعطيلهم على أدلة عقلية، وهي في الحقيقة ليست عقلية بل هي وهمية، يتوهمون أن إثبات هذه الصفة يستلزم التمثيل فينكرون.

دليل الرضا:

الدليل: **{إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ}**.

وإذا كان غنياً عنّا فهل يتضرر؟ الجواب: لا، بل الذي يتضرر الكافر.

{وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} هذا نفي الرضا، فهو بمفهومه يدل على: أنه يرضى منهم الإيمان، ولهذا صرح به في قوله: **{وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ}**. وفي هذه الآية: دليل على أن شكر النعمة من الإيمان، وكفرها من الكفر.

ودليل الكراهة:

قال: **{وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ}** اللهم أجربنا، هذه الآية خطيرة جداً، وميزان.

{كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ} أي: في الجهاد. **{وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ}**.

فاحذر، فتش، إذا رأيت نفسك متكاسلاً عن الخير فاحش أن يكون الله كره انبعائك في الخير، ثم أعد النظر مرة ثانية، وصبر نفسك، وأرغمها على الطاعة، واليوم تفعلها كارهاً، وغداً تفعلها طائعاً هيئةً عليك، والمهم أن هذا فيه تحذير شديد لمن رأى من نفسه أنه مُثبَط عن الطاعة، فلعل الله تعالى كره أن يكون هذا الرجل من عباده المطيعين له، فثبطه عن الطاعة، نسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

الشاهد من هذه الآية قوله: **{كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ}** لم يقل: (وقال لهم) اقعدوا مع

القاعدين، لأن الله لا يأمر بالفحشاء، لكن **{وَقِيلَ اقْعُدُوا}** من القائل؟ الجواب: النفس، فالنفس تحدث الإنسان تقول:

اقعد هذه المرة واذهب المرة الثانية. فالشيطان يثبط عن الخير، وجليس السوء يثبط عن الخير.

ولهذا حذف الفاعل -أي القائل- ليكون أشمل، فالذين يقولون: **{اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ}** هم عدة، ذكرنا ثلاثة منهم: النفس والشيطان، وجليس السوء.

(وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ).

وهذا هو إثبات الرضا السابق، لكن السابق (رضا الأعمال)، واللاحق (رضا العامل)، وهذا هو الذي جعلنا نفصل هذا من ذلك، وإلا فالصفة واحدة وهي الرضا، لكن لماذا فصلناها؟

الأول: رضا الأعمال، والثاني: رضا العاملين، هذا هو الذي جعلنا نفصل هذا عن ذلك، وإلا فالصفة واحدة، وهي الرضا، إذًا الله تعالى يرضى عن العمل، ويرضى عن العامل **{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ}**.

رأى الأشاعرة في صفة الرضا:

كما قلت لكم: أهل التحريف من الأشاعرة وغيرهم لا يؤمنون برضا الله عز وجل، يقولون: المراد بالرضا: "الثواب" أو "إرادة الثواب"، وإنما قالوا "أو إرادة الثواب": لأنهم يثبتون الإرادة.

{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} ماذا تعني على كلامهم؟ أي: أناهم، {وَرَضُوا عَنْهُ} قالوا: (أيضاً الإنسان ما يرضى عن الله، يرضى بالله لكن لا يرضى عن الله)، فمعنى {وَرَضُوا عَنْهُ} أي: عملوا له، أو عملوا لطلب رضاه.

{ذَلِكَ} أي: الثواب المشار إليه {جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} ⁴⁶⁰.

{ذَلِكَ لِمَنْ حَبِطَ رَبُّهُ} فمن خشى الله عز وجل واتقاه فإن الله تعالى يرضى عنه، وسيرضى عن الله تعالى بما يثيبه.

(ونؤمن بأن الله تعالى يغضب على من يستحق الغضب من الكافرين وغيرهم).

والغضب ضد الرضا، فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله موصوفٌ بالغضب على من يستحقه من الكافرين وغير الكافرين، وفي دعاء اللعان: {أَنَّ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} ⁴⁶¹

فما هو الغضب؟ الغضب صفة من صفات الله الفعلية، هم يقولون إن الغضب لا يوصف الله به؛ لأن الغضب غليان دم القلب والله عز وجل لا يوصف بهذا.

فهل الغضب غليان دم القلب؟ نعم، هو غليان دم القلب؛ لأن النبي ﷺ أخبر بأنه جمرة يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم فتنتفخ الأوداج، وتقف الشعور، ويحمر الوجه، لكن هذا غضب المخلوق، أما غضب الخالق فليس هذا، بل هو غضب يليق بجلاله وعظمته عز وجل.

قال تعالى: {الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} هذا وصف لقوله تعالى: {وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} الشاهد من هذه الآية: {وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}.

فما هو ظن السوء بالله؟

ظن السوء بالله أجمع ما قيل فيه: "أن يظن في الله ما لا يليق به"، هذا أجمع ما قيل في ظن السوء.

فمن ظن أن الله لا ينصر أوليائه فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن أن الله ناقص في صفاته فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن أن الباطل يعلو الحق علواً دائماً مستمراً فقد ظن بالله ظن السوء، ومن ظن أن الله لا يبعث العباد ويجازيهم فقد ظن به ظن السوء، وهلم جرا. فظن السوء قاعدته (أن يظن بالله ما لا يليق به)، هذا هو ظن السوء.

قال الله تعالى: {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} يعني: عليهم يدور السوء ويحيط بهم من كل ناحية {وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}.

⁴⁶⁰ سورة البينة، آية (٨).

⁴⁶¹ سورة النور، آية (٩).

وقال تعالى: **{وَلَكِنَّ مِّن شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلِمَهُمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**، **{وَلَكِنَّ}** استدراكٌ مما سبق وهو قوله: **{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنَّ مِّن شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلِمَهُمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**⁴⁶². إذا نحن نؤمن بالغضب.

مذهب المعطلة في صفة الغضب:

فبماذا يفسر أهل التعطيل؟ قالوا: الغضب هو "الانتقام" أو "إرادة الانتقام"، وهذا غلط، يكذبه القرآن، قال الله تعالى: **{فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ}**⁴⁶³، **{آسَفُونَا}** بمعنى: أغضبونا **{انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ}**، فجعل الانتقام نتيجة الغضب، ومعلوم أن الشرط والجزاء يختلفان، الشرط هنا: **{فَلَمَّا آسَفُونَا}**، والجزاء: **{انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ}** فهما شيان متغايران، فالقرآن يكذب قولهم: إن الغضب هو الانتقام.

وكذلك أيضًا "إرادة الانتقام" ليست هي الغضب؛ لأن الغاضب يغضب أولاً ثم يريد أن ينتقم ثانيًا، ثم ينتقم ثالثًا، ولكن نفهم للغضب الحقيقي مبني على الدليل الوهبي الذي سموه (عقليًا).

كذلك (ونؤمن بأن لله تعالى وجهًا موصوفًا بالجلال والإكرام لقوله: **{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}**⁴⁶⁴).

وجه الله عز وجل صفة من صفاته، لكن هل هو صفة معنوية؟ أو صفة فعلية؟ أو صفة خبرية؟
نقول: الوجه صفة خبرية، ليس معنوية ولا فعلية.

فما هو الضابط في الصفات الخبرية المحضة؟

قال شيخ الإسلام رحمه الله: من صفات الله تعالى ما سماه أبعاض لنا، وأجزاء لنا.
أمثلة: الوجه مسماه بالنسبة لنا "بعض"، واليد كذلك: "بعض".

هذه هي صفات خبرية محضة، العقل لا يدركها، ولولا أن الله أخبرنا عنها ما علمنا بها.

وليست معنوية، أيضًا حتى بعد أن أخبرنا الله بها ليست معنوية، بل هي صفةٌ نظير مسماها "أجزاء وأبعاض"، وهذا هو الفرق بيننا وبين قول من يقول المراد بالوجه: الثواب، قالوا: **{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}**. أي: ثوابه، فحملوا الثواب ما لا يحتمل، هل الثواب موصوف بالجلال والإكرام؟ أبدًا، لا يستحق هذا الوصف إلا وجه الله عز وجل.

إذا نؤمن بأن لله وجهًا حقيقيًا، ولكن لو سئلنا عن كلفيته: أمستطيل هو أم مستدير أم مربع أو مدور، أو ما أشبه ذلك؟ ماذا نقول؟ نقول: الله أعلم، ولا يحل لنا أن نتكلم بهذا إطلاقًا، بل نقول: له وجه يليق بجلاله وعظمته، نؤمن به؛ لأن الله تعالى أخبرنا عنه، ووصف به نفسه، ولكننا لا نتعرض لكلفيته؛ لأنه لا إحاطة لنا بذلك، فيقال: **{وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ}**، **{ذُو الْجَلَالِ}** أي: ذو العظمة، **{وَالْإِكْرَامِ}** منه للناس؟ أو من الناس له؟ فيها الوجهان: فهو مُكْرِمٌ لعباده المطيعين له

⁴⁶² سورة النحل، آية (١٠٦).

⁴⁶³ سورة الزخرف، آية (٥٥).

⁴⁶⁴ سورة الرحمن، آية (٢٧).

بالثواب، وهو مكرم من عباده الذين يعبدونه ويتدللون له، فالإكرام هنا مصدر صالح لأن يقع من الله لمن يستحق الإكرام، أو من العباد لله عز وجل وهو أهل للإكرام.

فإن قال قائل: في آية أخرى في سورة الرحمن: **{تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}**⁴⁶⁵، فلماذا قال: **{ذِي الْجَلَالِ}** وفي قوله: **{وَبَيَّنَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ}**؟

الجواب: **{ذُو}** وصف ل**{وَجْهٌ}**، و**{ذِي}** هنا وصف ل**{رَبِّكَ}**.

فتبين بهذا أن الوجه صفة حقيقية قائمة، ولهذا لما جاءت كلمة **{اسْمٌ}** وهي ليست من صفات الله صار النعت للمضاف إليه.

قال: **{وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى يَدَيْنِ كَرِيمَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ}**.

بأن لله يدين: تننية، كريمتين: وصفهما بالكرم، عظيمتين: وصفهما بالعظمة.

لا بد لكل واحد من هذه الأوصاف دليل:

أما دليل التننية فقولته تعالى: **{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}**، وقال تعالى للشيطان: **{مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}**⁴⁶⁶.

الدليل على أنهما كريمتان: قوله: **{مَبْسُوطَتَانِ}**، والبسط ضد القبض، ولهذا جاء في الحديث مفسراً لذلك: **{يَدُ اللَّهِ مَلَأَى سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}**⁴⁶⁷ قال العلماء السحاء: كثرة العطاء، وهذا يدل على أنهما كريمتان، والله ما أكرم من الله، يده ملى، سحاء الليل والنهار، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: **{أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ}**⁴⁶⁸ أخبروني هل هو قليل أم كثير؟ لا يحصى **{فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ}**⁴⁶⁹، أي: لم ينقص، الله أكبر!، وهذا دليل على عظمة كرم الله سبحانه وتعالى، وكثرة خيراته.

أما كونهما عظيمتين: فلقول الله تعالى: **{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}** يعني ما عظم هؤلاء المشركون الله حق تعظيمه، حيث جعلوا له أنداداً لا تساوي شيئاً، لا تنفع ولا تضر، ولا لها قوة ولا سمع ولا بصر.

{وَالْأَرْضُ} الجملة الحالية، يعني والحال أن الأرض جميعاً بما فيها من جبال وأنهار وأشجار وغيرها قبضته يوم القيامة.

⁴⁶⁵ سورة الرحمن، آية (٧٨).

⁴⁶⁶ سورة ص، آية (٧٥).

⁴⁶⁷ أخرجه البخاري (4684)، ومسلم (993)، باختلاف يسير.

⁴⁶⁸ أخرجه مسلم في صحيحه، (993).

⁴⁶⁹ أخرجه مسلم في صحيحه، (٩٩٣).

قبضة، لو سألتكم ما هي القبضة بالنسبة لنا؟ القبضة ما يقبض عليه الإنسان، الإنسان يقبض على اللقمة من الرز مثلاً، يقبض عليها هكذا. **{وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}**، وقد جاء في الحديث أن الله يجعل كل **[الْأَرْضَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالرُّمَى عَلَى إصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ]**⁴⁷⁰، إلى آخره، هل هذا يدل على العظمة؟ إي والله يدل على العظمة. زد على هذا **{وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}** السماوات على عظمها وسعتها مطويات بيمينه **{يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ}**⁴⁷¹ التشبيه هنا تشبيه لأي شيء؟ للطبي بالطبي، لكن ليس معناه أن السماوات مثل سجل الكتب بل أعظم بكثير، لكن لسهولة على الله عز وجل صارت كطي السجل للكتب، الإنسان إذا كتب كتاب -وفي الزمن السابق ما في ظروف يدخل فيها- يطوونه هكذا، ثم يضعون عليه الشمع، ثم الختم على الشمع، والختم على الشمع، وبين الختم، لأن الشمع ما دام حاراً فهو لين، فكانوا يتراسلون بهذه الطريقة، كطي السجل للكتب.

إذاً يد الله عز وجل أولاً: اثنتان، ثانياً: كريمتان، ثالثاً: عظيमतان، الدليل: **{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}**.

إذا قال لنا قائل: هل لنا أن نسأل: أيد الله يمين وشمال؟ أم هي يمين؟ هل لنا أن نسأل هذا السؤال؟
الجواب: لا، لأن الصحابة ما سألوا عنه، لكن السنة جاءت بأن: **[وَكَلْنَا يَدَيْهِ يَمِينًا]**⁴⁷²، وجاءت: **[وَيَأْخُذُ الْأَرْضَ بِشِمَالِهِ]**⁴⁷³، فمن العلماء من أنكر كلمة الشمال، وقال: لا نقول إن لله شمالاً، بل نقول كما قال الرسول ﷺ: **[كَلْنَا يَدَيْهِ يَمِينًا]**، ومن الناس من أثبتها وقال: هذه جاءت في صحيح مسلم.
والجمع بينها وبين قوله: **[كَلْنَا يَدَيْهِ يَمِينًا]** ممكن وسهل يسير؛ لأن الرسول ﷺ لما ذكر اليمين قال: **[وَكَلْنَا يَدَيْهِ يَمِينًا]**: من اليمين وهو البركة، وإنما قال: **[كَلْنَا يَدَيْهِ يَمِينًا]** لئلا يظن الظان أنه إذا تحدث عن الأخرى فهي ناقصة كما هو شأن المخلوق، المخلوق يمينه أقوى وهي أداة الأخذ والبسط وغير ذلك، فقال **[كَلْنَا يَدَيْهِ يَمِينًا]** كقوله: **{وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنِ}**⁴⁷⁴ لئلا يظن الظان أن كون الأخرى شمالاً يقتضي نقصها، فبين أنه لا نقص فيها، وإن كانت توصف بالشمال، والقاعدة عند العلماء أنه: (متى أمكن الجمع وجب المصير إليه)، ولا نقول: هذه شاذة أو هذه غير صحيحة، إذا أمكن الجمع فاجمع.

هل لله أصابع؟

الجواب: لله أصابع.

⁴⁷⁰ أخرجه البخاري (7451)، ومسلم (2786)، بمعناه.

⁴⁷¹ سورة الأنبياء، آية (١٠٤).

⁴⁷² أخرجه مسلم في صحيحه، (١٩٢٧).

⁴⁷³ المعجم الأوسط للطبراني، باختلاف يسير.

⁴⁷⁴ سورة النساء، آية (٩٥).

هل ثبوت الأصابع من لازم ثبوت اليد؟

الجواب: لا، لكن الأصابع جاءت بدليل آخر، بل بأدلة ومنها: **{قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ}**⁴⁷⁵، هذا الحديث طَبَّلَ عليه وزمَّرَ المعطَّلة، قالوا: (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، هذا يدل على أن اليد غير اليد الحقيقية، وأن الإصبع غير الإصبع الحقيقي!!)، قلنا: لم؟ قال: (لأن أصابع الرب عز وجل يقول الرسول ﷺ فيها: **{بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ}**) ونحن لا نشعر بأن في صدورنا أصابع لله. المس صدرك، هل تحس بأن هناك أصابع، وأن القلب بينها؟ ماذا تقول؟ تقول: لا. وهذا هو الواقع، فإذا الحمد لله يعني تبين الآن أن تأويلنا صحيح وأن **{بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ}** كناية عن القدرة والسلطة على بني آدم، فهي كقوله تعالى: **{وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ}**⁴⁷⁶ ماذا تقولون بهذا؟

وكلامهم هذا ليس تحريفاً، بل هذا تحقيق لا شك. وشبهة قوية لأنهم قالوا: (إن قلتم بالحقيقة لا بد أن نشعر بأن هناك أصابع قابضة على القلب **{بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ}**). فنقول لهم: لا تنظروا للنصوص بعين الأعور الذي لا ينظر إلا بعين واحدة، ولهذا لا تُجزئ في الأضحية العوراء البين عورها. بل انظروا إلى النصوص من كل جانب، هل يلزم من كون القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن هل تلزم المماساة؟

الجواب: لا تلزم، ألم يقل الله تعالى: **{وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}**⁴⁷⁷ مسخرٌ بين السماء والأرض، وهل هو يمس السماء؟ لا، هل يمس الأرض؟ لا، إذا البينية لا تقتضي المماساة، فإذا كانت لا تقتضي المماساة، بل -الأصح- لا تستلزم المماساة- نقول: القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، ولا يلزم المماساة.

وهذا نجم بين الأدلة، نقول: قلوبنا بين إصبعين من أصابع ربنا، -ونسأل الله ألا يزيغها-، ولكن لا يلزم من هذا المماساة، ونؤمن بأنها حقٌّ على حقيقتها، لكن كما قلنا لكم: إن الله عز وجل بحكمته أنزل النصوص، وجعل بعضها متشابهاً امتحاناً من الله سبحانه وتعالى ليبتلي من في قلبه زيغ ممن هو راسخ في العلم ولهذا قال: **{وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}**⁴⁷⁸ ولم يقل (العلماء): -انتموها يا إخوان إلى التعبير- **{مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ}**⁴⁷⁹ ثم قال: **{وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}** ولم يقل: والعلماء إشارة إلى أن المسألة تحتاج إلى رسوخ في العلم، وإحاطة بالنصوص، وفهم للمعنى، الراسخون في العلم يقولون لا تشابه ولا تناقض: **{كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}**⁴⁸⁰.

⁴⁷⁵ أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٦٥٤)، باختلاف يسير.

⁴⁷⁶ سورة الأنفال، آية (٢٤).

⁴⁷⁷ سورة البقرة، آية (١٦٤).

⁴⁷⁸ سورة آل عمران، آية (٧).

⁴⁷⁹ سورة آل عمران، آية (٧).

⁴⁸⁰ سورة آل عمران، آية (٧).

السائل: أعد الجمع بين اليمين والشمال، خلاصته؟

الشيخ: خلاصته: أننا نثبت بأن لله شمالاً، وأن معنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام: **[كَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينٌ]** أي: من اليمين والبركة، وأنه قال لما ذكر: **[اخْتَرْتُ يَمِينَ رِيٍّ، وَكَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينٌ مَبَارَكَةٌ]**⁴⁸¹ إنه ذكر ذلك لئلا يتوهم واهم بأن الشمال ناقصة فقال: **[كَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينٌ]**.

السائل: أحسن الله إليكم، بينتم في صفة اليدين كل شيء، بقي قول الله تعالى: **{يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}**⁴⁸² يد هنا مفرد، وأيديهم أيضاً جمع، ما بينتم ذلك.

الشيخ: ما ذكرنا نحن إلا آية في الموضوع، فما هو الإشكال؟

السائل: ما في إشكال، لكن قد يقول قائل مثلاً: يد الله هنا مفرد، وهناك جمع.

الشيخ: أحسنت، هذه لو أننا صبرنا إلى أن تأتي صفة العينين أيضاً، العينين جاءت بالجمع والإفراد، واليد جاءت بالجمع والإفراد والتثنية، لكن أنا أقول: يا إخواني قال الله تعالى: **{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}**⁴⁸³ أي: بقوة. فهل تعدوني معطلاً؟ الطالب: لا.

الشيخ: لا يا إخوان، أنا أقول: أيد المراد بها القوة.

الطالب: صحيح.

الشيخ: ولا أصير معطلاً إن شاء الله؟ لماذا؟

الطالب: لأنها لم تضاف إلى الله.

الشيخ: لأنها لم تضاف إلى الله، وأيضا القرآن يفسر بعضه بعضاً **{أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا**

رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا}⁴⁸⁴، **{وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا}**⁴⁸⁵ أي: قوية، وعلى هذا فيكون **{بِأَيْدٍ}** أي بقوة و**{أَيْدٍ}** هنا ليست

جمع يد بل هي مصدر (أد يئيد أيداً)، ونظيرها في المصدر (باع يبيع بيعاً)، فليست جمع يد.

السائل: يا شيخ **{بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}** بالكتابة يعني بييد.

الشيخ: آه هذه الرسم العثماني.

الطالب: ورش.

الشيخ: نعم، ما هو القاعدة المعروفة، فالرسم العثماني على خلاف القياس.

⁴⁸¹ صحيح، أخرجه الترمذي (3368)، والنسائي (١٠٠٤٨)، باختلاف يسير.

⁴⁸² سورة الفتح، آية (١٠).

⁴⁸³ سورة الذاريات، آية (٤٧).

⁴⁸⁴ سورة النازعات، آية (٢٧ - ٢٨).

⁴⁸⁵ سورة النبأ، آية (١٢).

السائل : ما علة الأشاعرة في نفي الرضا؟ لماذا لم يقولوا: أنه صفة لله عز وجل؟

الشيخ : يقولون لأن الرضا انفعال، انفعال يعتري الإنسان بحصول ما يناسبه، والله منزه عن الانفعال، وعن الأفعال!!، ويقولون: كلمة عجيبة: سبحان من تنزه عن الأبعاد والأغراض والأعراض!! كلمات إذا سمعها العامي صاح: سبحانك! سبحانك! (فسبحان من تنزه عن الأبعاد) عندهم ينكرون به الوجه واليدين والعينين والقدم والساق؛ لأن هذه أبعاد، والأعراض: هي جميع الصفات الفعلية، يقولون: لأن صفات الفعل عرضٌ يزول، الإنسان يغضب ثم ينبذ الغضب، لذلك فإن الله لا يغضب؛ لأن هذا عرض، واستوى على العرش بعد أن لم يكن مستويًا عليه، يقول: هذا عرض، فهو منزه عن كل الأفعال الاختيارية، الله منزه عنها عندهم، أما الأغراض: الحكم، ما في شيء معلل بحكمةٍ إطلاقًا، لا في الشرع ولا في القدر، وإنما يفعل الله تعالى ما يشاء، بدون حكمة!!، وعلى رأيهم فيجوز أن يفعل الله تعالى ما هو سفيه، احفظ هذا التنزيه المكون من هذه الكلمات الثلاث، ولكن لا تعتقده، احفظه ولا تعتقده.

الشيخ: اقرأه علي.

الطالب: سبحان الذي تنزه عن الأعراض والأغراض والأبعاد.

الشيخ: نعم، تمام.

السائل : الرد عليهم شيخنا؟

الشيخ : نقول: ماذا تريدون بالأبعاد؟ هل تقولون: الله ليس له بعض، نوافقكم على نفي اللفظ، لا نقول: أن الله بعض، ولا نقول: إن اليد بعض من الله، نقول: اليد بعض منا، صحيح، لكن تنزه الله عن الأبعاد؛ لأننا يوهم معنى باطلا؛ لأن "بعض الشيء" ما جاز انفصاله عن الشيء، مع بقاء الشيء دونه.

الشيخ: الآن يمكن الإنسان تنفصل يده عنه والا لا؟

الطالب : نعم.

الشيخ : ويبقى مع انفصالها، هل نقول: إن يد الله تعالى يلحقها هذا الجائز، أبدًا ما نقول، ولذلك لا تجده في كلام العلماء - علماء السلف- أن اليد بعض من الله، أو الوجه بعض منه، أو العين بعض منه، أو الساق أو القدم.

السائل: يلزم أن نقول: بالانفصال إذا قلنا بأنه "بعض"؟

الشيخ: نعم، ما نقول هكذا، نقول: يد حقيقية تليق به عز وجل، ولا تماثل أيدي المخلوقين فقط.

-الدرس الثاني والعشرون-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

(ونؤمن بأن لله عينين اثنتين حقيقتين؛ لقوله تعالى: {وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا} ⁴⁸⁶، وقال النبي ﷺ: [حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه] ⁴⁸⁷، وأجمع أهل السنة على أن العينين اثنتان).

تنبيه نحوي:

(العينين) الأفصح والمشهور كسر النون الأخيرة في المثني، وفتحها في جمع المذكر السالم، وقد تفتح في المثني، ومنه قول الشاعر: أعرف منها الجيد والعيانا ومنخرين أشهما ظبيانا هكذا استدل النحويون، لكن القائل رجل من بني ضبة؛ ولذلك يقع في النفس شك من أن هذا مصنوع؛ لأنه الآن جمع بين لغتين: (أعرف منها الجيد والعيانا) فألزم المثني الألف ولم ينصبه بالياء، (ومنخرين) نصبه بالياء، والعربي لا يمكن أن يأتي بلغتين، العربي لغته ولهجته واحدة؛ فلذلك القول بأنه مصنوع -يعني: مكذوب- قول قوي.

(وأجمع أهل السنة على أن العينين اثنتان، ويؤيده قول النبي ﷺ في الدجال: [إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور] ⁴⁸⁸).

بسم الله الرحمن الرحيم

(ونؤمن بأن لله تعالى عينين اثنتين حقيقتين).

بأن لله (عينين): تثنية، (اثنتين): تأكيد، (حقيقتين) نفي للمجاز، فالله سبحانه وتعالى له عينان اثنتان حقيقتان.

الدليل: قول الله تبارك وتعالى: {وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا}.

فإن قال قائل: (الدليل لا يطابق المدلول، لأننا قلنا "عينين" واستدلنا بقوله: {بِأَعْيُنِنَا}! ومن شرط الدليل أن يكون مطابقاً للمدلول، فكيف ذلك؟!).

أقول: إن وجه المطابقة أن قوله: {بِأَعْيُنِنَا}، جمع لفظاً لا معنى؛ كيف ذلك؟!

لأن الثابت أن لله عينين اثنتين، والجمع هنا إما أن يراد به: مطلق التعدد، وإما أن يراد به: التعظيم.

فإن أردنا مطلق التعدد فهو على قول من يقول: إن أقل الجمع اثنتان.

وإذا قلنا المراد به التعظيم صار المراد بهذا الجمع: التعظيم، لا حقيقة العدد.

وكلاهما صحيح، يعني: إن قلنا: بأن الجمع يدل على مطلق التعدد -ولو اثنتين- فالأمر واضح، وإن قلنا: إنه يدل على ثلاثة فأكثر، لكن جمع هنا للتعظيم، فهو أيضاً واضح.

ووجه كونه للتعظيم: أنه أضيف إلى ما يقتضي العدد وهو "نا"، وهي هنا لا شك أنها للتعظيم؛ لأن الله واحد عز وجل، فإذا

⁴⁸⁶ سورة هود، الآية (37).

⁴⁸⁷ أخرجه مسلم، رقم (179).

⁴⁸⁸ أخرجه البخاري رقم (7131)، ومسلم (2933).

كانت للتعظيم فإن تعظيم المضاف إليه اكتسب منه المضاف تعظيماً، فصار: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}⁴⁸⁹ وليس لله أكثر من اثنتين، فهذا تقرير وجه الاستدلال بالآية.

(وقال النبي ﷺ: [حجابه النور]) حجاب الرب عز وجل الذي احتجب به عن المخلوقات النور، وهو نور عظيم عظيم!! لا يشابه نور الشمس، ولا غيره مما نشاهد، بل هو أعظم، ومع ذلك [لو كشفه لأحرقت سُبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه].

السُّبحاتُ: المهاء والعظمة والجلال، لو كُشِفَ هذا النور الحائل بين الله وبين الخلق لأحرقت سُبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

الشاهد من هذا الحديث قوله: [بصره]، حيث أثبت لله تعالى بصراً.

وقوله: [لأحرقت سُبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره]، لا يقال: إن هذا دليلٌ على أن لبصر الله منتهى، ولكنه فيه دليل على أن المُبصر له منتهى دون البصر، وإذا كان يحترق ما انتهى إليه البصر من خلقه، صار كل الخلق يحترق، لو كشف الله النور -حجابه الذي احتجب به عن الخلائق- لاحتقرت الخلائق كلها، من أي شيء؟! من النور العظيم؛ [لأحرقت سُبحاتُ وجهه] وهو بهاؤه ونوره وعظمته ما انتهى إليه بصره من خلقه، فسبحان الله العظيم! يعني هذا تمثيل عظيم جداً.

فدل ذلك أيضاً على أن هاتين العينين يبصر بهما جل وعلا؛ لأن العينين هما أداة الإبصار، ولو لم يرد [ما انتهى إليه بصره] ما كنا نعقل إلا أن للعينين إبصاراً، وإلا لكانت هذه العين ناقصة.

الآن تقرر لدينا عقيدة: أن لله عينين، اثنتين، وأنها حقيقتان، بدليل أن بهما بصراً، والدليل أن بهما بصراً قوله: [لأحرقت سُبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه].

وأما قول بعض الناس: لماذا تثبت أن الله يرى بعينه؟ من أين لك هذا؟

نقول: سبحان الله، العين عند الإطلاق تفيد معنى النظر بها، ثم لدينا هذا الدليل: [ما انتهى إليه بصره من خلقه].

ثم قال: (وأجمع أهل السنة على أن العينين اثنتان)، بإجماع أهل السنة. نقل ذلك الإجماع أبو الحسن الأشعري وغيره ممن اعتنوا بنقل الآثار على أن أهل السنة أجمعوا على أن لله عينين اثنتين فقط.

وأما من قال: بل له عينٌ كثيرة لا تنحصر باثنتين، فقله خطأ -لا شك:-

- أولاً: أنه مخالف لإجماع أهل السلف.

- ثانياً: أنه مخالف للدليل، والدليل سبق الكلام عليه.

⁴⁸⁹ سورة القمر، الآية (١٤).

وهنا دليل أوضح: قال: (ويؤيده قول النبي ﷺ في الدجال: [إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور]).

الدجال هو رجل من بني آدم، يبعثه الله تعالى في آخر الزمان فتنة للناس، يدعي أول ما يظهر -كما قال بعض المؤرخين- أنه نبي، ثم في التالي يدعي أنه رب وإله، ويعطيه الله عز وجل من الآيات ما به فتنة للمفتنين، يأتي إلى القوم يدعوهم إلى نفسه، وأنه ربُّ، فإذا أبوا أصبحوا مُّجَلِّين؛ أي: أرضهم يموت نباتها، ولا يبقى لهم شيء، وكذلك أيضًا بهائمهم تموت، وإذا دعا القوم وأجابوا دعوته أمر السماء فأمطرت، وهم يشاهدون، يقول: يا سماء أمطري، فتمطر، والأرض، يا أرض أنبتي، فتنبت، فتعود إليهم سارحتهم أوفر ما تكون لحمًا وشحمًا وضروعًا، هذه فتنة عظيمة من أكبر الفتن لا سيما عند البادية.

هذا الرجل الدجال يفتن الناس، ومن شدة الفتنة والذهول لا يتدبر الإنسان تدبرًا عقليًا يعرف به أن هذا ليس بإله؛ ولهذا أعطانا رسول الله ﷺ آيةً بل آياتٍ على أنه ليس بإله، فقال: [واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا]⁴⁹⁰، لكن هذه آية يعقلها القلب، ربما لشدة الأمر ينساها، ينسى هذا ولا يذكره.

وتوجد آية حسية وهي: [مكتوب بين عينيه كافر]⁴⁹¹، يقرؤه كل مؤمن، الكاتب وغير الكاتب، حتى الذي لا يعرف يكتب ولا يقرأ، يقرأ [كافر] بين عينيه، هل هذه آية حسية أم لا؟ الجواب: نعم، لا يذهل عنها الإنسان؛ لأنه يشاهد الرجل.

كذلك علامة حسية أخرى: [أنه أعور]، إحدى عينيه عوراء، والروايات مختلفة أهي اليمنى أم اليسرى، المهم أنه أعور، وهذه علامة فارقة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: [إن ربكم ليس بأعور].

وجه الدلالة على أن هذا الحديث يدل على أن الله له عينان فقط، لأنه لو كان لله أكثر من عين لكانت هذه الكثرة كمالات؛ أليس كذلك؟ لأن كل صفة يتصف الله بها فهي كمال، ويحصل بها العلامة الفارقة بين الدجال وبين الرب بلا شك، فإذا كان الله عز وجل له ثلاث أعين، وهذا الدجال كم له من عين؟ عينان، يكفي أن يتميز الخالق من هذا الدجال! فلما لم يذكر الثلاث عُلم أنه ليس له ثلاث، وأن له اثنتين فقط يشاركه فيهما الدجال في كون عيني الدجال اثنتين، لكن تتميز عين الخالق عز وجل بأنها كاملة، ليس بها نقص، وعين الدجال بأنها عوراء.

وهذا يتقرر تقررًا تامًا تنبني عليه العقيدة: أن الله ليس له إلا عينان اثنتان، وهو ما أجمع عليه أهل السنة، فهذا الذي نؤمن به، وليس لله أكثر من عينين.

وهذا نعرف أن عين الله عز وجل جاءت مرة بالإفراد، ومرة بالجمع فقط، ومرة بالثنائية لكنه حديث ضعيف، أن النبي ﷺ قال: [إذا قام أحدكم يصلي فإنه بين عيني الرحمن]، لكن الحديث ضعيف ذكره ابن القيم في (الصواعق المرسلّة) إلا أنه ضعيف، لكننا -في الحقيقة- في غنى عنه لحديث الدجال.

⁴⁹⁰ أخرجه مسلم، رقم (169).

⁴⁹¹ أخرجه البخاري رقم (1555)، ومسلم رقم (166).

فإذا قال قائل: ما الجمع بين: المفرد والجمع: **{وَلْتُصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي}**⁴⁹² و**{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}**؟
نقول: الجمع بينهما سهل: (عين) مفرد، ومَرَّ علينا في أصول الفقه: أن المفرد المضاف يعمُّ، فإذا كان يعمُّ فإن قوله: **{عَيْنِي}** لا يمنع التعدد؛ لأنه يشمل كل ما ثبت لله من عين.

أما الجمع فإنما جُمع للتعظيم، والجمع للتعظيم لا يستلزم التعدد، فضلاً عن أن يحصر العدد باثنين، أرايتم قول الله تعالى: **{إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا}**⁴⁹³، و**{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ}**⁴⁹⁴، هذا جمعٌ لا يستلزم التعدد، بل هو للتعظيم فقط، إذًا: **{بِأَعْيُنِنَا}** جمعها للتعظيم فلا يستلزم التعدد، هذا إذا لم نقل: إن الجمع يدل على "مطلق التعدد".

بقي عندنا الثالث من الوجوه: أنه ورد بصيغة التثنية، أن لله عينين اثنتين، نقول: هذا نص في العدد، فيؤخذ به. فنحن نؤمن بأن لله عينين، وما ذكر بصيغة الإفراد: فهو يعم الواحد وأكثر، وما ذكر بلفظ الجمع: فهو على سبيل التعظيم.

وكذلك يقال في اليدين، اليدان وردت على ثلاث وجوه: إفراد، وتثنية، وجمع.

- فمن الإفراد قوله تعالى: **{قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ}**⁴⁹⁵، وقوله: **{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}**⁴⁹⁶.

- ومن الجمع قوله تعالى: **{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا}**⁴⁹⁷، **{أَيْدِينَا}**: جمع.

- ومن التثنية قوله تعالى: **{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}**⁴⁹⁸، وقوله: **{مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ}**⁴⁹⁹.

فما الجمع؟!.

نقول: أما ما جاء بلفظ الإفراد: فهو مفرد مضاف، فيكون عامًّا، ولا يمنع التعدد.

وأما ما جاء بلفظ الجمع: مثل قوله: **{مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا}**، فالمراد به التعظيم.

⁴⁹² سورة طه، الآية (٣٩).

⁴⁹³ سورة مريم، الآية (٤٠).

⁴⁹⁴ سورة الحجر، الآية (٩).

⁴⁹⁵ سورة المؤمنون، الآية (٨٨).

⁴⁹⁶ سورة الملك، الآية (١).

⁴⁹⁷ سورة يس، الآية (٧١).

⁴⁹⁸ سورة المائدة، الآية (٦٤).

⁴⁹⁹ سورة ص، الآية (٧٥).

وأما ما جاء بلفظ التثنية: فهو نص في العدد، فيكون حقيقة الأمر أن له يدان اثنتان.

وقال: (ونؤمن بأن الله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} ⁵⁰⁰.
ونؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)} ⁵⁰¹).

هاتان آيتان تدلان على صفة واحدة، وهي أن الله تعالى يُرى.

فمتى يُرى؟ أيرى في الدنيا أم في الآخرة؟

نقول: أما في الدنيا فلا يُرى يقظة أبداً، ما رآه أحد يقظة، لماذا؟ لأن بني آدم لا يحتملون النظر إلى الله عز وجل، فأبدانهم ضعيفة لا تحتمل، ولهذا لما قال موسى: {رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} قَالَ لَهُ: {لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي}، سبحان الله، لأجل أن يعلم موسى أنه لا يمكن أن يرى الله، {فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا}، اندك الجبل، وهو حجر أصم، اندك وصار تراباً، موسى عليه الصلاة والسلام عجز عن أن يقاوم هذا المشهد، {وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا}، سقط على الأرض مغشياً عليه، {فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} ⁵⁰².

بهذا عرفنا أنه لا يمكن أن يرى أحد ربه في الدنيا، لعدم احتمالته لذلك، وإذا كان الجبل عجز أن يحتمل فالبشر من باب أولى.

فإن قال قائل: هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج؟

الجواب: لا، ما رآه، ولهذا سُئِلَ النبي ﷺ -نَفْسُهُ-: هل رأيت ربك؟ قال: [نُورٌ، أَنَّىٰ أَرَاهُ؟] ⁵⁰³، وفي رواية: [رَأَيْتُ نُورًا] ⁵⁰⁴، ما هذا النور؟ نُورُ الْحِجَابِ، فقوله: [نُورٌ، أَنَّىٰ أَرَاهُ؟]، يعني كيف أراه مع وجود هذا النور الذي يحجب بيني وبينه؟ و[رَأَيْتُ نُورًا] تفسرها.

إذا لم يَرَ النبي ﷺ ربه بإقراره هو -صلوات الله وسلامه عليه- على نفسه.

فإن قيل: ألم يرو عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى ربه ⁵⁰⁵؟

الجواب: بلى، ولكن قال شيخ الإسلام رحمه الله: إن ابن عباس لم يقل: رآه بعينه، بل رآه بفؤاده، والمعنى أنه لقوة يقينه

⁵⁰⁰ سورة الأنعام، الآية (١٠٣).

⁵⁰¹ سورة القيامة، الآيات (٢٢-٢٣).

⁵⁰² سورة الأعراف، الآية (١٤٣).

⁵⁰³ أخرجه مسلم، رقم (291/178).

⁵⁰⁴ أخرجه مسلم، رقم (292/178).

⁵⁰⁵ أخرجه مسلم، رقم (176).

صار كأنه رآه، لقول النبي ﷺ: [الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ...] ⁵⁰⁶. وما قاله شيخ الإسلام هو الحق، وهو أن النبي ﷺ لم يَرِبه يقظَةً، ولا يمكن أن يَرَاهُ.

أما منامًا ففيه الحديث المشهور: حديث أن الله تعالى قال: [أتدري فيم يختصم المملأ الأعلى؟] ⁵⁰⁷. وقد شرحه ابن رجب ⁵⁰⁸ رحمه الله شرحًا جيدًا وافيًا: أن الرسول ﷺ رآه في المنام.

إذًا: تعين أن يكون الإيمان برؤية المؤمنين ربه يوم القيامة.

متى يرونه؟

الجواب: يرونه في عَرَصَاتِ القيامة، ويرونه إذا دخلوا الجنة. أما رؤيتهم إياه في عَرَصَاتِ القيامة: فهي رؤية امتحانٍ واختبارٍ.

وأما رؤيتهم إياه بعد دخول الجنة -أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يراه في ذلك المكان- فهي: رؤية إكرام، يكرمهم عز وجل إذا كشف الحجاب لهم عن وجهه فرأوه، ولا يرون نعيمًا أنعم ولا ألد من الرؤية إلى وجهه الله، ولهذا جاء في الحديث: [أسألك لذة النظر إلى وجهك] ⁵⁰⁹.

فإذًا في عَرَصَاتِ القيامة يرونه رؤية امتحانٍ واختبارٍ، كيف ذلك؟

يجتمع المؤمنون والمنافقون، ثم يأتيهم الله تعالى في الصورة التي يأتيهم الله عليها، كما يشاء عز وجل، ثم يأمرهم بالسجود، فمن كان يسجد لله في الدنيا طواعيةً عن إيمانٍ يسجد لله عز وجل، ومن لا، فإن ظهره يقف، ولا يستطيع السجود، قال الله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذُلُّهُمْ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} ⁵¹⁰، {وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ} متى؟ في الدنيا {وَهُمْ سَالِمُونَ} ليس بهم بلاء، ولا يسجدون!.

أما في الجنة فهي رؤية إكرامٍ يأذن عز وجل لهم فيزورونه، ثم يكشف عنهم الحجاب فيرونه.

نحن نؤمن بذلك، بأننا نرى ربنا يوم القيامة، على الوجه الذي جاء في الكتاب والسنة، رؤية حقيقية، أكدها الرسول عليه الصلاة والسلام أشرف الخلق، وأعلم الخلق بالله، وأنصح الخلق للخلق، وأصدق الخلق فيما يقول، قال: [إنكم سترون

⁵⁰⁶ أخرجه البخاري، رقم (50)، ومسلم، رقم (9).

⁵⁰⁷ أخرجه الإمام أحمد (368/1)، والترمذي (3234/3233).

⁵⁰⁸ مجموع رسائل ابن رجب (3/4).

⁵⁰⁹ أخرجه الإمام أحمد (264/4)، والنسائي (1305).

⁵¹⁰ سورة القلم، الآية (٤٢-٤٣).

ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته، وكما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحب⁵¹¹، أكدها تأكيداً بالغاً، وكان هذا القول يردُّ على القلب مؤمناً به، ومصداقاً به؛ لأنه صريحٌ لا يحتمل التأويل.

-الدرس الثالث والعشرون-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأدلة من القرآن والسنة على رؤية الله:

في القرآن: أربع آيات أو خمس، كلها تدل على رؤية الله عز وجل.

- الآية الأولى: قول الله تبارك وتعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} ⁵¹²

وجه الدلالة: أن نفي الإدراك يدل على وجود أصل الرؤية، إذ لو لم يكن أصل الرؤية موجوداً لكان نفي الإدراك لغواً لا فائدة منه.

والعجب أن الذين أنكروا رؤية الله استدلوا بهذه الآية: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}، فنقول الحمد لله أنكم حملتم مشعلاً يحرقكم.

حملوا مشعلاً يحرقهم، هل هذه الآية دليل عليهم أم لهم؟ دليل عليهم لا شك، فربنا عزَّ وجل لم يقل (لا تراه الأبصار)، بل قال: {لَا تُدْرِكُهُ}، وهذا يدل على أن الأبصار تراه لكن لا تدركه، كما نرى الشمس الآن، فهل نحن ندركها؟ الجواب: بمجرد العين لا ندركها!!

- الآية الثانية: قوله تعالى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} ⁵¹³

في يوم القيامة الوجوه تختلف، وجوه عليها غبرة ترهقها قترة، ووجوه باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة، وجوه عليها نضرة النعيم كما قال تعالى: {وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةٌ وَسُرُورًا} ⁵¹⁴، نضرة حسنة، ولذلك {نَاضِرَةٌ} بالضاد، وليست بالطاء، لأنها من النضارة، وهي الحسن.

⁵¹¹ أخرجه البخاري، رقم (554)، ومسلم (633).

⁵¹² سورة الأنعام الآية (103).

⁵¹³ سورة القيامة الآية (22-23).

⁵¹⁴ سورة الانسان الآية (11).

{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} هذه الوجوه الناضرة، الثيرة، الحسنه أهل لأن ترى الربَّ عزَّ وجل فتتنظرُ إلى الله، ولهذا قال: {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، تأمل كيف قال الله {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، ولم يقل (ناظرة إلى ربها)، فقدَّم المتعلِّق على المتعلِّق لفائدتين الأولى: مراعاة الفواصل. الثانية: الحصر.

يعني كأنها لا تنظر إلا إلى الله؛ لأن جميع ما تنظر إليه ليس شيئاً بالنسبة إلى النظر إلى الله.

- الآية الثالثة: قول الله تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} 515.

أين الدليل؟ الدليل: أن النبي ﷺ فسَّرَ الزيادة بـ[النظر إلى وجه الله] 516، وأعلمُ الخلق بمعاني كتاب الله هو رسول الله ﷺ، إذاً هذه الآية فيها دليل على رؤية الله، من الذي دلنا على أن فيها دليلاً؟ الرسول عليه الصلاة والسلام.

- الآية الرابعة: قول الله تبارك وتعالى: {كَأَلَّا إِتَّهَمُوا عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمْ يَجُوبُونَ} 517.

يعني بذلك: الفُجَّارُ: {كَأَلَّا إِتَّهَمُوا عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمْ يَجُوبُونَ}، والمؤمنون غير محجوبين؛ لأنهم لو كانوا محجوبين لم يكن هناك فرق بينهم وبين الفُجَّارِ، ولهذا جاء عن الشافعي رحمه الله أنه قال: (ما حَجَبَ هؤلاء في الغضب إلا وهو لم يحتجب عن الأبرار في الرضا)، وهذا استنباط جيد؛ لأنه لو كان الجميع محجوبين ما كان هناك فائدة، لأنهم كلهم محجوبون عن الله، فذكر الله أن هؤلاء محجوبين عن الله، يدل على أن الأبرار -وهم ضدّهم- غير محجوبين عن الله عز وجل.

- الآية الخامسة: قول الله تبارك وتعالى: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} 518.

هذه الآية ليست صريحة جداً، لكن لقائل أن يقول (المزيد) هنا هو الزيادة في قوله: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} فنفسر المزيد بأن منه النظر إلى وجه الله. هذه خمس آيات.

- الآية السادسة: قول الله تبارك وتعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرْزَاقِ يُنظَرُونَ} 519، كذلك هذه الآية من سورة

المطففين، السورة هي السورة التي فيها الفُجَّارُ: {كَأَلَّا إِتَّهَمُوا عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمْ يَجُوبُونَ}.

{عَلَى الْأَرْزَاقِ يُنظَرُونَ} إذاً ماذا ينظرون؟ ينظرون إلى ربهم أول ما يدخل فيها، ثم ينظرون إلى ما أمدّهم الله به من النعيم، من الزوجات، من الأشجار، من الأنهار، من كل شيء، فهم ينظرون إلى كل ما أنعم الله به عليهم، وأعظمُهُ النظر إلى وجه الله عزَّ وجل.

فالأيات التي عندنا هي ست آيات، منها ما هو صريحٌ جداً ومنها ما هو دون ذلك، لكنها كلها تدل على رؤية الله عزَّ وجل.

515 سورة يونس الآية (26).

516 أخرجه الألباني في تخريج كتاب السنة (473)، وحكم عليه بأنه صحيح موقوف.

517 سورة المطففين، الآية (15).

518 سورة ق، الآية (35).

519 سورة المطففين، الآيات (22-23).

أما الأحاديث: فإنها متواترة عن الرسول عليه الصلاة والسلام، كما قيل:

مما تواتر حديثٌ مَنْ كَذَبَ وَمَنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْتًا وَاحْتَسَبَ
ورؤيةً شفاعَةً والحَوْضُ ومَسْحُ حُفَيْنٍ وهذِي بعضُ

هكذا نظمها بعض المُحَدِّثِينَ، وقوله: (وهذي بعضُ) ليست كل هذه المتواترة، هناك أحاديث كثيرة غيرها متواترة. والشاهدُ من هذين البيتين قوله: (ورؤيةً)، والأحاديث المتواترة تفيد اليقين القطعي الذي لا يمكن معارضته ولا دفعه، انتموها! إذا لدينا القرآن ومتواتر السُّنة.

والدليل الثالث: إجماع السلف على ذلك، فما من أحد من الصحابة ولا التابعين ولا الأئمة من بعدهم قال إن الله لا يُرى، ولهذا أطلق بعض العلماء الكفرَ على من أنكر رؤية الله، وقال: إذا لم يؤمن بهذا مع هذه الأدلة الظاهرة الناصعة القطعية فقد أنكر معلومًا بالضرورة من الدين، وأطلقوا الكفر على من نفى رؤية الله عزَّ وجل.

لكن هل لنا أن نقول: اللهم من أنكر رؤيتك في الآخرة فاحرمه منها!

الطالب: نعم.

الشيخ: نعم، نحن نقول ما قاله هو لنفسه، هو يقول إنه محرومٌ منها، فهل دعونا عليه عدوانًا؟

الطالب: لا. ما دعونا عليه عدوانًا.

الشيخ: لماذا؟

الطالب: لأنه لما أنكر الرؤية فبلسان حاله يقول أنا محروم.

الشيخ: نعم محروم سواء دعوت أو لم تدع، فإذا قلنا: اللهم من أنكر رؤيتك في الآخرة فاحرمه منها، فإننا لم نظلمه على حد قوله، لأنه سيقول أنا محروم منها سواء دعوت أم لم تدعوا!

وأقول لكم لو قلت "اللهم اجعله ممن ينظر إليك يوم القيامة" لكنتم معتدين في الدعاء، لأنه يرى أن رؤية الله مُحال.

سبحان الله العظيم {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا} 520.

يعني هذا الرجل لو قلت "اللهم اجعله ممن ينظر إليك يوم القيامة"، لقال: (أعوذ بالله! {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا

يُجِبُّ الْمُعْتَدِينَ} 521 وأنت معتدٍ في الدعاء. لأنك سألت ما لا يجوز، ما هو ممتنع عن الله، وهذا حرامٌ عليك والعياذ

بالله!!، ولو قلت: (اللهم من لا يؤمن برؤيتك في الآخرة، احرمه من رؤيتك). لقال: (أحسننت بارك الله فيك، هذا ما أريد).

إذا نحن لم نظلمه، لكن في ظني أنه في قرارة نفسه لو قلنا أمامه: أسأل الله أن يحرمك من رؤيته يوم القيامة، سيقشعرُ

جلده وسينقبضُ قلبه، وإن كان هو بلسانه لا يصدق فسوف يرى أن هذا الدعاء عظيم، لأنني أنا أدعوه به وأنا مؤمن بأن

الله تعالى يُرى حقًا، وأني إذا قلت: (اللهم من أنكر رؤيتك في الآخرة فاحرمه منها)، أنه دعاءٌ من قلب، فسوف يتأثر بلا

520 سورة آل عمران الآية (8)

521 سورة الأعراف الآية (55)

شك، حتى وإن صمم عنادًا وقال هذا حق والله تعالى لا يرى في الآخرة وأنت دعوت بما يوافق الواقع، فإنه لا أظن أن قلبه يؤمن بهذا أبدًا، لا أظن ذلك.

الخلاصة:

لكن على كل حال نحن -والحمد لله- نؤمن بأن الله يرى في الآخرة، في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة، في عرصات القيامة اختبارًا وامتحانًا، وبعد دخول الجنة إكرامًا وامتنانًا.

ونؤمن بأن الرؤية حق على حقيقتها، بالعين أم بالقلب؟ الجواب: بالعين كما قال أفصح الخلق وأنصح الخلق ﷺ: [كما نرى القمر ليلة البدر]⁵²²، والتشبيه هنا لتحقيق الرؤية لا لتمثيل المرئي بالمرئي.

ونؤمن أيضًا بأن هذه العقيدة مبنية على أدلة ثلاثة، وهي أصول وأسس عظيمة:

الكتاب والسنة وإجماع السلف، ما من السلف أحد قال إن الله لا يرى، أبدًا.

ونؤمن بأن الكفار محجوبون عن الله، لقول الله تعالى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}⁵²³، لا يرون الله لا في عرصات القيامة، ولا في الجنة لأنهم ليسوا من أهل الجنة.

من الذي يراه في عرصات القيامة؟

يراه المؤمنون والمنافقون فقط، والحكمة من ذلك أي من تمكين المنافقين من رؤيته: إظهار الحسرة على هؤلاء المنافقين، حسرة عظيمة يؤمرون بالسجود فلا يستطيعون، ويسجد المؤمنون فتبقى رؤية الله لهم، وهؤلاء يُضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، فيزدادون حسرة لأن رؤية الإنسان ما يحب ثم حرمانه منه أشد من عدم رؤيته بالكلية.

الطالب: كيف نرد على قول البعض الذين يقولون: "الأعمى يحتاج إلى العين حتى يرى"، إذا أثبتنا لله عينًا يعني أننا نقول

الله يحتاج إلى عين حتى يرى؟

الشيخ: وهل يحتاج إلى سَمْع حتى يسمع؟! سبحان الله!!، كل هذه اعتقادات وشبهات عقلية في زعمهم، ونحن نرى أنها وهمية. ما الذي يقتضيه العقل في أمرٍ غيبي لا تعلمه أنت؟ الجواب: أن تُصدق بما جاء عن الصادق.

الطالب: نعم نُصدق.

الشيخ: نعم، هذا هو العقل، العقل يقتضي أنه إذا جاءك خبرٌ عن صادق في أمرٍ لا يمكنك إدراكه أن تُصدق وتسلم، ولا تقل أن هذا الأمر لا يصلح، فالعين إذا فُقدت صار نقص، فنقول ما فُقدت الحمد لله، بل هي ثابتة.

⁵²² أخرجه مسلم في صحيحه (182).

⁵²³ سورة المطففين، الآية (15).

الطالب: رؤية الله عز وجل بعد دخول الجنة، هل هي متكررة أم مرة؟

الشيخ: لا أعلم، قد ورد أن يوم المزيد إنه يوم الجمعة، وأن الله عز وجل يأذن لأهل الجنة أن يزوروه يوم الجمعة، يعني ما يقابل يوم الجمعة، ولكن لا أعلم. ولهذا جاء عن شيخ الإسلام رحمه الله في شرح [العقيدة الواسطية] قال: (ويرويه بعد دخول الجنة كما يشاء الله).

الطالب: عندما يأتي الله عز وجل للفصل بين العباد، هل يراه المؤمنون؟

الشيخ: يحتمل أنهم يرونه، ولكن الظاهر أنهم لا يرونه، لأن الله تعالى يقول: **{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ}**⁵²⁴، ويقول عز وجل: **{وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا}**⁵²⁵، يوم القيامة تشقق السماء بالغمام الأبيض النير، وتنزل الملائكة، ثم يأتي الجبار عز وجل في ظلل من الغمام، وهذا يقتضي أنهم لا يرونه.

الطالب: في الاستدلال على رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بقوله: **{يَنْظُرُونَ}**⁵²⁶ في سورة المطففين، أليست مقيدة بما بعدها؟

الشيخ: لا لا، هذه من الله وليست منهم، **{هَلْ تُؤْتُونَ}**⁵²⁷: استفهام بمعنى التقرير، يعني: قد تُؤب الكفار ما كانوا يفعلون.

الطالب: هل يوجد دليل على رؤية الله سبحانه وتعالى في عرصات يوم القيامة؟

الشيخ: نعم، حديث أبي سعيد الطويل المشهور الذي قال فيه: **[يكشف الله عن ساقه فيسجد له كل من كان يسجد له في الدنيا]**⁵²⁸ راجعه في مشكاة المصابيح.

الطالب: بعضهم في رؤية النبي ﷺ يستدلون بأن إنكار الكفار على رؤية النبي ﷺ، لو لم يراه لم ينكروا عليه.

الشيخ: أي كفار؟

الطالب: كفار قريش.

الشيخ: أنكروا ماذا؟

الطالب: أنكروا على رؤية النبي ﷺ.

⁵²⁴ سورة البقرة الآية (210)

⁵²⁵ سورة الفرقان الآية (25)

⁵²⁶ سورة المطففين الآية (23)

⁵²⁷ سورة المطففين الآية (36)

⁵²⁸ أخرجه البخاري في صحيحه (4919)

الشيخ: بأي حديث؟

الطالب: يستدلون بهذا.

الشيخ: أنكروا عليه المعراج؟

الطالب: نعم المعراج.

الشيخ: لا! لم ينكروا ما رأى، قالوا هذا محمد يُحدثنا عن بيت المقدس ويزيد على ذلك أنه صعد إلى السموات ويرجع بلبلة! هذا أكبر دليل على أنه كاذب، يقولون هكذا، ثم طلبوا من الرسول ﷺ قالوا: إن كنت صادقاً صِف لنا بيت المقدس، فأراه المَلَك إياه بين يديه كأنه بين جدران، وقام يصفه لهم تماماً.

ولكن الله لم ينطقهم أن يقولوا صِف لنا مثلاً السماء أو ما أشبه ذلك، لأن هذا لا يمكن أن يعرضوا فيه.

لكن يقال في التاريخ أنه لما سمعوا الرسول ﷺ يحدث بهذا الشيء ذهبوا يركضون إلى أبي بكر لأنهم يعلمون أن أخص الناس به أبو بكر، قالوا: (انظر إلى صاحبك، حدثنا أنه ذهب إلى بيت المقدس ورأى وصلى فيه)، يريدون أن يقول أبو بكر: لا لم يحصل هذا، ما يصير، فقال: (إن كان قاله فقد صدق). انظر إلى التثبت، فيحتمل أنهم كاذبون، فعلق الأمر وتَحَفَّظ لنفسه فقال: (إن كان قال ذلك فقد صدق)، فمن ذلك اليوم سُمِّي الصِّديق رضي الله عنه) 529.

الطالب: هل لنا أن نقيس على من أنكر الرؤية ندعو على من أنكر عذاب القبر نقول: (اللهم كما أنكّر عذاب القبر فأذقه منه)؟

الشيخ: لا. من أنكّر عذاب القبر نقول اللهم من أنكّر فعذب به، عذاب القبر ما يُنكره إلا إنسان جاهل، ما أقول!؟، هو بنفسه في صلاته ماذا يقول؟ أعوذ بالله من عذاب القبر، أم لا يؤمن بهذا الحديث! الطالب: لا يؤمن.

الشيخ: لا يؤمن بالحديث؟! كلُّ يقول اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر في صلاته، وهذا جاهل يُعَلِّم!

-الدرس الرابع والعشرون-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

(ونؤمن بأنه {لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ}؛ لكمال حياته وقيوميته.

ونؤمن بأنه لا يظلم أحداً؛ لكمال عدله، وبأنه ليس بغافل عن أعمال عباده؛ لكمال رقابته وإحاطته.

ونؤمن بأنه لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض لكمال علمه وقدرته، {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} ⁵³⁰ وبأنه لا يلحقه تعب ولا إعياء لكمال قوته {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} ⁵³¹ أي من تعبٍ ولا إعياء).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

بعد أن تكلمنا على شيء من الصفات وآخرها رؤية الله عز وجل، أي رؤية المؤمنين ربهم، ذكرنا الصفات التي يسميها بعضهم (السلبية)، وبعضهم يسميها الصفات (المنفية)، وهذا التعبير أحسن، فيقال: صفات الله ثبوتية ومنفية، أي ثابتة ومنفية.

والصفات المنفية لا بد أن نعرف ما ضابطها؟ نقول: ضابط الصفات المنفية أنه ينتفي عن الله:

1- كل صفة عيب. 2- كل صفة نقص في كماله. 3- كل مماثلة للمخلوقين.

فالمنفية عن الله:

- أولاً: صفات العيب، لا تذكر لله إطلاقاً، مثل: العى، هذا منفي عن الله، حتى لو لم يرد في الشرع أن الله تعالى ليس بأعور نقول: أنه لا يمكن أن يكون أعى؛ لأن العى نقص، ولهذا عاب إبراهيم على أبيه حين قال له: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} ⁵³².
- ثانياً: كل نقص في صفة كماله، يعني صفاته الكاملة لا يمكن أن يعتريها نقص، فبصره لا يمكن أن يضعف، وسمعه لا يمكن أن يضعف، قوته لا يمكن أن تضعف أبداً.

والفرق بين هذا والذي قبله: أن الأول ننفي عنه صفة العيب مطلقاً، والثاني ننفي عنه عيب صفة الكمال، وهو نقصها.

- ثالثاً: مماثلة المخلوقين، مماثلة المخلوقين أيضا منفية، يجب نفيها، حتى وإن كانت كمالاً في مخلوق فإننا ننفيها عن الله عز وجل - أعني المماثلة-.

الشيخ: فصار الذي ينفي عن الله، ما ضابطه؟

⁵³⁰ سورة يس، آية (٨٢).

⁵³¹ سورة ق، آية (٣٨).

⁵³² سورة مريم، آية (٤٢).

تنبيه من الشيخ لأحد الطلاب: -يا أخ لا تلتفت، أنت المقصود، أمنا بالله، وعليه توكلنا، ينبغي أن يكون الحاضر للعلم حاضراً بقلبه وبدنه، إن كنت تريد العلم، إن كنت تريد مجرد الأجر فالله يحييك، لك الأجر وإن كان قلبك ليس حاضر، مثل ما أنت تصلي وقلبك ليس بحاضر، تجزؤك الصلاة.

الشيخ: ماذا؟

الطالب: العيب والنقص والمماثلة.

الشيخ: أعطني إياها مرتبة.

الطالب: أولاً: العيب، كل صفة عيب فهي منفية عن الله. ثانياً: النقص في الكمال. ثالثاً: المماثلة للمخلوقين.

الشيخ: بارك الله فيك، هذا هو الضابط فيما ينفي عن الله. إذا الصفات المنفية كلها تدور على هذه الثلاثة، ولنقرأ الآيات.

(ونؤمن بأن الله تعالى لا مثل له لكمال صفاته)، لا لعدم صفاته.

انظر الآن الفرق: نؤمن بأنه (لا مثل له) لكمال صفاته، ليس لعدم صفاته ليس له مثل لأنه ما من موجود إلا وله صفة، ليس هذا المراد، بل المراد (لكمال صفاته).

أما أهل التعطيل قالوا: (لا مثل له) فأنكروا صفاته، فعلى زعمهم يقولون: لا مثل له في عدم الصفات، يعني (لا مثل له) يعني لا يوصف بأي صفة للمخلوق، ونحن نقول: (لا مثل له لكمال صفاته)، لا أحد يدانيه في صفاته.

-فانتبهوا للفرق بارك الله فيكم- كل أهل التعطيل لو سألتهم لماذا قلتم هذا القول؟ لقالوا: لأنك لو أثبتت كذا لكان مشابهاً أو مماثلاً للمخلوق، فصار عندهم (لا مثل له لعدم صفاته)؛ لأنه ما له صفة، وهذا لا شك أنه قولٌ منكر، بل نقول لا مثل له لكمال صفاته.

الدليل قوله تعالى: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**⁵³³، **{شَيْءٌ}** نكرة في سياق النفي فتكون عامة بمعنى لا يماثله شيء من مخلوقاته أبداً؛ لكمال صفاته.

{وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} أي: ذو السمع الكامل والبصر الكامل، وقد سبق الكلام على هذه الآية نفسها، فلا حاجة لإعادة الكلام عليها.

⁵³³ سورة الشورى، آية (١١).

{وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ {لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ} (534).

السنة النعاس وهو مقدمة النوم، والنوم معروف، النوم هو النوم، أما بعضهم قال: النوم غشية ثقيلة تلتبس بالدماع، فيفقد الإنسان وعيه، -أنا عندي لو أتصور أن هذا هو النوم ما نمت!!- غشية ثقيلة تعدل الدماغ، يفقد الإحساس، سبحان الله! لا يمكن يأتينا النوم وأنا أشعر بأن هذا هو النوم، فالنوم هو النوم.

نقول: {لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ} وانظر للتعبير: {لَا تَأْخُذُهُ} أي لا تغلبه، بينما البشر الأصحاء يغلبهم النوم والنعاس غصب عليهم، العوام يقولون: النوم سلطان جائر لا يعرف ولا يرحم، فمتى جاء للإنسان لا بد أن ينام، فهو عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم.

وهل ينام الله باختيار؟

لا، لقول النبي ﷺ: [إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ] 535، يعني لا يليق به أن ينام عز وجل؛ لأن النوم نقص يستفاد منه بنقص تعب سابق وتجديد قوة لاحقة، ولهذا إذا نام الإنسان بعد التعب يستريح ثم يقوم نشيطاً، فلا يمكن أن يكون أحدٌ محتاجاً إلى نوم إلا وهو ناقص، أما الرب عز وجل فهو كامل الحياة لا يحتاج إلى النوم.

وكامل القيومية، ولهذا قال: {لِكَمَالِ حَيَاتِهِ وَقِيُومِيَّتِهِ}، استمع، لكمال حياته وكمال قيوميته؛ لأن الحياة الناقصة تحتاج إلى نوم، والقيام الناقص ينام فيه القائم على الشيء، والله تعالى قائم على كل شيء، قال الله تعالى: {أَقَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} 536 المُعَادِلُ محذوف، والتقدير: "كمن لا يملك شيئاً"، ولهذا قال بعدها: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ} 537، فالله عز وجل قائمٌ على كل شيء، فلا يمكن أن يوجد شيء في الأرض ولا في السماء إلا بأمره جل وعلا، وإذا كان كذلك هل يليق أن ينام؟ لا، إذ لو نام لفاتت القيومية، فلكمال حياته وكمال قيوميته {لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ}.

{وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا لِكَمَالِ عَدْلِهِ}.

والظلم هو النقص والعدوان، الظلم يدور على هذين الأمرين: إما نقص واجب، وإما عدوان.

مثال: إما أن تُوفي من يطلبك مئة بثمانين، وتقول له: ليس عندي غير هذا، هذا يسمى نقصاً، وإما أن تعتدي على آخر وتأخذ من ماله فهذا عدوان، وكلاهما ظلم.

وأصل الظلم في اللغة: النقص، قال الله تعالى: {كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا} 538 أي لم تنقص.

534 سورة البقرة، آية (٢٥٥).

535 أخرجه مسلم في صحيحه، (١٧٩).

536 سورة الرعد، آية (٣٣).

537 سورة الرعد، آية (٣٣).

538 سورة الكهف، آية (٣٣).

والله عز وجل لا يظلم، يعني لا يمكن أن يُحْمَلِ أَحَدًا إِثْمَ ما لم يعمله، وهذا عدوان، ولا يمكن أن ينقص ثواب أحد لعمل عمله، فهذا نقص، لا يمكن هذا، قال الله تعالى: **{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا}**⁵³⁹، أي لا يخاف ظلمًا بزيادة سيئاته، ولا هضمًا بنقص حسناته، فلكمال عدل الله لا يظلم.

لماذا قلنا **(لكمال عدله)**؛ لأن انتفاء الظلم قد يكون لعجز من أراد أن يظلم، أليس كذلك؟ بلى، أكيد لا يمكن أن يظلم؛ لأنه عاجز، لا يقدر، يتمنى أن تكون أبواب الناس مفتوحة ليلا ليسرقها لكن لا يقدر، فالأبواب مغلقة، فمثلاً لو قلنا: فلان ما شاء الله البارح كل الليل ما سرق لعجزه، فهل هذا كمال؟ لا، ليس كمالاً.

وقد يُنْفَى الظلم عن الشيء لأنه غير قابل له أصلاً، مثل أن تقول: الجدار لا يظلم، هل إذا قلت: إن جدارنا جدارٌ حبيب، رفيق بالناس يستظلمون به ولا يظلمهم!!، ماذا تقولون في هذا؟ هل هذا يمدح أم لا يمدح الجدار؟ لا يمدح، لأنه غير قابل أن يتصف بالظلم، فهل كون الله لا يظلم أحداً لأنه غير قابل يعني ليس ممن يظلم؟!، لا، إذا لأي شيء؟ لكمال عدله لا لعجزه عن الظلم؛ لأنه قادر، ولا لكونه لا يقبل الاتصاف بالظلم لأنه يستطيع أن يتصف بذلك -وحاشاه من هذا عز وجل- ولهذا جاء في الحديث القدسي **[يَا عِبَادِي إِنِّي حَزَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي]**⁵⁴⁰، ولو كان لا يقدر يظلم لما تمدح بهذا عز وجل، ويتمدح ويمدح نفسه سبحانه وتعالى ويثني عليها بأنه حرم الظلم على نفسه، ولو كان غير قادر ما كان مدحاً. إذن يجب أن تقول: لا يظلم لكمال عدله. الدليل **{وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}**⁵⁴¹.

(ونؤمن بأنه ليس بغافل عن أعمال عباده)، ليس بغافل **(لكمال رقابته وإحاطته)**.

(ليس بغافل)، الدليل **{وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}**⁵⁴²، وسبحان من له الكمال! -كان يجب أن أذكر الدليل في المتن على نفي الظلم وعلى نفي الغفلة-

لماذا لا يغفل؟ لكمال رقابته وإحاطته، لا يغفل عن شيء، كل شيء يعلمه جل وعلا في وقته وفي حينه.

(ونؤمن بأنه لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض لكمال علمه وقدرته).

لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، هل لأنه غير قابل لوصفه بالعجز؟ أجب يا رجل، لا، الجدار مثلاً نقول: لا يعجز، لكن لأنه عز وجل كامل القدرة وكامل القوة، وقرأ قول الله تعالى -وليتني أتيت بها أيضا- **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي}**

⁵³⁹ سورة طه، آية (١١٢).

⁵⁴⁰ أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٥٧٧).

⁵⁴¹ سورة الكهف، آية (٤٩).

⁵⁴² سورة البقرة، آية (٧٤).

السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا⁵⁴³، انظر عندما قال: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ} عِلٌّ: {إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا}، فلعلمه لا يعجز، ولقدرته لا يعجز؛ لأن العاجز عن تحصيل الشيء إما لجهله بأسباب حصوله، وإما لعجزه عن إيجادها، لو قال لك أحدهم: اصنع لي مسجلاً -وأنت لا تعرف- هل تقدر؟ لا، لماذا؟ لأنك جاهل لست بعاجز، أنت قوي تستطيع أن تكسر الحديد مثلاً، لكن جاهل هل يمكن تصنع مسجلاً، ولو كان عندك علم تماماً في الصناعة تعرف كيف تصنع لكنك أشل هل يمكن أن توجد؟ لا، لماذا؟ للعجز، ولهذا قال: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} لماذا؟ {إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا}، وقال عز وجل: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}، {كُنْ} كلمة واحدة فيكون، انظروا يا إخواني إلى الخلائق كم عددهم منذ خلقهم الله إلى أن تقوم الساعة؟ لا أحد يتصور العدد فضلاً عن إحصائه، ومع ذلك يقول الله عز وجل: {إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبِيحَةٌ وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ}⁵⁴⁴، كلهم محضرون بصيحة واحدة {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ}⁵⁴⁵، {فَإِذَا هُمْ}-"إذا" الفجائية الدالة على فورية الحصول- {فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ}⁵⁴⁶ أي: على وجه الأرض، هذه قوة عظيمة قدرة عظيمة سبحانه القدير على كل شيء، إذا ليس يعجزه شيء لكمال قدرته، لأنه إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون.

(ونؤمن بأنه لا يلحقه تعب ولا إعياء).

يعني فيما يفعل مهما عظم، ودليل ذلك قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} الجملة -لا يخفى علينا جميعاً- أنها مؤكدة باللام الدالة على القسم، و"قد"، والقسم المدلول عليه باللام، خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب، أي: من تعبٍ وإعياءٍ لكمال القدرة والقوة لا يمسه سبحانه تعالى من لغوب لأنه كامل القوة والقدرة.

هذه الآيات والكلام كله في الصفات المنفية، واعلم أن الصفات المنفية يراد بها شيئان:

الشيء الأول: نفي تلك الصفة المعينة، وهذا واضح، مثال: {لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ}، واضح أن السنة والنوم منتفية عن الله.

الشيء الثاني: ثبوت كمال الضد، مثال: ولهذا تقول: لا يظلم ربك أحداً، ماذا ضد الظلم؟ العدل، إذًا لا يظلم ربك أحداً؛ لأنه كامل العدل.

⁵⁴³ سورة فاطر، آية (٤٤).

⁵⁴⁴ سورة يس، آية (٥٣).

⁵⁴⁵ سورة النازعات، آية (١٣).

⁵⁴⁶ سورة النازعات، آية (١٤).

وهكذا بقية الصفات المنفية يراد بها شيئان، الأول: انتفاء الصفة المنفية، والثاني: ثبوت (أو إثبات) كمال الضد، إذًا ليس في صفات الله نفي محض، إطلاقًا.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، فضلًا عن أن يكون مدحًا وكمالًا)، تعليل جيد، العدم على اسمه عدم.

وهذا تعليل واضح جيد، إذًا كل الصفات المنفية أنه يراد بها شيئان: الأول: نفي تلك الصفة المعينة المنفية، والثاني: إثبات كمال ضدها.

الطالب: قلنا في السابق {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} ⁵⁴⁷ صفة خبرية، إن قلنا صفة ذاتية وسكتنا ماذا يفيد؟

الشيخ: هي صفة ذاتية خبرية، بناءً على أن الصفات (الذاتية): هي التي لا ينفك عنها، ومعلوم أنه عز وجل لا ينفك عن وصفه بأن له وجهًا، و(الخبرية): بمعنى أن مستندها الخبر المحض، لا ندركها بالعقل، لكن كون الله عليماً سميعاً بصيراً ندركها بعقولنا.

الطالب: في ضابط الصفات المنفية عن الله، ألا يمكن أن ندرج الثالثة (نفي مماثلة المخلوقين) تحت (نفي كل صفة نقص في كماله)؟

الشيخ: بلى يمكن، لكن التفصيل في هذا المقام أحسن، لئلا يتوهم متوهم أن الكمال في المخلوق يمكن أن يكون كمالاً في الخالق، ونحن نعلم أن في صفات المخلوق ما هو مذموم، وهو في صفات الخالق ثناء وتمجيد، فالمتكبر صفة ذم بالنسبة للمخلوق، وبالنسبة للخالق صفة كمال ومدح.

الطالب: معاني الظلم يذكرها بعض العلماء: هو وضع الشيء في غير موضعه، والتصرف في ملك الغير بغير إذنه، هل هذه كلها صحيحة يا شيخ؟

الشيخ: نعم، أولاً، وضع الشيء في غير موضعه، غير صحيح، ليس هذا الظلم، هذا السفه، لأن هذا مقابله الحكمة والحكمة وضع الشيء في موضعه، والسفه وضعه في غير موضعه، فأنت الآن لو مثلاً وضعت الإبريق في محل آخر غير مكان الأباريق، هل هذا فيه ظلم؟! وقد وضعت في غير موضعه!! لو أنك أكرمت إنسان جاحد ما هو محل للإكرام، فأكرمته هل هذا ظلم، ليس بظلم إلا إذا اقتضى أن تهين الآخر الذي هو أحق منه.

⁵⁴⁷ سورة الرحمن، آية (٢٧).

على كل حال القول بأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه غير صحيح، أما أن تأخذ من الإنسان بغير حق فهذا صحيح، لكن هو داخل في قوله إنه عدوان؛ لأننا قلنا في تعريف الظلم: هو نقص وعدوان.

-الدرس الخامس والعشرون-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

(وكل ما ذكرناه من صفات الله تعالى تفصيلاً أو إجمالاً، إثباتاً أو نفيًا فإننا في ذلك على كتاب ربنا وسنة نبينا معتمدون، وعلى ما سار عليه سلف الأمة وأئمة الهدى من بعدهم سائرون، ونرى وجوب إجراء نصوص الكتاب والسنة في ذلك على ظاهرها، وحملها على حقيقتها اللائقة بالله عز وجل، ونتبرأ من طريق المحرّفين لها الذين صرّفوها إلى غير ما أراد الله بها ورسوله، ومن طريق المعطلين لها الذين عطّلوها عن مدلولها الذي أراده الله ورسوله، ومن طريق الغالين فيها الذين حملوها على التمثيل أو تكلفوا لمدلولها التكييف).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

العقيدة ما انطوى عليه القلب من اعتقاد، وسبق لنا تفسير ذلك وبيان أن العقيدة تكون حقًا وتكون باطلًا، فما وافق الكتاب والسنة فهو حق، وما خالف الكتاب والسنة فهو باطل.

وكذلك أيضًا في غير ذلك، العقيدة الموافقة للواقع حق، والمخالفة باطل، فلو اعتقدت أن فلانًا قدم البلد أمس، وقد قدم، فعقيدتي حق، ولو اعتقدت أنه قدم البلد أمس ولكنه لم يقدم؟ فعقيدتي باطل؛ لأن العقيدة ما انطوى عليه القلب، فإن وافق فحق، وإن خالف فباطل.

وكل ما سبق -ونأسف أن بعض إخواننا لم يدركوه، ولكن يمكن أن يدركوه من الأشرطة والمراجعة مع زملائهم الذين أدركوه-

(كل ما ذكرناه من صفات الله تعالى تفصيلاً أو إجمالاً، إثباتاً أو نفيًا، فإننا في ذلك على كتاب ربنا وسنة نبينا معتمدون).

(تفصيلاً أو إجمالاً)، مثال التفصيل: ما ذكره الله تعالى في آخر سورة الحشر: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} 548، إلى آخر ما ذكر الله، كلها اشتملت على أسماء تفصيلية، أي: مفصلة فيما الصفات.

وما ذكر إجمالاً: مثل قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} 549، فهنا أجمل، أي: لم يعد اسماً واسماً واسماً، بل قال: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}.

وكذلك في الصفات، منها ما يُذكر إجمالاً مثل: قول الله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} 550 أي: الوصف الأكمل، ومنها ما يذكر تفصيلاً.

فكل (ذلك) الذي ذكرناه (على كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ معتمدون)؛ لأنهما أصل الأدلة، فلا دليل أقوى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكل دليل سواهما إن انبنى عليهما فهو حق وهو منهما، وإن خالفهما فهو باطل، وعلى هذا يتبين لنا بطلان مذهب الأشاعرة والمعتزلة والجهمية؛ لأنه مبني على العقل الذي ادعوا أنه عقل وهو في الحقيقة ضلال وليس بعقل، لكنهم هم يرون أنه عقل وأنهم إنما يثبتون لله ما دل عليه العقل، وما لا يدل عليه العقل فهو عندهم منتفٍ عن الله، ولو كان مذكوراً في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

إذًا ما هو أصل التلقي للعقيدة؟ الجواب: الكتاب والسنة.

ولهذا قال: (على كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ معتمدون) لا نعتد على سواهما مما يذكر أنه "عقل".

فإذا قال قائل: العقل يدل على أن الرب لا يحزن لكمال سلطانه وقدرته، فننفي عنه الحزن.

الجواب: ماذا نقول، حقٌّ أم غير حق، بل حق، دل عليه الكتاب والسنة؛ لقوله: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى}، والحزن نقص، فينا في مدلول هذه الآية، فنقول: لا تفرحوا علينا أنكم أنكرتم الحزن لأن العقل ينكره، فإننا نقول لكم: إن النص أنكروه أيضاً؛ لأننا إذا قرأنا {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} أي: (الوصف الأكمل)، لزم ألا يحزن؛ إذ لا يحزن إلا من كان ناقصاً.

فإذا قالوا: نحن لا نثبت الغضب لله؛ لأن العقل ينكره.

نقول: هذا مردود، أولاً: لأن العقل يقتضيه؛ فإن الغضب عند وجود سببه كمال، فالعقل يقتضيه.

ثانياً: ثم إن النص أتى به، قال الله تعالى: {وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ} 551 في القاتل عمداً، فكيف ننكره!!

548 سورة الحشر، الآية (٢٢).

549 سورة الأعراف، الآية (١٨٠).

550 سورة النحل، الآية (٦٠).

551 سورة الفتح، الآية (٦).

ما وجه كون الغضب صفة كمال عند وجود السبب؟

الجواب: لأنه يدل على قوه الغاضب وقدرته على الانتقام، ولهذا لو أن الإنسان ضربه من هو أقوى منه، فيحزن، لا يقدر أن يغضب؛ لأنه لا يستطيع أن ينتقم لنفسه؟ فتجده يحزن ويبكي ويتشكى، لكن لو ضربه من دونه انتفخ عليه غضباً ورضه بالأرض؛ لأنه قوي، فالغضب عند وجود سببه كمال وليس بنقص، ونحن نعلم أن الله لا يغضب إلا إذا وجد موجب الغضب.

على هذا، العُمدة فيما ثبتته لله عز وجل أو ننفيه عنه شيئان فقط هما: الكتاب والسنة.

- فما فيهما من أسماء الله وصفاته وجب علينا قبوله والإيمان به.
- وما نفاه الله ورسوله وجب علينا نفيه.
- وما سكت عنه الله ورسوله نظرنا:
- إن كان صفة نقص نفينا، على القاعدة: (إن الله منزّه عن النقص).
- وإن لم نعلم أنه نقص، وجب علينا أن نتوقف: لا ننفيه، ولا نثبتته.

قال: (وعلى ما سار عليه سلف الأمة وأئمة الهدى من بعدهم سائرون).

إذا قيل "سلف الأمة"، فمن هم؟

الجواب: سلف الأمة هم القرون المفضلة، الذين قال فيهم الرسول ﷺ: [خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم] 552، هؤلاء هم سلف الأمة.

قال: (وأئمة الهدى من بعدهم) ولم يقل: الأئمة من بعدهم، لأن الأئمة من بعد السلف الصالح صاروا أئمة هدى وأئمة ضلال، نحن نتبع أئمة الهدى من بعدهم، أما أئمة الضلال! فما أكثر أئمة الضلال في هذه الأمة الإسلامية! ونحن بريئون منهم، لكننا أتباع لأئمة الهدى، لكن هل نحن أتباع لهم على الخطأ والصواب؟ الجواب: لا، ما علمنا أنهم أخطأوا فيه سألنا الله لهم العفو، وخالفناهم في خطأهم إلى الصواب.

(ونرى وجوب إجراء نصوص الكتاب والسنة في ذلك على ظاهرها).

(نرى) المؤلف يتكلم بلسان أهل السنة، ولا يتكلم بلسان نفسه ويعظم نفسه، لكنه يتكلم بلسان أهل السنة، يقول: (نرى وجوب إجراء نصوص أهل الكتاب والسنة).

(في ذلك) أي: فيما وصف الله به نفسه. (على ظاهرها)، (وحملها) أي: وجوب حملها (على حقيقتها اللاتقة بالله عز وجل).

552 أخرجه البخاري (2652)، ومسلم (2533).

وجه الدلالة على هذا قول الله تبارك وتعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ⁵⁵³، أي: تفهمون، وقال: {اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} ⁵⁵⁴.

فالدليل على وجوب إجرائها على ظاهرها هاتان الآيتان:

الأولى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} يعني: صيرناه بلسان العرب من أجل أن تفهموه.

الثانية: ثم قال: {اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ}، فأمرنا باتباعه على الفهم الذي نفهمه بمقتضى اللغة العربية، لأن الله تعالى قال: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}، وعلى هذا فإذا دلّ الكتاب والسنة على معنى نفهمه بمقتضى اللغة العربية وجب علينا أن نتبعه.

مثال: من ذلك قول الله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} ⁵⁵⁵، يعني: علا عليه، الدليل أن (استوى على كذا) في اللغة العربية بمعنى: علا عليه، قال الله تعالى: {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ} ⁵⁵⁶، وقال تعالى: {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (12) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} ⁵⁵⁷.

وخذ بقية الأمثلة على هذا، ما دلّ عليه القرآن بمقتضى اللغة العربية فخذ به ولا تحزن؛ لأن هذا هو الذي أمرك الله به {اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ}، ولهذا قال: (ونرى وجوب إجراء نصوص الكتاب والسنة في ذلك على ظاهرها) وعرفتم الدليل.

قال: (وحملها على حقيقتها) وهذا من تمام إجرائها على ظاهرها أن نحملها على حقيقتها.

لكن قال: (اللائقة بالله). وهذا محط الفائدة: (اللائقة بالله)، يعني: لا على ظاهرها المماثل للمخلوق، لا، لا نرى هذا، نرى حملها على ظاهرها اللائق بالله.

ولهذا لو قال لك قائل: (استوى الله على العرش) أي: علا عليه، كما يعلو أحدنا على الكرسي؟!!

قل: لا، لا كما يستوي الإنسان على الكرسي؛ لأنك لو فسرتها هذا التفسير لفسرتها على الوجه الذي لا يليق بالله؛ لأن الله تعالى قال في كتابه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ⁵⁵⁸.

إدًا:

- وجوب إجرائها على ظاهرها. - حملها على الحقيقة اللائقة بالله، لا المماثلة للمخلوق.

⁵⁵³ سورة الزخرف، الآية (٣).

⁵⁵⁴ سورة الأعراف، الآية (٣).

⁵⁵⁵ سورة الأعراف، الآية (٥٤).

⁵⁵⁶ سورة المؤمنون، الآية (٢٨).

⁵⁵⁷ سورة الزخرف، الآية (١٢).

⁵⁵⁸ سورة الشورى، الآية (11).

ولهذا قال:

(ونتبراً من طريق المحرفين لها الذين صرفوها إلى غير ما أراد الله بها ورسوله).

نتبراً من هذا الطريق: نتبراً بقلوبنا وألسنتنا وسلوكنا من طريق هؤلاء الذين صرفوها إلى غير ما أراد الله بها ورسوله.

مثال: -ولنجعل المثال واحداً حتى لا يتشتت الفكر-، قال الله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} ⁵⁵⁹، قلنا: {اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} يعني: (علا عليه)، هل هو كعلو الإنسان على السرير؟ الجواب: لا؛ لأن هذا لا يليق بالله، علا عليه علواً يليق بجلاله عز وجل.

قال قائل: {اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} يعني: (استولى عليه)!

الرد عليه: لا، هؤلاء نتبراً من طريقهم، نتبراً ونرى أنهم على ضلال؛ لأنهم صرفوا ذلك إلى غير ما أراد الله بها ورسوله.

فإذا قال قائل: ما دليلكم على أن الله تعالى أراد بقوله: {اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} أي: (علا عليه)؟ ألا يجوز أن يكون مراد الله استولى عليه؟

الجواب: لا يجوز؛ لأنه لو جاز ذلك لكان الله تعالى لم يجعل القرآن تبياناً، ولم يجعله فرقاناً، إذ أن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين، واللسان العربي المبين يقتضي أن معنى قوله: {اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} أي: علا عليه، لا غير، فالذين قالوا: (استولى عليه) صرفوه إلى غير ما أراد الله، نشهد بذلك، شهادة عند الله عز وجل أنهم صرفوه إلى غير ما أراد الله، ونشهد أن الله لم يرد بقوله {اسْتَوَىٰ} استولى.

فإذا قال قائل: هذه شهادة عظيمة كيف تجزم بها؟

قلت: أجزم بها بأمر الله عز وجل: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}، {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم}، فأمرنا الله عز وجل أن نتبع القرآن على ما نزل باللغة العربية، وهو نزل باللغة العربية على أن {اسْتَوَىٰ} بمعنى (علاً)، أنا أشهد على الله أنه أراد بقوله: {اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} أي: (علا عليه)، أشهد على الله بذلك؛ لأنه أمرني بذلك، أمرني أن أتبع ما أنزل إلي بمقتضى اللسان العربي.

-انتموها يا إخواني- لا يهولتكم أن يقول قائل: كيف تشهد على الله هذه الشهادة؟ هذه شهادة عظيمة! أقول: نعم أشهد على الله بأمر الله؛ لأن الله قال: {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم} هذا الذي أنزل إلي، أنزل إلي بلسان عربي مبين، وهذا معنى {اسْتَوَىٰ}؛ (علا)، باللسان العربي المبين.

فنحن نتبراً من طريق الذين حرفوا الكلم عن مواضعه، وصرفوا المعنى إلى غير ما أراد الله ورسوله مثل الأشاعرة، المعتزلة، الجهمية، ومن سلك سبيلهم، كل هؤلاء محرفون للكلم عن مواضعه، واقعون فيما وقعت فيه الأمم من قبلنا.

(ومن طريق المعطلين لها الذين عطلوها عن مدلولها الذي أراده الله ورسوله)، هذا طريق آخر غير الأول.

الأول: -في الحقيقة- تضمن التعطيل والتحريف؛ لأن الذي يقول: {استوى} أي: (استولى على العرش) عطل النص عن معناه الذي أراد الله، وأثبت له معنىً جديدًا من كيسه.

الطريق الثاني: عطلوا النص عن مراد الله، ولكن لم يثبتوا له معنى، وهذا طريق من يسمون بـ(المُقَوِّضَة) أهل التجهيل، الذين إذا قيل لهم: ما معنى قوله: {استوى على العرش}؟ قالوا: (لا نثبت له معنى، الله أعلم!) نقول لهم: يا جماعة اثبتوا المعنى، قالوا: ما نثبت.

هؤلاء عطلوا النصوص عما أراد الله بها، أراد الله أن يثبت استواءً على العرش، وهؤلاء قالوا: (لا نعلم، نحن نقرأ القرآن ولكن لا نفهمه)، نقول: أنتم معطلة، عطلتم النص عما أراد الله به.

طريق ثالث: (ومن طريق الغالين فيها الذين حملوها على التمثيل أو تكلفوا لمدلولها التكييف).

هذا طريق ثالث، هؤلاء غلوا في الإثبات، أثبتوا لله ما أثبتته لنفسه، لكن غلوا، والغلو معناه: الزيادة، ومنه غلي القدر؛ لأنه إذا غلا ارتفع، هؤلاء غلوا في الإثبات.

قالوا: نثبت أن الله استوى على العرش حقيقة، وأن معنى الاستواء كما يستوي أحدنا على الكرسي، هؤلاء هم الممثلة، غلوا في الإثبات، وقالوا: لله يد، ويده كأيدينا، غلوا في الإثبات.

هل نحن نتبرأ من هذا الطريق؟ نعم، نتبرأ من هذا الطريق؛ لأن فيها غلوًا.

فصرنا نتبرأ من ثلاثة طرق:

الأول: طريق المحرفين: الذين أثبتوا لها معنى لا يريد الله ورسوله.

الثاني: طريق المعطلة: الذين عطلوها عن المعنى المراد، لكن لم يذكروا معنىً آخر، وهؤلاء هم المفوضة.

الثالث: طريق الغالين في الإثبات، الذين أثبتوها مع التمثيل.

نتبرأ من هذه الطرق الثلاث كلها، فإذا قال قائل: لماذا لا نسلك الطريق الوسط من الطرق الثلاث وهي السكوت؟ نقول: هذا حرام؛ لأن السكوت يعني التعطيل؛ والله عز وجل يقول: {لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} ⁵⁶⁰، وهذا السكوت يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (إنه شر أقوال أهل البدع والإلحاد)، وبعض الناس يظنه خيرًا وهو شر، والعجب أن بعض الناس المطلعين -الذين نحسن الظن بهم- يظن أن هذا مذهب أهل السنة، ومذهب السلف، وهي طريقة التفويض وعدم الخوض، وأن نقول: لا نعلم!

ولهذا حكي عنهم العبارة الكاذبة المتناقضة الباطلة، وهي قولهم: (طريق السلف أسلم، وطريق الخلف أعلم وأحكم) هذه عبارة كاذبة باطلة متناقضة؛ لأن حقيقة الأمر أن طريق السلف أسلم وأعلم وأحكم.

سؤال: ما ذكر من الأسماء والصفات في الكتاب والسنة نثبتها، وما سكت عنه الشارع نسكت؟!!

الجواب: لا، نقول ننظر؛ لأنه إذا دل على معنى لا يليق بالله فقد تكلم عنه الشارع، ونفاه الله عن نفسه.

سؤال: شيخ الإسلام في (المجموع) نقل الإجماع على إثبات صفة السكوت لله عز وجل!

الجواب: نعم هذا ما سكت الله عنه، إذا دلت الكلمة على معنى ناقص، هل سكت الله عنه؟ ما سكت.

يعني كلامه هذا مجرد تفصيل، وحتى العبارات في كتبنا نقولها هكذا: السكوت عما سكت عنه، لكن نقول: أحيانا تأتي كلمة بلفظها ما جاءت في القرآن والسنة، لا نفيًا ولا إثباتًا، لكن تتضمن معنى فاسدًا، حينئذ نقول: هذا لم يسكت الله عنه في الواقع، بل نفاه عنه بقوله: **{وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى}**، فإنه يدل على أن ما ليس كذلك فليس لله، فيكون هذا مجرد تفصيل لهذا الشيء.

الطالب: صفة السكوت صفة لله عز وجل؟!!

الجواب: لا، لا، السكوت المقصود به لله؟!!

الطالب: نعم.

الشيخ: لا، أنا ظننت أنك تقول ما أثبتته الله أثبتناه، وما لم يثبتته وما لم ينفه سكتنا عنه، ظننت أن هذا مرادك.

الطالب: هذا سؤال جديد يا شيخ.

الجواب: إذًا: السكوت نقول: إن الله **{فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ}**، فإن شاء تكلم، وإن شاء سكت، هذا المعنى.

سؤال: شيخ بارك الله فيك، شيخ الإسلام يقول: (إن طريق المفوضة هو شر الطرق)! كيف وطريق المفوضة احتوى أمر واحد يا شيخ وهو السكوت، أما طريق المحرفة احتوى أمرين وهما التعطيل ثم التحريف، فكيف يكون طريق المفوضة أشر من طريق المحرفة؟

الجواب: نعم؛ لأن طريق المفوضة قدح في القرآن؛ إذ أنه يقتضي أن القرآن أتى بكلام لا فائدة منه، مجرد لفظ، وقدح في الرسل أيضًا؛ لأنهم يتكلمون -أي الرسل- يتكلمون بكلام لا يفهمون معناه، فهل الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: **[ينزل ربنا إلى السماء الدنيا]** وهو لا يعرف معنى ينزل؟!، ويقول: (إن الله قال: كذا وكذا) وهو لا يعرف معناه؟!، فهو قدح في الرسل، وقدح في المرسل به، وقدح في المرسل أيضًا.

ولهذا يقول: إن أقوال أهل التفويض فتحت باب الفلسفة والمناطقة والباطنية؛ لأن الباطنية يقولون: (نحن نعلم من كتاب الله ما لا تعلمون أنتم، أنتم جهال، ونحن أصحاب العلم)، فمن أجل هذه اللوازم الباطلة صار من شر أقوال أهل البدع والإلحاد.

سؤال: عفا الله عنك شيخ، يقول بعضهم: الكلام في الصفات والأسماء دائرة بين الإثبات المطلق وبين الإنكار، يقول: نحن لكي نسلم من الإنكار والجحد، ونسلم من التمثيل، ولكي نسلم، ولكي لا نقع فيما يحذر منه يقول: دعوا الآيات هذه -آيات الصفات- تمر كما هي، ونسلم في آخرتنا ولا نُسأل عنها، ماذا نقول لهذا؟

الجواب: هذا هو قول أهل التفويض، نقول: قولك هذا من شر أقوال أهل البدع؛ لأن الله أنزل القرآن باللفظ والمعنى، وأمرنا بتدبره، كيف نتدبر شيئاً لا يمكن الوصول إلى معناه؟!.

سؤال: شيخ بارك الله فيك، تفصيلنا في الصفات التي لم ترد بها الكتاب ولا السنة، إن دلت على معنى باطل نفيناها، وإن لم تدل على معنى باطلاً سكتنا، هل هذا هو معنى قولنا: اللفظ الذي لم يثبت: ننفي اللفظ، ونستفصل في المعنى؟

الجواب: لا، هذا غير، أحياناً يكون اللفظ نفسه مرفوض، حتى اللفظ مرفوض، يأتي مثلاً عبارة يوصف الله بها وهي لا تليق بجلاله لا لفظاً ولا تفصيلاً فنرفضها.

-الدرس السادس والعشرون-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

(ونعلم علم اليقين أن ما جاء في كتاب الله تعالى أو سنة نبيه ﷺ فهو حق لا يناقض بعضه بعضاً، لقوله تعالى:

{أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} ⁵⁶¹.

ولأن التناقض في الأخبار يستلزم تكذيب بعضها بعضاً وهذا محال في خبر الله تعالى ورسوله ﷺ.

ومن ادعى أن في كتاب الله تعالى أو في سنة رسوله ﷺ أو بينهما تناقضاً فذلك لسوء قصده، وزيف قلبه، فليتب إلى الله تعالى ولينزع عن غيئه.

⁵⁶¹ سورة النساء، آية (٨٢).

ومن توهم التناقض في كتاب الله تعالى أوفي سنة رسوله ﷺ أو بينهما، فذلك إما لقلّة علمه أو قصور فهمه أو تقصيره في التدبر، فليبحث عن العلم، وليجتهد في التدبر حتى يتبين له الحق، فإن لم يتبين له فليكل الأمر إلى عالمه وليكف عن توهمه، وليقل كما يقول الراسخون في العلم: {أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا} ⁵⁶². وليعلم أن الكتاب والسنة لا تناقض فيهما، ولا بينهما، ولا اختلاف).

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ملخص ما سبق

سبق لنا أن أهل السنة والجماعة يتبرأون من ثلاثة طرق: المحرفين والمعطلين والغالين.

الشيخ: المحرفين من هم؟

الطالب: الذين يحرفون الكلم عن مواضعه.

الشيخ: ما معنى يحرفون الكلم عن مواضعه؟

الطالب: يتأولون.

الشيخ: ما معنى يتأولون؟ الرسول ﷺ دعا لابن عباس أن الله يعلمه التأويل، والتأويل غير مذموم.

الطالب: يتأولون على حسب أهوائهم.

طالب آخر: يحرفونه إلى غير ما أراد الله ورسوله.

الشيخ: أحسنت، يحرفون الكلم عن مواضعه أي: يصرّفونه إلى غير ما أراد الله ورسوله، مثلاً يقولون في قوله تعالى {وَجَاءَ رَبُّكَ} ⁵⁶³، أي: جاء أمر ربك.

الشيخ: و من طريق آخر؟

الطالب: المعطلة.

الشيخ: ما المعطلة؟ من هم؟

الطالب: الذين عطلوها عن مدلولها الذي أراد الله ورسوله.

الشيخ: أحسنت، الذين عطلوها عن مدلولها الذي أراد الله ورسوله، من هؤلاء؟

⁵⁶² سورة آل عمران، آية (7).

⁵⁶³ سورة الفجر، آية (22).

الطالب: المفوضة.

الشيخ: المفوضة، ما طريقهم؟

الطالب: عطلوا وتوقفوا.

الشيخ: يعنى لا يتكلمون في المعنى إطلاقاً، يقرأون الألفاظ، ولا يتكلمون في المعنى.

الشيخ: الثالث؟

الطالب: الممثلة.

الشيخ: أي طريق الغالين في الإثبات، الذين غلوا في الإثبات، فأثبتوها على وجه يماثل المخلوق.

الشيخ: هل الواجب علينا اتباع ظاهر النصوص فيما يتعلق بصفات الله أو أن نحملها على خلاف ظاهرها؟

الطالب: الواجب أن تحمل على ظاهرها.

الشيخ: الدليل؟ ذكرنا الدليل مركباً من دليلين في الواقع.

الطالب: أننا أمرنا باتباع ما أنزل الله عز وجل.

الشيخ: أننا أمرنا باتباع ما أنزل الله عز وجل، فقال الله تعالى: {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ} ⁵⁶⁴.

الطالب: والثاني {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ⁵⁶⁵.

الشيخ: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} فأفادت الآية أننا نعقل هذا الكتاب على مقتضى اللغة العربية، وهذا معنى قولنا يجب إجراؤها على ظاهرها.

والعجب أن المعطلة والمحرفة يقولون: إن ظاهرها التمثيل، فيجب أن تصرف عن ظاهرها؛ لأن التمثيل ممتنع، فهل تعتقدون أن هذا صحيحاً؟ أن الصفات التي جاء بها الكتاب والسنة ظاهرها التمثيل؟ لا؛ لأن الله تعالى لم يذكر صفة مطلقة حتى نقول تشترك فيها الموصفات، ذكر صفة مضافة إلى الله، والصفة تتبع الموصوف، فإذا قيل يد الإنسان لم يفهم أحد إلا اليد الإنسانية، وإذا قيل يد جمل هل يفهمها ك"يد الإنسان"؟ لا.

فالصفات التي أضافها الله أضافها إلى نفسه، ما ذكر صفة مطلقة حتى نقول: تشترك فيها جميع الموصفات، لكنه ذكرها صفة مقيدة، وعلى هذا فلن يكون ظاهرها التمثيل.

⁵⁶⁴ سورة الأعراف، آية (3).

⁵⁶⁵ سورة الزخرف، آية (3).

إذا قلنا (نحملها على ظاهرها) وجب أن نضيف (حقيقتها اللائقة بالله عز وجل).

ثم قال المؤلف: **(ونعلم علم اليقين)** وقوله: (علم اليقين) من باب إضافة الشيء إلى جنسه؛ لأن العلم علمان: علم نظري: يحتمل التشكيك، وعلم يقيني: لا يحتمل التشكيك.

والمراد هنا علم اليقين الذي لا يحتمل التشكيك أن ما جاء في كتاب الله تعالى أو سنة نبيه ﷺ فهو حق، لا شك، **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ}**⁵⁶⁶، ومن أصول الدين أن نشهد بأن رسول الله ﷺ حق، والساعة حق، فكذلك ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام فهو حق.

(لا يناقض بعضه بعضًا).

والمناقضة هي: النسبة بين شيئين لا يجتمعان ولا يرتفعان، هذه المناقضة، هذا هو الأصل إذا قسمنا الكلام إلى أربعة أقسام: 1- تناقض، 2- وتباين، 3- وتضاد، 4- وتمائل.

وهذه النسب الأربع:

التناقض: النسبة بين شيئين لا يجتمعان ولا يرتفعان.

والتضاد: النسبة بين شيئين لا يجتمعان ويرتفعان.

والتباين: النسبة بين شيئين مفترقين لا يمكن اجتماعهما.

والتماثل: النسبة بين شيئين متساويين.

نضرب أمثلة:

- (الحركة والسكون)، النسبة بينهما؟ الجواب: التناقض؛ لأنهما لا يجتمعان ولا يرتفعان.

معنى لا يجتمعان: أي لا يكون الشيء ساكنًا متحركًا أبدًا في آن واحد، ولا يرتفعان: لأنه لا بد أن يكون الشيء إما متحركًا وإما ساكنًا.

- (الوجود والعدم)، النسبة بينهما التناقض؛ لأن الشيء إما موجود وإما معدوم، لا بد، فهما لا يجتمعان، أي: لا يمكن أن يكون الشيء موجودًا معدومًا في آن واحد، ولا يرتفعان إذ لا بد أن يكون الشيء إما موجودًا وإما معدومًا، أليس كذلك؟ بلى.

- (السواد والبياض)، تضاد؛ لأنهما لا يجتمعان، لا يمكن أن يكون الشيء أسود أبيض في آن واحد، ويرتفعان: يمكن أن يرتفعا فيكون الشيء أحمر مثلًا، إذًا النسبة بينهما التضاد.

⁵⁶⁶ سورة النساء، آية (170).

- (حجر وإنسان)، التباين، هذان متباينان بينونة كاملة، لا يمكن أن يجتمعا، فيكون الإنسان حجراً، والحجر إنساناً، وذاتهما تباين إحداهما الأخرى.

- (بشر وإنسان)، النسبة بينهما؟ التماثل.

على كل حال نحن في قولنا: **(حق لا يناقض بعضه بعضاً)** نريد بذلك أنه لا يمكن أن يكون القرآن أو السنة يدل على شيئين النسبة بينهما التناقض، لا يمكن هذا إطلاقاً.

الدليل قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}.

الاستفهام هنا للتوبيخ والإنكار، يعني لماذا لا يتدبرون القرآن؟ لو تدبروا القرآن ما وجدوا فيه اختلافاً ولا تناقضاً.

وهم يقولون: **{إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} 567**، لو كان الذي يعلمه بشراً لوجد التناقض والاختلاف في القرآن، فليتدبروا القرآن هل فيه تناقض؟! يقول عز وجل: **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}**، ليس اختلافاً سهلاً، لأنه -في هذه الحال- لا بد أن يتناقض وأن يختلف.

فإن قال قائل: نجد في القرآن أشياء ظاهرها التعارض والتناقض فما موقفنا نحو هذا؟ سيأتي بيان ذلك.

يقول: **(ولأن التناقض في الأخبار يستلزم تكذيب بعضها بعضاً).**

صحيح، يعني لو أخبر الله بخبر، ثم أخبر بما يناقض ذلك الخبر لزم من ذلك أن يكون أحدهما كاذباً، وهذا ينزه عنه كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وهذا محال في خبر الله ورسوله ﷺ.

ثم قال: **(ومن ادعى أن في كتاب الله تعالى أو في سنة رسوله ﷺ أو بينهما تناقض فذلك لسوء قصده).**

الفرق بين قولنا (في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ) وقولنا (أو بينهما) ظاهر، (في كتاب الله) يعني: بعضه مع بعض، (في سنة رسوله) أي: بعضها مع بعض، (بينهما) أي: بين الكتاب والسنة.

(إذا ادعى تناقضاً فذلك لسوء قصده وزيف قلبه، فليتب إلى الله ولينزع عن غيئه).

صحيح، أي إنسان يقول القرآن متناقض فإنه سيء القصد، وزائع القلب -والعياذ بالله- أي إنسان يقول في السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ إن فيها تناقضاً فهو سيء القصد، زائع القلب؛ لأنه ما أراد بذلك إلا أن يصرف الناس عن كتاب الله وسنة رسوله فهو سيء القصد، وزائع القلب، ودليل هذا قول الله تبارك وتعالى: **{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ}**

567 سورة النحل، آية (103).

بِیَوْمِ الدِّینِ * وَمَا یُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * كَلَّا سَبَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا یَكْسِبُونَ⁵⁶⁸، وإلا فمن قلبه صافٍ لا يمكن أن يدعي أن في القرآن تناقضًا، أو في السنة تناقضًا، أو بينهما تناقضًا.

فإذا قال ذلك وأتى بشيء يلبس به فقال: إن القرآن يقول: **{ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}**⁵⁶⁹، في هذه الآية أنهم أنكروا أنهم مشركون، أليس كذلك؟ **{إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}** أنكروا أنهم كانوا مشركين، وأقسموا على ذلك، لكن في آية أخرى يقول: **{يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ لِلَّهِ حَدِيثًا}**⁵⁷⁰، يعني: ويومئذ لا يكتُمون الله حديثًا، فكيف الجمع بين هاتين الآيتين؟ آية يقول الله فيها: إنهم ينكرون أن يشركوا، وآية يقول الله فيها: إنهم لا يكتُمون الله، ما الجمع؟

نقول: نعم، ظاهرهما التعارض، لكن الجمع أن نقول: إن لهم حالين:

حالًا ينكرون فيها الشرك؛ لعلمهم يسلمون.

وحالًا أخرى يقرون لأنها تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون، وهذا ممكن؛ لأن يوم القيامة كم مدته؟ خمسون ألف سنة، تتغير فيها الأحوال.

يقول أيضًا إن الله يقول: **{ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}**⁵⁷¹، ويقول في آية أخرى: **{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ}**⁵⁷²، فمرة يقول للمتقين، ومرة يقول للناس، هذا تناقض.

نقول ليس به تناقض، لماذا؟

لأن قوله **{هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}** يعني هداية الدلالة والتوفيق والانتفاع، و**{هُدًى لِّلنَّاسِ}** هداية الدلالة.

القرآن يهدي كل أحد، يبين لكل أحد، لكن من الذي ينتفع به؟ المتقون، وهكذا كثير من الآيات على هذا الوجه ويمكن الجمع بينها، لكن الذي في قلبه مرض يأتي بهذا التشكيك.

وقد ألف الشنقيطي رحمه الله صاحب (أضواء البيان)، ألف رسالة سماها (دفع إيهام الاضطراب عن أي الكتاب) ذكر فيه ما بلغه علمه من الآيات التي ظاهرها التناقض وجمع بينها، فليُرجع إليه؛ فإنه مفيد.

يقول المؤلف: **(ومن توهم التناقض في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ أو بينهما، فذلك إما: لقلّة علمه) أي أن علمه قليل يعني ما راجع، ولا أدرك العلم، ومن كان علمه قليلاً فنادي عليه بالجهل.**

⁵⁶⁸ سورة المطففين، آيات (10 - 14).

⁵⁶⁹ سورة الأنعام، آية (23).

⁵⁷⁰ سورة النساء، آية (42).

⁵⁷¹ سورة البقرة، آيات (2 - 3).

⁵⁷² سورة البقرة، آية (185).

(أوقصور فهمه)، أي أن علمه واسع لكنه قاصر الفهم، والناس يختلفون في الفهم اختلافاً عظيماً، من الناس من يفهم من آية واحدة مثلاً عشر مسائل، وآخر لا يفهم منها إلا مسألة واحدة، يختلف الناس اختلافاً عظيماً في فهم كتاب الله وسنة رسوله؛ ولهذا لما قال أبو جحيفة لعلي بن أبي طالب "هل عهد إليكم النبي ﷺ بشيء؟ قال: لا -والذي فلق الحب ووبراً النسمة- إلا فهمًا يؤتیه الله تعالى في كتابه"، إلا فهمًا، والناس يختلفون اختلافاً عظيماً في الفهم.

انظر إلى هذا الفهم الدقيق: أن أقل الحمل الذى يمكن أن يعيشه الجنين كم؟ ستة أشهر، من أين أخذناها؟ ليس في القرآن ولا في السنة، أخذ من آيتين، قال الله تعالى: {وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا} ⁵⁷³، كم ثلاثين شهراً؟ سنتان ونصف، وقال: {وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ} ⁵⁷⁴، أسقط عامين من ثلاثين شهراً كم يبقى؟ ستة أشهر، إذاً الحمل أقله ستة أشهر، وأمثال هذا كثير.

فالأول قلة العلم، والثاني قصور الفهم؛ ولهذا يُذكر أن بعض الحفاظ كان يحفظ كتاب (الفروع) كتاب فقه ألفه محمد بن مفلح، أحد تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وكان من أعلم الناس بآراء شيخ الإسلام في الفقه، حتى كان تلميذ شيخ الإسلام ابن القيم يرجع إلى محمد بن مفلح -صاحب الفروع- فيما يتعلق بفقه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ألف كتابه الفروع وكان أحد الطلبة قد حفظ الكتاب من ألفه إلى يائه، حفظاً تاماً كما يحفظ الفاتحة، لكن لا يفهم شيئاً إطلاقاً، فكان طلاب العلم يأتون إليه -لأن الكتب في ذلك الوقت قليلة- يقولون: ماذا ذكر صاحب الفروع في الفصل الفلاني مثلاً؟ فيسرد عليهم الفصل، والباب، وكل شيء، حتى كانوا يلقبونه -مع الأسف- بحمار الفروع؛ لأن الحمار يحمل أسفاراً ولا يفهم معناها، وكان في الحقيقة لا ينبغي أن يوصف بهذا، ينبغي أن يوصف بحافظ الفروع، لكن على كل حال أقول لكم: إن الناس بعضهم يكون قاصر الفهم، يحفظ ولا يفهم.

يقول: (أو تقصيره في التدبر)، قد يكون الإنسان عنده علم واسع وعنده فهم ثاقب، لكنه لا يتدبر، ولا يتأمل، وإذا جلس ينظر في القرآن والسنة ليتدبر ضاق صدره ثم أغلق الكتاب، وهذا يوجد في كثير من طلبة العلم اليوم، تجده ليس عنده خُلق للمراجعة والتدبر، يريد علماً يكون مبرداً، دون أن يتولى طبخه ونضجه.

يقول: (فليبحث عن العلم، وليجتهد في التدبر؛ حتى يتبين له الحق)، إذا فعل ذلك واجتهد تدبر، ولكن لم يتبين له الأمر فماذا يصنع؟

يقول: (فإن لم يتبين له فليكل الأمر إلى عالمه، وليكف عن توهمه، وليقل كما يقول الراسخون في العلم: {أَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا} ⁵⁷⁵، وليعلم أن الكتاب والسنة لا تناقض فيما ولا بينهما ولا اختلاف)، إذا وصل إلى هذا الحد يقف.

⁵⁷³ سورة الأحقاف، آية (15).

⁵⁷⁴ سورة لقمان، آية (14).

⁵⁷⁵ سور آل عمران، آية (7).

ومن ذلك ما يتعلق بصفات الله عز وجل فإن هذا معرك ضنك وباب ضيق، وكثير من الطلبة اليوم يريدون أن يوسعوا هذا الباب، وأنى لهم ذلك؟ اللهم إلا بكسره، والكسر معناه الهدم والدمار.

بعض الطلبة اليوم يتعمق في البحث عن صفات الله عز وجل، يتعمق، ويثبت ما ليس بلازم، مثلاً يقول لك: إن [خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ]⁵⁷⁶، فهل يلزم من ذلك أن الله يشم، يبحث عن هذا، ولازم أن الله يشم؟ هل يلزم إذا كان الله يشم أن يكون له أنف! لأن الأنف أداة الشم، وأمثال ذلك، هذا كله غلط، لله أصابع كما ثبت في الحديث، يقول لك: كم عدد أصابع الله؟ عشرة؟ عشرون؟ أقل؟ أكثر؟ كل هذا من التنطع المحرم؛ لأن النبي ﷺ قال: [هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ]⁵⁷⁷، قال ذلك تحذيراً من التنطع، ولأن الصحابة أصفى منا قلوباً، وأغزر منا علوماً، وأقوى منا فهوماً، وأشد منا حرصاً، ليسوا يسألون رسول الله ﷺ عن مثل ذلك، إطلاقاً، ولما قال: [إِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا]⁵⁷⁸ هل قالوا: يا رسول الله هل الله يمل؟! لا، أي إنسان يقول ذلك، نقول: هات الدليل أنهم قالوا: هل الله يمل؟، بل سكتوا وعرفوا المراد، وهكذا يجب علينا-يا إخواننا- في هذه المسألة الضيقة الضنك، ألا نحاول التعمق في البحث عن صفات الله عز وجل، ما جاءنا قبلناه وكفى بنا فخراً، وما لم يجيء إلينا سكتنا عنه، هذا هو الأدب مع الله ورسوله والله الموفق.

سؤال: شيخ بارك الله فيك، يوجد في الواقع وعرفنا شيوخاً ليسوا بأقل في الفهم والفقهاء والاجتهاد في العلم الشرعي من غيرهم، وظاهر حالهم تنبئ أنهم يقصدون بذلك وجه الله عز وجل، ولا يريدون بذلك تضليل الناس وهكذا، ولكنهم على غير الجادة في المعتقد وغيره، فكيف يفسر ذلك، -فلا قصور في فهم ولا على نية- فيما يظن- تضليل، ولكنهم ضالون؟ الجواب: هذا لا بد أن يكون أحد الأمور، لا يمكن إلا أن يكون أحد الأمور؛ لأنهم لو: {صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ}⁵⁷⁹، لا تفكر إنسان يريد الحق ويبحث عن الحق في مظانه -وهو الكتاب والسنة- ولا يهتدي إليه، أبداً، لا بد أن يكون في قلوبهم شيء.

سؤال: شيخ، أنا أقول أن هناك لعله يوجد سبب آخر وهو أن ينشأوا في منشأ أو في بيئة لا يكون سارياً إلا ذلك المعتقد فلا يعرفون إلا غيره، مثلاً: لا توجد كتب دينية وغيره مثلاً، وكل علماء ذلك البلد مثلاً على عقيدة معينة ولم يعرفوا غيرها، ألا يمكن أن يكون هذا أيضاً سبب يا شيخ؟ وهل يعذرون بكونهم لم ينته إليهم علم؟ الجواب: هذا من ناحية الحكم عليهم في الآخرة لا شك أنهم يعذرون، كل إنسان لم تبلغه الرسالة كليةً أو جزئية فإنه يعذر عند الله عز وجل، لكن بشرط أن يعلم الله تعالى من نيته أنه لو علم بالحق لاتبعه.

⁵⁷⁶ صحيح، أخرجه أحمد في مسنده (٧٩٠٤).

⁵⁷⁷ أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٦٧٠).

⁵⁷⁸ جزء من حديث أخرجه البخاري (5861)، ومسلم (782)، بلفظ (فإن).

⁵⁷⁹ سورة محمد، آية (21).

الطالب: قلنا أن (تناقض الأخبار يستلزم التكذيب).

الشيخ: نعم، تكذيب بعضه بعض.

الطالب: ثم بيّن أن الذي يقول ذلك إما لقلة فهمه أو لقصور ذلك، فكيف يكون تكذيبه لقصور فهمه؟

الشيخ: نحن قلنا من ادّعى في الأول، لكن ذلك فهم التناقض دون أن يدّعي، لكن فهم ولم يهتدِ إلى الصواب.

الفهرس

- صفحة (1)
- صفحة (11)
- صفحة (17)
- صفحة (24)
- صفحة (29)
- صفحة (36)
- صفحة (44)
- صفحة (53)
- صفحة (60)
- صفحة (67)
- صفحة (72)
- صفحة (79)
- صفحة (87)
- صفحة (95)
- صفحة (104)
- صفحة (110)
- صفحة (119)
- صفحة (125)
- صفحة (132)
- صفحة (141)
- صفحة (149)
- الدرس الأول (1)
- الدرس الثاني (2)
- الدرس الثالث (3)
- الدرس الرابع (4)
- الدرس الخامس (5)
- الدرس السادس (6)
- الدرس السابع (7)
- الدرس الثامن (8)
- الدرس التاسع (9)
- الدرس العاشر (10)
- الدرس الحادي عشر (11)
- الدرس الثاني عشر (12)
- الدرس الثالث عشر (13)
- الدرس الرابع عشر (14)
- الدرس الخامس عشر (15)
- الدرس السادس عشر (16)
- الدرس السابع عشر (17)
- الدرس الثامن عشر (18)
- الدرس التاسع عشر (19)
- الدرس العشرون (20)
- الدرس الواحد والعشرون (21)

صفحة (158)

صفحة (165)

صفحة (170)

صفحة (177)

صفحة (184)

■ الدرس الثاني والعشرون (22)

■ الدرس الثالث والعشرون (23)

■ الدرس الرابع والعشرون (24)

■ الدرس الخامس والعشرون (25)

■ الدرس الخامس والعشرون (26)